|  |
| --- |
| وَأَمَّا عَلِيٌّ فَلَمَّا جَاءَهُ كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَجَابَهُ عَنْهُ وَوَعَدَهُ الْمَدَدَ ، قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، وَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَ مِصْرَ ، وَقَصْدَ عَمْرٍو إِيَّاهَا ، وَنَدَبَهُمْ إِلَى إِنْجَادِهِمْ ، وَحَثَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ اخْرُجُوا بِنَا إِلَى الْجَرَعَةِ ، وَهِيَ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحِيرَةِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ إِلَى الْجَرَعَةِ ، فَنَزَلَهَا بُكْرَةً وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ، فَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ ، فَرَجَعَ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ اسْتَدْعَى أَشْرَافَ النَّاسِ وَهُوَ كَئِيبٌ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلِهِ ، وَابْتَلَانِي بِكُمْ ، أَيَّتُهَا الْقَرْيَةُ الَّتِي لَا تُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ ، وَلَا تُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ! |
| مَا تَنْتَظِرُونَ بِمِصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟ |
| فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ الْمَوْتُ ، وَلَيَأْتِيَنِّي ، لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ ، لِلَّهِ أَنْتُمْ! |
| أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ، وَلَا مَحْمِيَّةٌ تَحْمِيكُمْ إِذَا أَنْتُمْ سَمِعْتُمْ بِعَدُوِّكُمْ يَنْتَقِصُ بِلَادَكُمْ ، وَيَشِنُّ الْغَارَةَ عَلَيْكُمْ ؟ |
| أَوَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ عَطَاءٍ وَلَا مَعُونَةٍ فِي السَّنَةِ الْمَرَّةَ وَالْمَرَّتَيْنِ وَالثَّلَاثَ إِلَى أَيِّ وَجْهٍ شَاءَ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ أُولُو النُّهَى ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ عَلَى الْعَطَاءِ وَالْمَعُونَةِ ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي تَعْصَوْنَنِي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ! |
| فَقَامَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَرْحَبِيُّ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْدُبِ النَّاسَ ، لِهَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدَّخِرُ نَفْسِي. |
| ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجِيبُوا إِمَامَكُمْ وَانْصُرُوا دَعْوَتَهُ وَقَاتِلُوا عَدُوَّهُ ، وَأَنَا أَسِيرُ إِلَيْهِ. |
| فَخَرَجَ مَعَهُ أَلْفَانِ. |
| فَقَالَ لَهُ سِرْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَظُنُّكَ تُدْرِكُهُمْ حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمْرُهُمْ. |
| فَسَارَ بِهِمْ خَمْسًا. |
| ثُمَّ إِنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ غَزِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، فَأَخْبَرَهُ بِقَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ مَعَهُ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَبِيبٍ الْفَزَارِيُّ مِنَ الشَّامِ ، وَكَانَ عَيْنَهُ هُنَاكَ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْبِشَارَةَ مِنْ عَمْرٍو وَرَدَتْ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ وَمُلْكِ مِصْرَ ، وَسُرُورِ أَهْلِ الشَّامِ بِقَتْلِهِ. |
| فَقَالَ عَلِيٌّ أَمَا إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ بِقَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ ، لَا بَلْ يَزِيدُ أَضْعَافًا! |
| فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ ، فَأَعَادَ الْجَيْشَ الَّذِي أَنْفَذَهُ وَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا وَقَالَ أَلَا إِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتَتَحَهَا الْفَجَرَةُ أُولُو الْجَوْرِ ، وَالظَّلَمَةُ الَّذِينَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبَغَوُا الْإِسْلَامَ عِوَجًا! |
| أَلَا وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ اسْتُشْهِدَ ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ! |
| أَمَا وَاللَّهِ ، إِنْ كَانَ كَمَا عَلِمْتُ لَمِمَّنْ يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ ، وَيَعْمَلُ لِلْجَزَاءِ ، وَيُبْغِضُ شَكْلَ الْفَاجِرِ ، وَيُحِبُّ هَدْيَ الْمُؤْمِنِ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَلُومُ نَفْسِي عَلَى تَقْصِيرٍ ، وَإِنِّي لِمُقَاسَاةِ الْحُرُوبِ لَجَدِيرٌ خَبِيرٌ ، وَإِنِّي لَأَتَقَدَّمُ عَلَى الْأَمْرِ وَأَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ ، وَأَقُومُ فِيكُمْ بِالرَّأْيِ الْمُصِيبِ ، وَأَسْتَصْرِخُكُمْ مُعْلِنًا ، وَأُنَادِيكُمْ نِدَاءَ الْمُسْتَغِيثِ ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَصِيرَ بِيَ الْأُمُورُ إِلَى عَوَاقِبِ الْمُسَاءَةِ ، فَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَا يُدْرَكُ بِكُمُ الثَّأْرُ ، وَلَا تَنْقَضِ بِكُمُ الْأَوْتَارُ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى غِيَاثِ إِخْوَانِكُمْ مُنْذُ بِضْعٍ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً ، فَتَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَشْدَقِ ، وَتَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ تَثَاقُلَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَلَا اكْتِسَابِ الْأَجْرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَانِبٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَأُفٍّ لَكُمْ! |
| ثُمَّ نَزَلَ. |
| مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ بِضَمِّ الْحَاءِ ، وَفَتْحِ الدَّالِّ الْمُهْمَلَتَيْنِ. |
| جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ بِالْجِيمِ ، وَفِي آخِرِهِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ. |
| بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ ، بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَسُكُونِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ . |
| ذِكْرُ إِرْسَالِ مُعَاوِيَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَاسْتِيلَاءِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَلَى مِصْرَ ، سَيَّرَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ جُلَّ أَهْلِهَا يَرَوْنَ رَأْيَنَا فِي عُثْمَانَ ، وَقَدِ اقْتَتَلُوا فِي الطَّلَبِ بِدَمِهِ ، فَهُمْ لِذَلِكَ حَنِقُونَ ، يَوَدُّونَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مَنْ يَجْمَعُهُمْ ، وَيَنْهَضُ بِهِمْ فِي الطَّلَبِ بِثَأْرِهِمْ وَدَمِ إِمَامِهِمْ ، فَانْزِلْ فِي مُضَرَ ، وَتَوَدَّدِ الْأَزْدَ ، فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ مَعَكَ ، وَادْعُ رَبِيعَةَ ، فَلَنْ يَنْحَرِفَ عَنْكَ أَحَدٌ سِوَاهُمْ ، لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ تُرَابِيَّةٌ فَاحْذَرْهُمْ. |
| فَسَارَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ حَتَّى قَدِمَ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ خَرَجَ إِلَى عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ وَاسْتَخْلَفَ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ نَزَلَ فِي بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَتَاهُ الْعُثْمَانِيَّةُ مُسَلِّمِينَ عَلَيْهِ ، وَحَضَرَهُ غَيْرُهُمْ ، فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ إِنَّ عُثْمَانَ إِمَامَكُمْ إِمَامُ الْهُدَى قُتِلَ مَظْلُومًا ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ ، فَطَلَبْتُمْ بِدَمِهِ فَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا. |
| فَقَامَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْهِلَالِيُّ ، وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ قَبَّحَ اللَّهُ مَا جِئْتِنَا بِهِ وَمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ! |
| أَتَيْتِنَا وَاللَّهِ بِمِثْلِ مَا أَتَانَا بِهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، أَتَيَانَا وَقَدْ بَايَعْنَا عَلِيًّا وَاسْتَقَامَتْ أُمُورُنَا ، فَحَمَلَانَا عَلَى الْفُرْقَةِ حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَنَحْنُ الْآنَ مُجْتَمِعُونَ عَلَى بَيْعَتِهِ ، وَقَدْ أَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَعَفَا عَنِ الْمُسِيءِ ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَنْتَضِيَ أَسْيَافَنَا ، وَيَضْرِبَ بَعْضُنَا بَعْضًا لِيَكُونَ مُعَاوِيَةُ أَمِيرًا ؟ |
| وَاللَّهِ لَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ عَلِيٍّ خَيْرٌ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَآلِ مُعَاوِيَةَ ! |
| فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ السُّلَمِيُّ فَقَالَ لِلضَّحَّاكِ اسْكُتْ فَلَسْتَ بِأَهْلٍ أَنْ تَتَكَلَّمَ. |
| ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَقَالَ نَحْنُ أَنْصَارُكَ وَيَدُكَ ، وَالْقَوْلُ قَوْلُكَ فَاقْرَأْ كِتَابَكَ. |
| فَأَخْرُجَ كِتَابَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِمْ يُذَكِّرُهُمْ فِيهِ آثَارَ عُثْمَانَ فِيهِمْ ، وَحُبَّهُ الْعَافِيَةَ ، وَسَدَّهُ ثُغُورَهُمْ ، وَيَذْكُرُ قَتْلَهَ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِهِ ، وَيَضْمَنُ أَنَّهُ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالسُّنَّةِ ، وَيُعْطِيهِمْ عَطَاءَيْنِ فِي السَّنَةِ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَامَ الْأَحْنَفُ فَقَالَ لَا نَاقَتِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلِي. |
| وَاعْتَزَلَ الْقَوْمَ. |
| وَقَامَ عَمْرُو بْنُ مَرْحُومٍ الْعَبْدِيُّ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ الْزَمُوا طَاعَتَكُمْ وَجَمَاعَتَكُمْ ، وَلَا تَنْكُثُوا بَيْعَتَكُمْ فَتَقَعَ بِكِمُ الْوَاقِعَةُ. |
| وَكَانَ عَبَّاسُ بْنُ صُحَارٍ الْعَبْدِيُّ مُخَالِفًا لِقَوْمِهِ فِي حُبِّ عَلِيٍّ ، فَقَامَ وَقَالَ لَنَنْصُرَنَّكَ بِأَيْدِينَا وَأَلْسِنَتِنَا. |
| فَقَالَ لَهُ الْمُثَنَّى بْنُ مُخَرِّبَةَ الْعَبْدِيُّ وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَرْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ الَّذِي جِئْتِنَا مِنْهُ لِنُجَاهِدَنَّكَ بِأَسْيَافِنَا وَرِمَاحِنَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ يَعْنِي ابْنَ صُحَارٍ . |
| فَقَالَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ لِصَبْرَةَ بْنِ شَيْمَانَ أَنْتَ نَابٌ مِنْ أَنْيَابِ الْعَرَبِ فَانْصُرْنِي. |
| فَقَالَ لَوْ نَزَلْتَ فِي دَارِي لَنَصَرْتُكَ. |
| فَلَمَّا رَأَى زِيَادٌ ذَلِكَ خَافَ ، فَاسْتَدْعَى حُضِيْنَ بْنَ الْمُنْذِرِ ، وَمَالِكَ بْنَ مِسْمَعٍ فَقَالَ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ أَنْصَارُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَثِقَاتُهُ ، وَقَدْ كَانَ مِنِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ مَا تَرَوْنَ ، وَأَتَاهُ مَنْ أَتَاهُ فَامْنَعُونِي حَتَّى يَأْتِيَنِي أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ حُضَيْنَ بْنُ الْمُنْذِرِ نَعَمْ. |
| وَقَالَ مَالِكٌ وَكَانَ رَأْيُهُ مَائِلًا إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ هَذَا أَمْرٌ لِي فِيهِ شُرَكَاءُ أَسْتَشِيرُ فِيهِ وَأَنْظُرُ. |
| فَلَمَّا رَأَى زِيَادٌ تَثَاقُلَ مَالِكٍ خَافَ أَنْ تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ رَبِيعَةُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى صَبْرَةَ بْنَ شَيْمَانَ الْحُدَّانِيِّ الْأَزْدِيِّ يَطْلُبُ أَنْ يُجِيرَهُ وَبَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ. |
| فَقَالَ إِنْ حَمَلْتَهُ إِلَى دَارِي أَجَرْتُكُمَا. |
| فَنَقَلَهُ إِلَى دَارِهِ بِالْحُدَّانِ ، وَنَقَلَ الْمِنْبَرَ أَيْضًا ، فَكَانَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ بِمَسْجِدِ الْحُدَّانِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ. |
| فَقَالَ زِيَادٌ لِجَابِرِ بْنِ وَهْبٍ الرَّاسِبِيِّ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنِّي لَا أَرَى ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ يَكُفُّ وَأَرَاهُ سَيُقَاتِلُكُمْ ، وَلَا أَدْرِي مَا عِنْدَ أَصْحَابِكَ ، فَانْظُرْ مَا عِنْدَهُمْ. |
| فَلَمَّا صَلَّى زِيَادٌ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ جَابِرٌ يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، إِنَّ تَمِيمًا تَزْعُمُ أَنَّهُمْ هُمُ النَّاسُ ، وَأَنَّهُمْ أَصْبَرُ مِنْكُمْ عِنْدَ الْبَأْسِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسِيرُوا إِلَيْكُمْ ، وَيَأْخُذُوا جَارَكُمْ وَيُخْرِجُوهُ قَسْرًا ، فَكَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ وَقَدْ أَجَرْتُمُوهُ وَبَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ! |
| فَقَالَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ ، وَكَانَ مُفَخَّمًا إِنْ جَاءَ الْأَحْنَفُ جِئْتُ ، وَإِنْ جَاءَ حُتَاتُهُمْ جِئْتُ ، وَإِنْ جَاءَ شَبَابُهُمْ فَفِينَا شَبَابٌ. |
| وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ بِالْخَبَرِ ، فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَيْهِ أَعْيَنَ بْنَ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيَّ ثُمَّ التَّمِيمِيَّ لِيُفَرِّقَ قَوْمَهُ عَنِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَإِنِ امْتَنَعُوا قَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ ، وَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ يُعْلِمْهُ ذَلِكَ. |
| فَقَدِمَ أَعْيَنُ ، فَأَتَى زِيَادًا ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ ، وَجَمَعَ رِجَالًا وَأَتَى قَوْمَهُ ، وَنَهَضَ إِلَى ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَمَنْ مَعَهُ وَدَعَاهُمْ ، فَشَتَمُوهُ ، وَوَاقَفَهُمْ نَهَارَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ ، قِيلَ إِنَّهُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَقِيلَ وَضَعَهُمُ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى قَتْلِهِ ، وَكَانَ مَعَهُمْ ، فَقَتَلُوهُ غِيلَةً ، فَلَمَّا قُتِلَ أَعْيَنُ أَرَادَ زِيَادٌ قِتَالَهُمْ ، فَأَرْسَلَتْ تَمِيمٌ إِلَى الْأَزْدِ إِنَّا لَمْ نَعْرِضْ لِجَارِكُمْ فَمَا تُرِيدُونَ إِلَى جَارِنَا ؟ |
| فَكَرِهَتِ الْأَزْدُ قِتَالَهُمْ وَقَالُوا إِنْ عَرَضُوا لِجَارِنَا مَنَعْنَاهُ. |
| وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ يُخْبِرُهُ خَبَرَ أَعْيَنَ وَقَتْلِهِ ، فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ جَارِيَةَ بْنَ قُدَامَةَ السَّعْدِيَّ ، وَهُوَ مَنْ بَنِيَ سَعْدٍ مِنْ تَمِيمٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ خَمْسِينَ رَجْلًا ، وَقِيلَ خَمْسَمِائَةٍ مِنْ تَمِيمٍ ، وَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ يَأْمُرُهُ بِمَعُونَةِ جَارِيَةَ وَالْإِشَارَةِ عَلَيْهِ. |
| فَقَدِمَ جَارِيَةُ الْبَصْرَةَ ، فَحَذَّرَهُ زِيَادٌ مَا أَصَابَ أَعْيَنَ ، فَقَامَ جَارِيَةُ فِي الْأَزْدِ فَجَزَاهُمْ خَيْرًا وَقَالَ عَرَفْتُمُ الْحَقَّ إِذْ جَهِلَهُ غَيْرُكُمْ. |
| وَقَرَأَ كِتَابَ عَلِيٍّ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُوَبِّخُهُمْ وَيَتَهَدَّدُهُمْ وَيُعَنِّفُهُمْ ، وَيَتَوَعَّدُهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ وَالْإِيقَاعِ بِهِمْ وَقْعَةً تَكُونُ وَقْعَةُ الْجَمَلِ عِنْدَهَا هَبَاءً. |
| فَقَالَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ سَمْعًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةً! |
| نَحْنُ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُ وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُ. |
| وَقَالَ أَبُو صُفْرَةَ وَالِدُ الْمُهَلَّبِ ، لِزِيَادٍ لَوْ أَدْرَكْتُ يَوْمَ الْجَمَلِ مَا قَاتَلَ قَوْمِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ أَبَا صُفْرَةَ كَانَ تُوُفِّي فِي مَسِيرِهِ إِلَى صِفِّينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| وَصَارَ جَارِيَةُ إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ عَلِيٍّ وَوَعَدَهُمْ ، فَأَجَابَهُ أَكْثَرُهُمْ ، فَسَارَ إِلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَمَعَهُ الْأَزْدُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، وَعَلَى خَيْلِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ السُّلَمِيُّ ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً ، وَأَقْبَلَ شَرِيكُ بْنُ الْأَعْوَرِ الْحَارِثِيُّ فَصَارَ مَعَ جَارِيَةَ ، فَانْهَزَمَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَتَحَصَّنَ بِقَصْرِ سُنْبِيلَ وَمَعَهُ ابْنُ خَازِمٍ ، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ عَجْلَى ، وَكَانَتْ حَبَشِيَّةً ، فَأَمَرَتْهُ بِالنُّزُولِ ، فَأَبَى ، فَقَالَتْ وَاللَّهِ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَأَنْزِعَنَّ ثِيَابِي! |
| فَنَزَلَ وَنَجَا ، وَأَحْرَقَ جَارِيَةُ الْقَصْرَ بِمَنْ فِيهِ ، فَهَلَكَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مَعَهُ ، وَعَادَ زِيَادٌ إِلَى الْقَصْرِ ، وَكَانَ قَصْرُ سُنْبِيلَ لِفَارِسَ قَدِيمًا ، وَصَارَ لِسْنُبِيلَ السَّعْدِيِّ ، وَحَوْلَهُ خَنْدَقٌ . |
| وَكَانَ فِيمَنِ احْتَرَقَ دَرَاعُ بْنُ بَدْرٍ أَخُو حَارِثَةَ بْنِ بَدْرٍ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَرَنْدَسِ رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ... |
| وَجَارُ تَمِيمٍ دُخَانًا ذَهَبْ لَحَى اللَّهُ قَوْمًا شَوَوْا جَارَهُمْ... |
| وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ حَرَّ اللَّهَبْ فِي أَبْيَاتٍ غَيْرِ هَذِهِ ، وَقَالَ جَرِيرٌ غَدَرْتُمْ بِالزُّبَيْرِ فَمَا وَفَيْتُمْ... |
| وَفَاءَ الْأَزْدِ إِذْ مَنَعُوا زِيَادَا فَأَصْبَحَ جَارُهُمْ بِنَجَاةِ عِزٍّ... |
| وَجَارُ مُجَاشِعٍ أَمْسَى رَمَادَا فَلَوْ عَاقَدْتَ حَبْلَ أَبِي سَعِيدٍ... |
| لَذَادَ الْقَوْمَ مَا حَمَلَ النِّجَادَا وَأَدْنَى الْخَيْلَ مِنْ رَهَجِ الْمَنَايَا... |
| وَأَغْشَاهَا الْأَسِنَّةَ وَالصِّعَادَا جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ بِالْجِيمِ وَالْيَاءِ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ. |
| وَحَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالزَّايِ. |
| وَالْمُثَنَّى بْنُ مُخَرِّبَةَ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ الْمُشَدَّدَةِ ، وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ . |
| ذكر خَبَرِ الْخِرِّيتِ بْنِ رَاشِدٍ وَبَنِي نَاجِيَةَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَظْهَرَ الْخِرِّيتُ بْنُ رَاشِدٍ النَّاجِيُّ الْخِلَافَ عَلَى عَلِيٍّ ، فَجَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ خَرَجُوا مَعَ عَلِيٍّ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَشَهِدُوا مَعَهُ الْجَمَلَ وَصِفِّينَ ، وَأَقَامُوا مَعَهُ بِالْكُوفَةِ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، فَحَضَرَ عِنْدَ عَلِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا فَقَالَ لَهُ يَا عَلِيُّ ، وَاللَّهِ لَا أُطِيعُ أَمْرَكَ وَلَا أُصَلِّي خَلْفَكَ ، وَإِنِّي غَدًا مُفَارِقٌ لَكَ وَذَلِكَ بَعْدَ تَحْكِيمِ الْحَكَمَيْنِ . |
| فَقَالَ لَهُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! |
| إِذًا تَعْصِي رَبَّكَ ، وَتَنْكُثُ عَهْدَكَ ، وَلَا تَضُرُّ إِلَّا نَفْسَكَ! |
| خَبِّرْنِي لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ |
| فَقَالَ لِأَنَّكَ حَكَّمْتَ وَضَعُفْتَ عَنِ الْحَقِّ ، وَرَكَنْتَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، فَأَنَا عَلَيْكَ زَارٍ ، وَعَلَيْهِمْ نَاقِمٌ ، وَلَكُمْ جَمِيعًا مُبَايِنٌ. |
| فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ هَلُمَّ أُدَارِسُكَ الْكِتَابَ ، وَأُنَاظِرُكَ فِي السُّنَنِ ، وَأُفَاتِحُكَ أُمُورًا أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ ، فَلَعَلَّكَ تَعْرِفُ مَا أَنْتَ لَهُ الْآنَ مُنْكِرٌ ، قَالَ فَإِنِّي عَائِدٌ إِلَيْكَ. |
| قَالَ لَا يَسْتَهْوِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ، وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الْجُهَّالُ ، وَاللَّهِ لَئِنِ اسْتَرْشَدْتَنِي وَقَبِلْتَ مِنِّي لَأَهْدِيَنَّكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ. |
| فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مُنْصَرِفًا إِلَى أَهْلِهِ ، وَسَارَ مِنْ لَيْلَتِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ بِمَسِيرِهِمْ عَلِيٌّ قَالَ بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعُدَتْ ثَمُودُ! |
| إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ اسْتَهْوَاهُمْ وَأَضَلَّهُمْ ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ. |
| فَقَالَ لَهُ زِيَادُ بْنُ خَصَفَةَ الْبِكْرِيُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ لَمْ يَعْظُمْ عَلَيْنَا فَقَدُهُمْ فَتَأْسَى عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُمْ قَلَّ مَا يَزِيدُونَ فِي عَدَدِنَا لَوْ أَقَامُوا ، وَلَقَلَّ مَا يُنْقِصُونَ مِنْ عَدَدِنَا بِخُرُوجِهِمْ عَنَّا ، وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْسِدُوا عَلَيْنَا جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِمَّنْ يَقْدَمُونَ عَلَيْكَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِكَ ، فَأْذَنْ لِي فِي اتِّبَاعِهِمْ حَتَّى أَرُدَّهُمْ عَلَيْكَ. |
| فَقَالَ أَتَدْرِي أَيْنَ تَوَجَّهُوا ؟ |
| قَالَ لَا ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ وَأَتَّبِعُ الْأَثَرَ. |
| فَقَالَ لَهُ اخْرُجْ رَحِمَكَ اللَّهُ وَانْزِلْ دَيْرَ أَبِي مُوسَى ، وَأَقِمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، فَإِنْ كَانُوا ظَاهِرِينَ فَإِنَّ عُمَّالِي سَيَكْتُبُونَ بِخَبَرِهِمْ. |
| فَخَرَجَ زِيَادٌ فَأَتَى دَارَهُ ، وَجَمَعَ أَصْحَابَهُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَعْلَمَهُمُ الْخَبَرَ ، فَسَارَ مَعَهُ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ حَسْبِي. |
| ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى دَيْرَ أَبِي مُوسَى ، فَنَزَلَهُ يَوْمًا يَنْتَظِرُ أَمْرَ عَلِيٍّ ، وَأَتَى عَلِيًّا كِتَابٌ مِنْ قَرَظَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيِّ يُخْبِرُهُ أَنَّهُمْ تَوَجَّهُوا نَحْوَ نِفَّرَ ، وَأَنَّهُمْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنَ الدَّهَاقِينَ كَانَ أَسْلَمَ. |
| فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَى زِيَادٍ يَأْمُرُهُ بِاتِّبَاعِهِمْ ، وَيُخْبِرُهُ خَبَرَهُمْ وَأَنَّهُمْ قَتَلُوا رَجْلًا مُسْلِمًا ، وَيَأْمُرُهُ بِرَدِّهِمْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ أَبَوْا يُنَاجِزُهُمْ ، وَسَيَّرَ الْكِتَابَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَالٍ ، فَاسْتَأْذَنَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْمَسِيرِ مَعَ زِيَادٍ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ وَأَنْصَارِي عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. |
| قَالَ ابْنُ وَالٍ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنَّ لِي بِمَقَالَتِهِ تِلْكَ حُمْرَ النَّعَمِ. |
| وَسَارَ بِكِتَابِ عَلِيٍّ إِلَى زِيَادٍ ، وَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا نِفَّرَ ، فَقِيلَ إِنَّهُمْ سَارُوا نَحْوَ جَرْجَرَايَا ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَدْرَكُوهُمْ بِالْمَذَارِ وَهُمْ نُزُولٌ قَدْ أَقَامُوا يَوْمَهُمْ وَلَيْلَتَهُمْ وَاسْتَرَاحُوا ، فَأَتَاهُمْ زِيَادٌ وَقَدْ تَقَطَّعَ أَصْحَابُهُ وَتَعِبُوا ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ رَكِبُوا خُيُولَهُمْ ، وَقَالَ لَهُمُ الْخِرِّيتُ أَخْبِرُونِي مَا تُرِيدُونَ. |
| فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ ، وَكَانَ مُجَرِّبًا رَفِيقًا قَدْ تَرَى مَا بِنَا مِنَ التَّعَبِ ، وَالَّذِي جِئْنَاكَ لَهُ لَا يُصْلِحُهُ الْكَلَامُ عَلَانِيَةً ، وَلَكِنْ نَنْزِلُ ، ثُمَّ نَخْلُو جَمِيعًا فَنَتَذَاكَرُ أَمْرَنَا ، فَإِنْ رَأَيْتَ مَا جِئْنَاكَ بِهِ حَظًّا لِنَفْسِكَ قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْنَا فِيمَا نَسْمَعُ مِنْكَ أَمْرًا نَرْجُو فِيهِ الْعَافِيَةَ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ. |
| قَالَ فَانْزِلْ. |
| فَنَزَلَ زِيَادٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى مَاءٍ هُنَاكَ ، وَأَكَلُوا شَيْئًا وَعَلَّقُوا عَلَى دَوَابِّهِمْ ، وَوَقَفَ زِيَادٌ فِي خَمْسَةِ فَوَارِسَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، وَكَانُوا قَدْ نَزَلُوا أَيْضًا ، وَقَالَ زِيَادٌ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ عِدَّتَنَا كَعِدَّتِهِمْ ، وَأَرَى أَمْرَنَا يَصِيرُ إِلَى الْقِتَالِ ، فَلَا تَكُونُوا أَعْجَزَ الْفَرِيقَيْنِ. |
| وَخَرَجَ زِيَادٌ إِلَى الْخِرِّيتِ فَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ جَاءَنَا الْقَوْمُ وَهُمْ كَالُّونَ تَعِبُونَ ، فَتَرَكْنَاهُمْ حَتَّى اسْتَرَاحُوا ، هَذَا وَاللَّهِ سُوءُ الرَّأْيِ. |
| فَدَعَاهُ زِيَادٌ وَقَالَ لَهُ مَا الَّذِي نَقَمْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَيْنَا حَتَّى فَارَقَتْنَا ؟ |
| فَقَالَ لَمْ أَرْضَ صَاحِبَكُمْ إِمَامًا وَلَا سِيرَتَكُمْ سِيرَةً ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَعْتَزِلَ وَأَكُونَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشُّورَى ، فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ وَهَلْ يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ يُدَانِي صَاحِبَكَ الَّذِي فَارَقْتَهُ عِلْمًا بِاللَّهِ وَسُنَّتِهِ وَكِتَابِهِ مَعَ قَرَابَتِهِ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَابَقَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ لَا أَقُولُ لَكَ. |
| فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ فَفِيمَ قَتَلْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ مَا أَنَا قَتَلْتُهُ وَإِنَّمَا قَتَلَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِي. |
| قَالَ فَادْفَعْهُمْ إِلَيْنَا. |
| قَالَ مَا لِي إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ. |
| فَدَعَا زِيَادٌ أَصْحَابَهُ ، وَدَعَا الْخِرِّيتُ أَصْحَابَهُ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا تَطَاعَنُوا بِالرِّمَاحِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ رُمْحٌ ، وَتَضَارَبُوا بِالسُّيُوفِ حَتَّى انْحَنَتِ ، وَعُقِرَتْ عَامَّةُ خُيُولِهِمْ ، وَكَثُرَتِ الْجِرَاحَةُ فِيهِمْ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ زِيَادٍ رَجُلَانِ وَمِنْ أُولَئِكَ خَمْسَةٌ ، وَجَاءَ اللَّيْلُ فَحَجَزَ بَيْنَهُمَا ، وَقَدْ كَرِهَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَجُرِحَ زِيَادٌ ، فَسَارَ الْخِرِّيتُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَسَارَ زِيَادٌ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَأَتَاهُمْ خَبَرُ الْخِرِّيتِ أَنَّهُ أَتَى الْأَهْوَازَ ، فَنَزَلَ بِجَانِبٍ مِنْهَا ، وَتَلَاحَقَ بِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِمْ ، فَصَارُوا نَحْوَ مِائَتَيْنِ ، فَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ بِخَبَرِهِمْ ، وَأَنَّهُ مُقِيمٌ يُدَاوِي الْجَرْحَى وَيَنْتَظِرُ أَمْرَهُ. |
| فَلَمَّا قَرَأَ عَلِيٌّ كِتَابَهُ قَامَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعَ مَنْ يَطْلُبُ هَؤُلَاءِ مَكَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ ، فَإِذَا لَحِقُوهُمُ اسْتَأْصَلُوهُمْ وَقَطَعُوا دَابِرَهُمْ ، فَأَمَّا أَنْ يَلْقَاهُمْ عَدَدُهُمْ ، فَلَعَمْرِي لَيَصْبِرُنَّ لَهُمْ ، فَإِنَّ الْعِدَّةَ تَصْبِرُ لِلْعِدَّةِ. |
| فَقَالَ تَجَهَّزْ يَا مَعْقِلُ إِلَيْهِمْ ، وَنَدَبَ مَعَهُ أَلْفَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، مِنْهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمَعَقِّلِ الْأَسَدِيُّ. |
| وَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ رَجْلًا شُجَاعًا مَعْرُوفًا بِالصَّلَاحِ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ إِلَى مَعْقِلٍ وَهُوَ أَمِيرُ أَصْحَابِهِ حَتَّى يَأْتِيَ مَعْقِلًا ، فَإِذَا لَقِيَهُ كَانَ مَعْقِلٌ الْأَمِيرَ. |
| وَكَتَبَ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصَفَةَ يَشْكُرُهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ. |
| وَاجْتَمَعَ عَلَى الْخِرِّيتِ النَّاجِيِّ عُلُوجٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَازِ كَثِيرٌ ، أَرَادُوا كَسْرَ الْخَرَاجِ ، وَلُصُوصٌ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ الْعَرَبِ تَرَى رَأْيَهُ ، وَطَمِعَ أَهْلُ الْخَرَاجِ فِي كَسْرِهِ فَكَسَرُوهُ ، وَأَخْرَجُوا سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ مِنْ فَارِسَ ، وَكَانَ عَامِلًا لَعَلِّي عَلَيْهَا فِي قَوْلِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ . |
| فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَعَلِيٍّ أَنَا أَكْفِيكَ فَارِسَ بِزِيَادٍ يَعْنِي ابْنَ أَبِيهِ فَأَمَرَهُ بِإِرْسَالِهِ إِلَيْهَا وَتَعْجِيلِ تَسْيِيرِهِ ، فَأَرْسَلَ زِيَادًا إِلَيْهَا فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَوَطِئَ بِلَادَ فَارِسَ ، فَأَدَّوُا الْخَرَاجَ وَاسْتَقَامُوا. |
| وَسَارَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ، وَوَصَّاهُ عَلِيٌّ فَقَالَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَبْغِ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، وَلَا تَظْلِمْ أَهْلَ الذِّمَّةِ ، وَلَا تَتَكَبَّرْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ. |
| فَقَدِمَ مَعْقِلٌ الْأَهْوَازَ يَنْتَظِرُ مَدَدَ الْبَصْرَةِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ عَنِ الْأَهْوَازِ يَطْلُبُ الْخِرِّيتَ ، فَلَمْ يَسِرْ إِلَّا يَوْمًا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْمَدَدُ مَعَ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الطَّائِيِّ ، فَسَارُوا جَمِيعًا ، فَلَحِقُوهُمْ قُرَيْبَ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ رَامَهُرْمُزْ ، فَصَفَّ مَعْقِلٌ أَصْحَابَهُ ، فَجَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ يَزِيدَ بْنَ الْمَعَقِّلِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ مِنْجَابَ بْنَ رَاشِدٍ الضَّبِّيَّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَصَفَّ الْخِرِّيتُ أَصْحَابَهُ فَجَعَلَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ مَيْمَنَةً ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَالْعُلُوجِ مَيْسَرَةً ، وَمَعَهُمُ الْأَكْرَادُ ، وَحَرَّضَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابَهُ ، وَحَرَّكَ مَعْقِلٌ رَأْسَهُ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ حَمَلَ فِي الثَّالِثَةِ ، فَصَبَرُوا لَهُ سَاعَةً ثُمَّ انْهَزَمُوا ، فَقَتَلَ أَصْحَابُ مَعْقِلٍ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقَتَلُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْعُلُوجِ وَالْأَكْرَادِ ، وَانْهَزَمَ الْخِرِّيتُ بْنُ رَاشِدٍ فَلَحِقَ بِأَسْيَافِ الْبَحْرِ ، وَبِهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَمَا زَالَ يَسِيرُ فِيهِمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى خِلَافِ عَلِيٍّ وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْهُدَى فِي حَرْبِهِ ، حَتَّى اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ. |
| وَأَقَامَ مَعْقِلٌ بِأَرْضِ الْأَهْوَازِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ بِالْفَتْحِ ، فَقَرَأَ عَلِيٌّ الْكِتَابَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَاسْتَشَارَهُمْ ، قَالُوا كُلُّهُمْ نَرَى أَنْ تَأْمُرَ مَعْقِلًا أَنْ يَتْبَعَ آثَارَ الْفَاسِقِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَنْفِيَهُ ، فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ النَّاسَ. |
| فَكَتَبَ إِلَى مَعْقِلٍ يُثْنِي عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِاتِّبَاعِهِ وَقَتْلِهِ أَوْ نَفْيِهِ. |
| فَسَأَلَ مَعْقِلٌ عَنْهُ ، فَأُخْبِرَ بِمَكَانِهِ بِالْأَسْيَافِ وَأَنَّهُ قَدْ رَدَّ قَوْمَهُ عَنْ طَاعَةِ عَلِيٍّ ، وَأَفْسَدَ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَسَائِرِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ قَوْمُهُ قَدْ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ عَامَ صِفِّينَ وَذَلِكَ الْعَامَ. |
| فَسَارَ إِلَيْهِمْ مَعْقِلٌ ، فَأَخَذَ عَلَى فَارِسَ ، وَانْتَهَى إِلَى أَسْيَافِ الْبَحْرِ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ الْخِرِّيتُ بِمَسِيرِهِ قَالَ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِجِ أَنَا عَلَى رَأْيِكُمْ وَإِنَّ عَلِيًّا ، لَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يُحَكِّمَ. |
| وَقَالَ لِلْآخَرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ إِنَّ عَلِيًّا حَكَّمَ وَرَضِيَ ، فَخَلَعَهُ حَكَمُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ ، وَهَذَا كَانَ الرَّأْيُ الَّذِي خَرَجَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُوفَةِ وَإِلَيْهِ كَانَ يَذْهَبُ. |
| وَقَالَ سِرًّا لِلْعُثْمَانِيَّةِ أَنَا وَاللَّهِ عَلَى رَأْيِكُمْ ، قَدْ وَاللَّهِ قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُومًا. |
| فَأَرْضَى كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ. |
| وَقَالَ لِمَنْ مَنَعَ الصَّدَقَةَ شُدُّوا أَيْدِيَكُمْ عَلَى صَدَقَاتِكُمْ ، وَصِلُوا بِهَا أَرْحَامَكُمْ. |
| وَكَانَ فِيهَا نَصَارَى كَثِيرٌ قَدْ أَسْلَمُوا ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ قَالُوا وَاللَّهِ لَدِينُنَا الَّذِي خَرَجْنَا مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِ هَؤُلَاءِ ، لَا يَنْهَاهُمْ دِينُهُمْ عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ. |
| فَقَالَ لَهُمُ الْخِرِّيتُ وَيَحَكُمُ! |
| لَا يُنْجِيكُمْ مِنَ الْقَتْلِ إِلَّا قَتْلُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَالصَّبْرُ ، فَإِنَّ حُكْمَهُمْ فِيمَنْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ أَنْ يُقْتَلَ ، وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ تَوْبَةً وَلَا عُذْرًا. |
| فَخَدَعَهُمْ جَمِيعَهُمْ. |
| وَأَتَاهُ مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ وَغَيْرِهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ. |
| فَلَمَّا انْتَهَى مَعْقِلٌ إِلَيْهِ نَصَبَ رَايَةَ أَمَانٍ وَقَالَ مَنْ أَتَاهُمْ مِنَ النَّاسِ فَهُوَ آمِنٌ ، إِلَّا الْخِرِّيتُ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ حَارَبُونَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَتَفَرَّقَ عَنِ الْخِرِّيتِ جُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَعَبَّأَ مَعْقِلٌ أَصْحَابَهُ ، وَزَحَفَ نَحْوَ الْخِرِّيتِ وَمَعَهُ قَوْمُهُ مُسْلِمُهُمْ وَنَصْرَانِيُّهُمْ وَمَانِعُ الزَّكَاةِ مِنْهُمْ. |
| فَقَالَ الْخِرِّيتُ لِمَنْ مَعَهُ قَاتِلُوا عَنْ حَرِيمِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ لَيَقْتُلُنَّكُمْ وَلَيَسُبُنَّكُمْ. |
| فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ هَذَا وَاللَّهِ مَا جَرَّتْهُ عَلَيْنَا يَدُكَ وَلِسَانُكَ. |
| فَقَالَ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَذْلَ. |
| وَسَارَ مَعْقِلٌ فِي النَّاسِ يُحَرِّضُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ مَا تُرِيدُونَ أَفْضَلَ مِمَّا سَبَقَ لَكُمْ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ ؟ |
| إِنَّ اللَّهَ سَاقَكُمْ إِلَى قَوْمٍ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ ، وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَنَكَثُوا الْبَيْعَةَ ظُلْمًا ، فَأَشْهَدُ لِمَنْ يُقْتَلُ مِنْكُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مُقِرُّ عَيْنِهِ بِالْفَتْحِ. |
| ثُمَّ حَمَلَ مَعْقِلٌ وَجَمِيعُ مَنْ مَعَهُ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَصَبَرُوا لَهُ ، ثُمَّ إِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ صَهْبَانَ الرَّاسِبِيَّ بَصُرَ بِالْخِرِّيتِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ ، فَصُرِعَ عَنْ دَابَّتِهِ ، ثُمَّ اخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَقَتَلَهُ النُّعْمَانُ ، وَقُتِلَ مَعَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ سَبْعُونَ وَمِائَةُ رَجُلٍ ، وَذَهَبَ الْبَاقُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَسَبَى مَعْقِلٌ مَنْ أَدْرَكَ مِنْ حَرِيمِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَأَخَذَ رِجَالًا كَثِيرًا ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ ارْتَدَّ فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَرَجَعُوا ، فَخَلَّى سَبِيلَهُمْ وَسَبِيلَ عِيَالِهِمْ ، إِلَّا شَيْخًا كَبِيرًا نَصْرَانِيًّا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الرُّمَاحِسُ لَمْ يُسْلِمْ فَقَتَلَهُ ، وَجَمَعَ مَنْ مَنَعَ الصَّدَقَةَ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ صَدَقَةَ عَامَيْنِ ، وَأَمَّا النَّصَارَى وَعِيَالُهُمْ فَاحْتَمَلَهُمْ مُقْبِلًا بِهِمْ ، وَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُمْ يُشَيِّعُونَهُمْ ، فَلَمَّا وَدَّعُوهُمْ بَكَى الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، حَتَّى رَحِمَهُمُ النَّاسُ. |
| وَكَتَبَ مَعْقِلٌ إِلَى عَلِيٍّ بِالْفَتْحِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى مَرَّ عَلَى مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ ، وَهُوَ عَامِلُ عَلِيٍّ عَلَى أَرْدَشِيرَخُرَّهْ ، وَهُمْ خَمْسُمِائَةِ إِنْسَانٍ ، فَبَكَى النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَصَاحَ الرِّجَالُ يَا أَبَا الْفَضْلِ! |
| يَا حَامِيَ الرِّجَالِ وَمَأْوَى الْمُعْضَبِ ، وَفَكَّاكَ الْعُنَاةِ ، امْنُنْ عَلَيْنَا وَاشْتَرِنَا وَأَعْتِقْنَا! |
| فَقَالَ مَصْقَلَةُ أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَتَصَدَّقَنَّ عَلَيْكُمْ! |
| إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ. |
| فَبَلَغَ قَوْلُهُ مَعْقِلًا فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَالَهَا تَوَجُّعًا عَلَيْهِمْ وَإِزْرَاءً عَلَيْنَا لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ تَفَانِي تَمِيمٍ وَبَكْرٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ مَصْقَلَةَ اشْتَرَاهُمْ مِنْ مَعْقِلٍ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ عَجِّلِ الْمَالَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ أَنَا أَبْعَثُ الْآنَ بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ. |
| وَأَقْبَلَ مَعْقِلٌ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ ، فَاسْتَحْسَنَهُ ، وَبَلَغَ عَلِيًّا أَنَّ مَصْقَلَةَ أَعْتَقَ الْأَسْرَى ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ أَنْ يُعِينُوهُ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ مَا أَظُنُّ مَصْقَلَةَ إِلَّا قَدْ تَحَمَّلَ حَمَالَةً سَتَرَوْنَهُ عَنْ قَرِيبٍ مِنْهَا مُبَلَّدًا. |
| وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمَالَ أَوْ يَحْضُرُ عِنْدَهُ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ وَحَمَلَ مِنَ الْمَالِ مِائَتَيْ أَلْفٍ. |
| قَالَ ذُهْلُ بْنُ الْحَارِثِ فَاسْتَدْعَانِي لَيْلَةً فَطَعِمْنَا ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُنِي هَذَا الْمَالَ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ. |
| فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَوْ شِئْتَ مَا مَضَتْ جُمُعَةٌ حَتَّى تَحْمِلَهُ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأُحَمِّلَهَا قَوْمِي ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ هِنْدٍ مَا طَالَبَنِي بِهَا ، وَلَوْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ لَوَهَبَهَا لِي ، أَلَمْ تَرَهُ أَطْعَمَ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ كُلَّ سَنَةٍ مِنْ خَرَاجِ أَذْرَبَيْجَانَ مِائَةَ أَلْفٍ ؟ |
| قَالَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا لَا يَرَى ذَلِكَ الرَّأْيَ وَلَا يَتْرُكُ مِنْهَا شَيْئًا. |
| فَهَرَبَ مَصْقَلَةُ مِنْ لَيْلَتِهِ فَلَحِقَ بِمُعَاوِيَةَ ، وَبَلَغَ عَلِيًّا ذَلِكَ فَقَالَ مَا لَهُ تَرَّحَهُ اللَّهُ ، فَعَلَ فِعْلَ السَّيِّدِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبْدِ ، وَخَانَ خِيَانَةَ الْفَاجِرِ! |
| أَمَا إِنَّهُ لَوْ أَقَامَ فَعَجَزَ مَا زِدْنَا عَلَى حَبْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدْنَا لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَاهُ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُ. |
| ثُمَّ سَارَ عَلِيٌّ إِلَى دَارِهِ فَهَدَمَهَا ، وَأَجَازَ عِتْقَ السَّبْيِ وَقَالَ أَعْتَقَهُمْ مُبْتَاعُهُمْ وَصَارَتْ أَثْمَانُهُمْ دَيْنًا عَلَى مُعْتِقِهِمْ. |
| وَكَانَ أَخُوهُ نُعَيْمُ بْنُ هُبَيْرَةَ شِيعَةً لَعَلِيٍّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَصْقَلَةُ مِنَ الشَّامِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ نَصَارَى تَغْلِبَ اسْمُهُ حُلْوَانُ يَقُولُ لَهُ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ وَعَدَكَ الْإِمَارَةَ وَالْكَرَامَةَ ، فَأَقْبِلْ سَاعَةَ يَلْقَاكَ رَسُولِي ، وَالسَّلَامُ. |
| فَأَخَذَهُ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ فَسَرَّحَهُ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَطَعَ يَدَهُ ، فَمَاتَ ، وَكَتَبَ نُعَيْمٌ إِلَى مَصْقَلَةَ يَقُولُ لَا تَرْمِيَنَّ هَدَاكَ اللَّهُ مُعْتَرِضًا... |
| بِالظَّنِّ مِنْكَ فَمَا بَالِي وَحُلْوَانَا ذَاكَ الْحَرِيصُ عَلَى مَا نَالَ مِنْ طَمَعٍ... |
| وَهُوَ الْبَعِيدُ فَلَا يَحْزُنْكَ إِنْ خَانَا مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى إِرْسَالِهِ سَفَهًا... |
| تَرْجُو سِقَاطَ امْرِئٍ لَمْ يُلْفَ وَسْنَانَا قَدْ كُنْتَ فِي مَنْظَرٍ عَنْ ذَا وَمُسْتَمَعٍ... |
| تَحْمِي الْعِرَاقَ وَتُدْعَى خَيْرَ شَيْبَانَا حَتَّى تَقَحَّمْتَ أَمْرًا كُنْتَ تَكْرَهُهُ... |
| لِلرَّاكِبِينَ لَهُ سِرًّا وَإِعْلَانَا عَرَّضْتَهُ لِعَلِيٍّ إِنَّهُ أَسَدٌ... |
| يَمْشِي الْعِرَضْنَةَ مِنْ آسَادِ خَفَّانَا لَوْ كُنْتَ أَدَّيْتَ مَالَ الْقَوْمِ مُصْطَبِرًا... |
| لِلْحَقِّ أَحْيَيْتَ أَحْيَانَا وَمَوْتَانَا لَكِنْ لَحِقْتَ بِأَهْلِ الشَّامِ مُلْتَمِسًا... |
| فَضْلَ ابْنِ هِنْدٍ وَذَاكَ الرَّأْيُ أَشْجَانَا فَالْيَوْمَ تَقْرَعُ سِنَّ الْعَجْزِ مِنْ نَدَمٍ... |
| مَاذَا تَقُولُ وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَا فَالْيَوْمَ تُبْغِضُكَ الْأَحْيَاءُ قَاطِبَةً... |
| لَمْ يَرْفَعِ اللَّهُ بِالْبَغْضَاءِ إِنْسَانَا فَلَمَّا وَقَعَ الْكِتَابُ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ ، وَأَتَاهُ التَّغْلِبِيُّونَ فَطَلَبُوا مِنْهُ دِيَةَ صَاحِبِهِمْ ، فَوَدَاهُ لَهُمْ. |
| وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي بَنِي نَاجِيَةَ سَمَا لَكُمْ بِالْخَيْلِ قُودًا عَوَابِسًا... |
| أَخُو ثِقَةٍ مَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ غَازِيَا فَصَبَّحَكُمْ فِي رَجْلِهِ وَخُيُولِهِ... |
| بِضَرْبٍ تَرَى مِنْهُ الْمُدَجَّجَ هَاوِيَا فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ بَعْدِ كِبْرٍ وَنَخْوَةٍ... |
| عَبِيدَ الْعَصَا لَا تَمْنَعُونَ الذَّرَارِيَا وَقَالَ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ لَعَمْرِي لَئِنْ عَابَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَيَّ انْتِعَاشَ بَنِي نَاجِيَهْ... |
| لَأَعْظَمُ مِنْ عِتْقِهِمْ رِقُّهُمْ وَكَفِّي بِعِتْقِهِمُ مَالِيَهْ وَزَايَدْتُ فِيهِمْ لِإِطْلَاقِهِمْ وَغَالَيْتُ إِنَّ الْعُلَى غَالِيَهْ ذكر أَمْرِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ النَّهْرَوَانِ لَمَّا قُتِلَ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ خَرَجَ أَشْرَسُ بْنُ عَوْفٍ عَلَى عَلِيٍّ بِالدَّسْكَرَةِ فِي مِائَتَيْنِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْأَنْبَارِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ الْأَبْرَشَ بْنَ حَسَّانَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ فَوَاقَعَهُ ، فَقُتِلَ أَشْرَسُ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ. |
| ثُمَّ خَرَجَ هِلَالُ بْنُ عُلَّفَةَ مِنْ تَيْمِ الرِّبَابِ وَمَعَهُ أَخُوهُ مُجَالِدٌ ، فَأَتَى مَاسَبَذَانَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرِّيَاحَيَّ ، فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ ، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْنِ ، وَكَانَ قَتْلُهُمْ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ. |
| ثُمَّ خَرَجَ الْأَشْهَبُ بْنُ بِشْرٍ ، وَقِيلَ الْأَشْعَثُ وَهُوَ مِنْ بَجِيلَةَ فِي مِائَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَأَتَى الْمَعْرَكَةَ الَّتِي أُصِيبَ فِيهَا هِلَالٌ وَأَصْحَابُهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ ، وَدَفَنَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ جَارِيَةَ بْنَ قُدَامَةَ السَّعْدِيَّ ، وَقِيلَ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمُ الْأَشْهَبُ ، فَاقْتَتَلَا بُجَرْجَرَايَا مِنْ أَرْضِ جُوخَى ، فَقُتِلَ الْأَشْهَبُ وَأَصْحَابُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ. |
| ثُمَّ خَرَجَ سَعِيدُ بْنُ قُفْلٍ التَّيْمِيُّ مِنْ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فِي رَجَبٍ بِالْبَنْدَنِيجَيْنِ وَمَعَهُ مِائَتَا رِجْلٍ ، فَأَتَى دَرْزَنْجَانَ ، وَهِيَ مِنَ الْمَدَائِنِ عَلَى فَرْسَخَيْنِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَقَتَلَهُمْ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ. |
| ثُمَّ خَرَجَ أَبُو مَرْيَمَ السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ فَأَتَى شَهْرَزَوْرَ ، وَأَكْثَرُ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَوَالِي ، وَقِيلَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرُ سِتَّةِ نَفَرٍ ، هُوَ أَحَدُهُمْ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ مِائَتَا رَجُلٍ ، وَقِيلَ أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَعَادَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسِخَ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ وَدُخُولِ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَالَ لَيْسَ بَيْنَنَا غَيْرُ الْحَرْبِ. |
| فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ شُرَيْحَ بْنَ هَانِئٍ فِي سَبْعِمِائَةٍ ، فَحَمَلَ الْخَوَارِجُ عَلَى شُرَيْحٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَانْكَشَفُوا ، وَبَقِيَ شُرَيْحٌ فِي مِائَتَيْنِ ، فَانْحَازَ إِلَى قَرْيَةٌ ، فَتَرَاجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، وَدَخْلَ الْبَاقُونَ الْكُوفَةَ ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةَ بْنَ قُدَامَةَ السَّعْدِيَّ ، فَدَعَاهُمْ جَارِيَةُ إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ ، وَحَذَّرَهُمُ الْقَتْلَ فَلَمْ يُجِيبُوا ، وَلَحِقَهُمْ عَلِيٌّ أَيْضًا ، فَدَعَاهُمْ فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَتَلَهُمْ أَصْحَابُ عَلِيٍّ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ غَيْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا اسْتَأْمَنُوا فَآمَنَهُمْ. |
| وَكَانَ فِي الْخَوَارِجِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا جَرْحَى ، فَأَمَرَ عَلِيٌّ بِإِدْخَالِهِمُ الْكُوفَةَ وَمُدَاوَاتِهِمْ حَتَّى بَرَأُوا. |
| وَكَانَ قَتْلُهُمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانُوا مَنْ أَشْجَعِ مَنْ قَاتَلَ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَلِجُرْأَتِهِمْ قَارَبُوا الْكُوفَةَ . |
| ذكر عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ مِنْ قِبَلِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى مَكَّةَ. |
| وَكَانَ عَلَى الْيَمَنِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ خُلَيْدُ بْنُ قُرَّةَ الْيَرْبُوعِيُّ ، وَقِيلَ كَانَ ابْنُ أَبْزَى ، وَأَمَّا الشَّامُ وَمِصْرُ فَكَانَ بِهِمَا مُعَاوِيَةُ وَعُمَّالُهُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ ، فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَكَانَ عُمْرُهُ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ ذكر سَرَايَا أَهْلِ الشَّامِ إِلَى بِلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فَرَّقَ مُعَاوِيَةُ جُيُوشَهُ فِي الْعِرَاقِ فِي أَطْرَافِ عَلِيٍّ ، فَوَجَّهَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ ، وَفِيهَا مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ مَسْلَحَةٌ لَعَلِيٍّ فِي أَلْفِ رَجُلٍ ، وَكَانَ مَالِكٌ قَدْ أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ فَأَتَوُا الْكُوفَةَ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا مِائَةُ رَجُلٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِالنُّعْمَانِ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُهُ وَيَسْتَمِدُّهُ ، فَخَطَبَ عَلِيٌّ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَتَثَاقَلُوا ، وَوَاقَعَ مَالِكٌ النُّعْمَانَ ، وَجَعَلَ جِدَارَ الْقَرْيَةِ فِي ظُهُورِ أَصْحَابِهِ ، وَكَتَبَ مَالِكٌ إِلَى مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ يَسْتَعِينُهُ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ ، وَاقْتَتَلَ مَالِكٌ وَالنُّعْمَانُ أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَوَجَّهَ مِخْنَفُ ابْنَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فِي خَمْسِينَ رَجْلًا ، فَانْتَهَوْا إِلَى مَالِكٍ وَقَدْ كَسَرُوا جُفُونَ سُيُوفِهِمْ وَاسْتَقْتَلُوا ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَهْلُ الشَّامِ انْهَزَمُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ ، وَظَنُّوا أَنَّ لَهُمْ مَدَدًا ، وَتَبِعَهُمْ مَالِكٌ فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ. |
| وَلَمَّا تَثَاقَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى مَالِكٍ صَعِدَ عَلِيٌّ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، كُلَّمَا سَمِعْتُمْ بِجَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَظَلَّكُمُ انْجَحَرَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ فِي بَيْتِهِ ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ انْجِحَارَ الضَّبِّ فِي جُحْرِهِ وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا ، الْمَغْرُورُ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، لَا أَحْرَارَ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانَ عِنْدَ النِّجَاءِ! |
| وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! |
| مَاذَا مُنِيتُ بِهِ مِنْكُمْ ؟ |
| عُمْيٌ لَا يُبْصِرُونَ ، وَبُكْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَصُمٌّ لَا يَسْمَعُونَ! |
| إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. |
| وَوَجَّهَ مُعَاوِيَةُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا سُفْيَانَ بْنَ عَوْفٍ فِي سِتَّةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ هِيتَ فَيَقْطَعَهَا ، ثُمَّ يَأْتِيَ الْأَنْبَارَ ، وَالْمَدَائِنَ فَيُوقِعَ بِأَهْلِهَا. |
| فَأَتَى هِيتَ فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا ، ثُمَّ أَتَى الْأَنْبَارَ وَفِيهَا مَسْلَحَةٌ لِعَلِيٍّ تَكُونُ خَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَقَدْ تَفَرَّقُوا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا مِائَتَا رَجُلٍ ، وَكَانَ سَبَبُ تَفَرُّقِهِمْ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِمْ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا بِقَرْقِيسْيَا يُرِيدُونَ الْغَارَةَ عَلَى هِيتَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِغَيْرِ أَمْرِ عَلِيٍّ ، فَأَتَى أَصْحَابُ سُفْيَانَ وَكُمَيْلٌ غَائِبٌ عَنْهَا ، فَأَغْضَبَ ذَلِكَ عَلِيًّا عَلَى كُمَيْلٍ ، فَأَتَى إِلَيْهِ يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَطَمِعَ سُفْيَانُ فِي أَصْحَابِ عَلِيٍّ لِقِلَّتِهِمْ فَقَاتَلَهُمْ ، فَصَبَرَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ ثُمَّ قُتِلَ صَاحِبُهُمْ ، وَهُوَ أَشْرَسُ بْنُ حَسَّانَ الْبَكْرِيُّ ، وَثَلَاثُونَ رَجُلًا ، وَاحْتَمَلُوا مَا فِي الْأَنْبَارِ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِهَا ، وَرَجَعُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ عَلِيًّا فَأَرْسَلَ فِي طَلَبِهِمْ فَلَمْ يُدْرَكُوا. |
| وَفِيهَا أَيْضًا وَجَّهَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعَدَةَ بْنَ حَكَمَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيَّ فِي أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ إِلَى تَيْمَاءَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُصَدِّقَ مَنْ مَرَّ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي وَيَقْتُلَ مَنِ امْتَنَعَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَبَلَغَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَأَرْسَلَ الْمُسَيَّبَ بْنَ نَجَبَةَ الْفَزَارِيَّ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَلِحِقَ عَبْدَ اللَّهِ بِتَيْمَاءَ ، فَاقْتَتَلُوا حَتَّى زَالَتِ الشَّمْسُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَمَلَ الْمُسَيَّبُ عَلَى ابْنِ مَسْعَدَةَ ، فَضَرَبَهُ ثَلَاثَ ضَرَبَاتٍ لَا يُرِيدُ قَتْلَهُ ، وَيَقُولُ لَهُ النِّجَاءَ النِّجَاءَ! |
| فَدَخَلَ ابْنُ مَسْعَدَةَ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ الْحِصْنَ ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ نَحْوَ الشَّامِ ، وَانْتَهَبَ الْأَعْرَابُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ ابْنِ مَسْعَدَةَ ، وَحَصَرَهُ وَمَنْ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ أَلْقَى الْحَطَبَ فِي الْبَابِ وَحَرَّقَهُ ، فَلَمَّا رَأَوُا الْهَلَاكَ أَشْرَفُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا يَا مُسَيَّبُ قَوْمَكَ ، فَرَقَّ لَهُمْ ، وَأَمَرَ بِالنَّارِ فَأُطْفِئَتْ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ قَدْ جَاءَتْنِي عُيُونِي فَأَخْبَرُونِي أَنَّ جُنْدًا قَدْ أَتَاكُمْ مِنَ الشَّامِ. |
| فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَبِيبٍ سَرِّحْنِي فِي طَلَبِهِمْ ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ غَشَشْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدَاهَنْتَ فِي أَمْرِهِمْ. |
| وَفِيهَا أَيْضًا وَجَّهَ مُعَاوِيَةُ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَمُرَّ بِأَسْفَلِ وَاقِصَةَ ، وَيُغِيرَ عَلَى كُلٍّ مَنْ مَرَّ بِهِ مِمَّنْ هُوَ فِي طَاعَةِ عَلِيٍّ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَأَرْسَلَ ثَلَاثَةَ آلَافِ رَجُلٍ مَعَهُ ، فَسَارَ النَّاسُ ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَمَضَى إِلَى الثَّعْلَبِيَّةِ ، وَقَتَلَ وَأَغَارَ عَلَى مَسْلَحَةِ عَلِيٍّ ، وَانْتَهَى إِلَى الْقَطْقَطَانَةِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا أَرْسَلَ إِلَيْهِ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَأَعْطَاهُمْ خَمْسِينَ دِرْهَمًا خَمْسِينَ دِرْهَمًا ، فَلَحِقَ الضَّحَّاكُ بِتَدْمُرَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ رَجُلَانِ ، وَحَجَزَ بَيْنِهِمَا اللَّيْلُ ، فَهَرَبَ الضَّحَّاكُ وَأَصْحَابُهُ ، وَرَجَعَ حُجْرٌ وَمَنْ مَعَهُ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مُعَاوِيَةُ بِنَفْسِهِ حَتَّى شَارَفَ دِجْلَةَ ثُمَّ نَكَصَ رَاجِعًا. |
| وَاخْتُلِفَ فِيمَنْ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ ، فَقِيلَ حَجَّ بِالنَّاسِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ مِنْ قِبَلِ عَلِيٍّ ، وَقِيلَ بَلْ حَجَّ عَبْدُ اللَّهِ أَخُوهُ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ ، فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَحُجَّ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَى هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْحَجِّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ يَزِيدَ بْنَ شَجَرَةَ الرَّهَاوِيَّ ، فَاخْتَلَفَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَيَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ وَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَحُجَّ بِالنَّاسِ شَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي حَجَّ مِنْ جَانِبِ عَلِيٍّ قُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَكَانَ عُمَّالُ عَلِيٍّ عَلَى الْبِلَادِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| ذكر مَسِيرِ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ إِلَى مَكَّةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ دَعَا مُعَاوِيَةُ يَزِيدَ بْنَ شَجَرَةَ الرَّهَاوِيَّ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوَجِّهَكَ إِلَى مَكَّةَ لِتُقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ، وَتَأْخُذَ لِيَ الْبَيْعَةَ بِمَكَّةَ ، وَتَنْفِيَ عَنْهَا عَامِلَ عَلِيٍّ. |
| فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى مَكَّةَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، وَبِهَا قُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَامِلُ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِ قُثَمُ خَطَبَ أَهْلَ مَكَّةَ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِمَسِيرِ الشَّامِيِّينَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى حَرْبِهِمْ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ بِشَيْءٍ ، وَأَجَابَهُ شَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَبْدَرِيُّ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَعَزَمَ قُثَمُ عَلَى مُفَارَقَةِ مَكَّةَ وَاللَّحَاقِ بِبَعْضِ شِعَابِهَا ، وَمُكَاتَبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ ، فَإِنْ أَمَدَّهُ بِالْجُيُوشِ قَاتَلَ الشَّامِيِّينَ ، فَنَهَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنْ مُفَارَقَةِ مَكَّةَ وَقَالَ لَهُ أَقِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمُ الْقِتَالَ وَبِكَ قُوَّةٌ فَاعْمَلْ بِرَأْيِكَ ، وَإِلَّا فَالْمَسِيرُ عَنْهَا أَمَامَكَ. |
| فَأَقَامَ وَقَدِمَ الشَّامِيُّونَ وَلَمْ يَعْرِضُوا لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَأَرْسَلَ قُثَمُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُهُ ، فَسَيَّرَ جَيْشًا فِيهِمُ الرَّيَّانُ بْنُ ضَمْرَةَ بْنِ هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيُّ ، وَأَبُو الطُّفَيْلِ أَوَّلَ ذِي الْحِجَّةِ. |
| وَكَانَ قُدُومُ ابْنِ شَجَرَةَ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمَيْنِ ، فَنَادَى فِي النَّاسِ أَنْتُمْ آمِنُونَ إِلَّا مَنْ قَاتَلَنَا وَنَازَعَنَا. |
| وَاسْتَدْعَى أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ وَقَالَ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ الْإِلْحَادَ فِي الْحَرَمِ ، وَلَوْ شِئْتُ لَفَعَلْتُ لِمَا فِيهِ أَمِيرُكُمْ مِنَ الضَّعْفِ ، فَقُلْ لَهُ يَعْتَزِلِ الصَّلَاةَ بِالنَّاسِ ، وَأَعْتَزِلُهَا أَنَا ، وَيَخْتَارُ النَّاسُ رَجُلًا يُصَلِّي بِهِمْ. |
| فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ لِقُثَمَ ذَلِكَ ، فَاعْتَزَلَ الصَّلَاةَ ، وَاخْتَارَ النَّاسُ شَيْبَةَ بْنَ عُثْمَانَ فَصَلَّى بِهِمْ وَحَجَّ بِهِمْ. |
| فَلَمَّا قَضَى النَّاسُ حَجَّهَمْ رَجَعَ يَزِيدُ إِلَى الشَّامِ ، وَأَقْبَلَ خَيْلُ عَلِيٍّ فَأُخْبِرُوا بِعَوْدِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَتَبِعُوهُمْ ، وَعَلَيْهِمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ، فَأَدْرَكُوهُمْ وَقَدْ رَحَلُوا عَنْ وَادِي الْقُرَى ، فَظَفِرُوا بِنَفَرٍ مِنْهُمْ ، فَأَخَذُوهُمْ أَسَارَى ، وَأَخَذُوا مَا مَعَهُمْ وَرَجَعُوا بِهِمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَفَادَى بِهِمْ أَسَارَى كَانَتْ لَهُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ. |
| الرَّهَاوِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى الرِّهَاءِ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ ضَبَطَهُ عَبْدُ الْغَنِيِّ ابْنُ سَعِيدٍ بِفَتْحِ الرَّاءِ قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَأَمَّا الْمَدِينَةُ فَبِضَمِّ الرَّاءِ . |
| ذكر غَارَةِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ وَفِيهَا سَيَّرَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ قَبَاثِ بْنِ أَشْيَمَ إِلَى بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ، وَفِيهَا شَبِيبُ بْنُ عَامِرٍ جَدُّ الْكِرْمَانِيِّ الَّذِي كَانَ بِخُرَاسَانَ ، وَكَانَ شَبِيبٌ بِنَصِيبِينَ ، فَكَتَبَ إِلَى كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ ، وَهُوَ بِهِيتَ ، يُعْلِمْهُ الْخَبَرَ ، فَسَارَ كُمَيْلٌ إِلَيْهِ نَجْدَةً لَهُ فِي سِتِّمِائَةِ فَارِسٍ ، فَأَدْرَكُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَمَعَهُ مَعْنُ بْنُ يَزِيدَ السُّلَمِيُّ ، فَقَاتَلَهُمَا كُمَيْلٌ وَهَزَمَهُمَا ، فَغَلَبَ عَلَى عَسْكَرِهِمَا وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يُتْبَعَ مُدْبِرٌ وَلَا يُجْهَزَ عَلَى جَرِيحٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ كُمَيْلٍ رَجُلَانِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ بِالْفَتْحِ فَجَزَاهُ خَيْرًا ، وَأَجَابَهُ جَوَابًا حَسَنًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ لِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. |
| وَأَقْبَلَ شَبِيبُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ نَصِيبِينَ ، فَرَأَى كُمَيْلًا قَدْ أَوْقَعَ بِالْقَوْمِ ، فَهَنَّأَهُ بِالظَّفَرِ ، وَاتَّبَعَ الشَّامِيِّينَ ، فَلَمْ يَلْحَقْهُمْ ، فَعَبَرَ الْفُرَاتَ ، وَبَثَّ خَيْلَهُ فَأَغَارَتْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى بَلَغَ بَعْلَبَكَّ ، فَوَجَّهَ مُعَاوِيَةُ إِلَيْهِ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَلَمْ يُدْرِكْهُ ، وَرَجَعَ شَبِيبٌ فَأَغَارَ عَلَى نَوَاحِي الرَّقَّةِ فَلَمْ يَدَعْ لِلْعُثْمَانِيَّةِ بِهَا مَاشِيَةً إِلَّا اسْتَاقَهَا ، وَلَا خَيْلًا وَلَا سِلَاحًا إِلَّا أَخَذَهُ ، وَعَادَ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ يَنْهَاهُ عَنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ إِلَّا الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ ، وَقَالَ رَحِمَ اللَّهُ شَبِيبًا ، لَقَدْ أَبْعَدَ الْغَارَةَ وَعَجَّلَ الِانْتِصَارَ. |
| ذكر غَارَةِ الْحَارِثِ بْنِ نِمْرٍ التَّنُوخِيِّ وَلَمَّا قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَجَّهَ الْحَارِثَ بْنَ نِمْرٍ التَّنُوخِيَّ إِلَى الْجَزِيرَةِ لِيَأْتِيَهُ بِمَنْ كَانَ فِي طَاعَةِ عَلِيٍّ ، فَأَخَذَ مِنْ أَهْلِ دَارَا سَبْعَةَ نَفَرٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ ، وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ قَدْ فَارَقُوا عَلِيًّا إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَسَأَلُوهُ فِي إِطْلَاقِ أَصْحَابِهِمْ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَاعْتَزَلُوهُ أَيْضًا. |
| وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَلِيٍّ لِيُفَادِيَهُ بِمَنْ أَسَرَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أَصْحَابِ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ ، فَسَيَّرَهُمْ عَلِيٌّ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَأَطْلَقَ مُعَاوِيَةُ هَؤُلَاءِ ، وَبَعَثَ عَلِيٌّ رَجُلًا مِنْ خَثْعَمَ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَوْصِلِ لِيُسَكِّنَ النَّاسَ ، فَلَقِيَهُ أُولَئِكَ التَّغْلِبِيُّونَ الَّذِينَ اعْتَزَلُوا مُعَاوِيَةَ ، وَعَلَيْهِمْ قُرَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ التَّغْلِبِيُّ ، فَتَشَاتَمُوا ثُمَّ اقْتَتَلُوا فَقَتَلُوهُ ، فَأَرَادَ عَلِيٌّ أَنْ يُوَجِّهَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا ، فَكَلَّمَتْهُ رَبِيعَةُ وَقَالُوا هُمْ مُعْتَزِلُونَ لِعَدُوِّكَ دَاخِلُونَ فِي طَاعَتِكَ ، وَإِنَّمَا قَتَلُوهُ خَطَأً. |
| فَأَمْسَكَ عَنْهُمْ. |
| ذِكْرُ أَمْرِ ابْنِ الْعُشْبَةِ بَعَثَ مُعَاوِيَةُ زُهَيْرَ بْنَ مَكْحُولٍ الْعَامِرِيَّ مِنْ عَامِرِ الْأَجْدَارِ إِلَى السَّمَاوَةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ صَدَقَاتِ النَّاسِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَبَعَثَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْجَعِيَّ ، وَعُرْوَةَ بْنَ الْعُشْبَةِ ، وَالْجُلَاسَ بْنَ عُمَيْرٍ الْكَلْبِيَّيْنِ ، لِيُصَدِّقُوا مَنْ فِي طَاعَتِهِ مِنْ كَلْبٍ وَبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَوَافَوْا زُهَيْرًا فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ وَقُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَلَحِقَ ابْنُ الْعُشْبَةِ بِعَلِيٍّ ، فَعَنَّفَهُ وَعَلَاهُ بِالدِّرَّةِ ، فَغَضِبَ وَلَحِقَ بِمُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ زُهَيْرٌ قَدْ حَمَلَ ابْنَ الْعُشْبَةِ عَلَى فَرَسٍ ، فَلِذَلِكَ اتَّهَمَهُ. |
| وَأَمَّا الْجُلَاسُ فَإِنَّهُ مَرَّ بِرَاعٍ ، فَأَخَذَ جُبَّتَهُ ، وَأَعْطَاهُ جُبَّةَ خَزٍّ ، فَأَدْرَكَتْهُ الْخَيْلُ ، فَقَالُوا أَيْنَ أَخَذَ هَؤُلَاءِ التُّرَابِيُّونَ ؟ |
| فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَخَذُوا هَاهُنَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى الْكُوفَةِ ذكر أَمْرِ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ وَبَعْثَ مُعَاوِيَةُ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ الْمُرِّيَّ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ ، وَكَانَ أَهْلُهَا قَدِ امْتَنَعُوا مِنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ جَمِيعًا ، فَدَعَاهُمْ إِلَى طَاعَةِ مُعَاوِيَةَ وَبَيْعَتِهِ ، فَامْتَنَعُوا ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَسَيَّرَ مَالِكَ بْنَ كَعْبٍ الْهَمْدَانِيَّ فِي جَمْعٍ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ مُسْلِمٌ إِلَّا وَقَدْ وَافَاهُ مَالِكٌ ، فَاقْتَتَلُوا يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ مُسْلِمٌ مُنْهَزِمًا ، وَأَقَامَ مَالِكٌ أَيَّامًا يَدْعُو أَهْلَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ إِلَى الْبَيْعَةِ لِعَلِيٍّ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَقَالُوا لَا نُبَايِعُ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ ، فَانْصَرَفَ وَتَرَكَهُمْ. |
| وَفِيهَا تَوَجَّهَ الْحَارِثُ بْنُ مُرَّةَ الْعَبْدِيُّ إِلَى بِلَادِ السِّنْدِ غَازِيًا مُتَطَوِّعًا بِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، فَغَنِمَ وَأَصَابَ غَنَائِمَ وَسَبْيًا كَثِيرًا ، وَقَسَّمَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَلْفَ رَأْسٍ وَبَقِيَ غَازِيًا إِلَى أَنْ قُتِلَ بِأَرْضِ الْقِيقَانِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، إِلَّا قَلِيلًا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ بِلَادَ فَارِسَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى عَلِيُّ زِيَادًا كِرْمَانَ وَفَارِسَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عَلِيٍّ ، طَمِعَ أَهْلُ فَارِسَ وَكِرْمَانَ فِي كَسْرِ الْخَرَاجِ ، فَطَمِعَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَأَخْرَجُوا عَامِلَهُمْ ، وَأَخْرَجَ أَهْلُ فَارِسَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ ، فَاسْتَشَارَ عَلِيٌّ النَّاسَ فَقَالَ لَهُ جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ أَلَا أَدُلَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رَجُلٍ صُلْبِ الرَّأْيِ عَالِمٍ بِالسِّيَاسَةِ ، كَافٍ لِمَا وَلِيَ ؟ |
| قَالَ مَنْ هُوَ ؟ |
| قَالَ زِيَادٌ. |
| فَأَمَرَ عَلِيُّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَنْ يُوَلِّيَ زِيَادًا ، فَسَيَّرَهُ إِلَيْهَا فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَوَطِئَ بِهِمْ أَهْلَ فَارِسَ ، وَكَانَتْ قَدِ اضْطَرَمَتْ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ إِلَى رُؤُوسِهِمْ يَعِدُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُمَنِّيهِ ، وَيُخَوِّفُ مَنِ امْتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَضَرَبَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، فَدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى عَوْرَةِ بَعْضٍ ، وَهَرَبَتْ طَائِفَةٌ ، وَأَقَامَتْ طَائِفَةٌ ، فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَصَفَتْ لَهُ فَارِسُ وَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ جَمْعًا وَلَا حَرْبًا ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِكِرْمَانَ. |
| ثُمَّ رَجَعَ إِلَى فَارِسَ وَسَكَنَ النَّاسُ وَاسْتَقَامَتْ لَهُ ، وَنَزَلَ إِصْطَخْرَ ، وَحَصَّنَ قَلْعَةً تُسَمَّى قَلْعَةَ زِيَادٍ قُرَيْبَ إِصْطَخْرَ ، ثُمَّ تَحَصَّنَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْصُورٌ الْيَشْكُرِيُّ ، فَهِيَ تُسَمَّى قَلْعَةَ مَنْصُورٍ . |
| وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَشَارَ بِوِلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ الْبَدْرِيُّ ، وَقِيلَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ بَدْرِيٌّ لِأَنَّهُ نَزَلَ مَاءَ بَدْرٍ ، وَانْقَرَضَ عَقِبُهُ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ ذكر سَرِيَّةِ بُسْرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ إِلَى الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ ذكر سَرِيَّةِ بُسْرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ إِلَى الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ مُعَاوِيَةُ بُسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةَ ، وَهُوَ مِنْ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، وَبِهَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ عَامِلُ عَلِيٍّ عَلَيْهَا ، فَهَرَبَ أَبُو أَيُّوبَ فَأَتَى عَلِيًّا بِالْكُوفَةِ ، وَدَخَلَ بُسْرٌ الْمَدِينَةَ وَلَمْ يُقَاتِلْهُ أَحَدٌ ، فَصَعِدَ مِنْبَرَهَا فَنَادَى عَلَيْهِ يَا دِينَارُ ، يَا نَجَّارُ ، يَا زُرَيْقُ! |
| وَهَذِهِ بُطُونٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، شَيْخِي شَيْخِي ، عَهِدْتُهُ هَاهُنَا بِالْأَمْسِ ، فَأَيْنَ هُوَ ؟ |
| يَعْنِي عُثْمَانَ. |
| ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَوْلَا مَا عَهِدَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةُ مَا تَرَكْتُ بِهَا مُحْتَلِمًا. |
| فَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي سَلِمَةَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا لَكَمَ عِنْدِي أَمَانٌ حَتَّى تَأْتُونِي بِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ! |
| فَانْطَلَقَ جَابِرٌ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا مَاذَا تَرَيْنَ ؟ |
| إِنَّ هَذِهِ بَيْعَةُ ضَلَالَةٍ ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أُقْتَلَ. |
| قَالَتْ أَرَى أَنْ تُبَايِعَ ، فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُ ابْنِي عُمَرَ وَخَتَنِي ابْنَ زَمْعَةَ أَنْ يُبَايِعَا ، وَكَانَتِ ابْنَتُهَا زَيْنَبُ تَحْتَ ابْنِ زَمْعَةَ ، فَأَتَاهُ جَابِرٌ فَبَايَعَهُ. |
| وَهَدَمَ بِالْمَدِينَةِ دُورًا ثُمَّ سَارَ إِلَى مَكَّةَ ، فَخَافَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَأَكْرَهَ النَّاسَ عَلَى الْبَيْعَةِ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَكَانَ عَلَيْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَامِلًا لِعَلِيٍّ ، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ. |
| وَاسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ عَلَى الْيَمَنِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمُدَانِ الْحَارِثِيَّ ، فَأَتَاهُ بُسْرٌ فَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ ابْنَهُ ، وَأَخَذَ ابْنَيْنِ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ صَغِيرَيْنِ هَمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقُثَمُ فَقَتَلَهُمَا ، وَكَانَا عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ كِنَانَةٍ بِالْبَادِيَةِ ، فَلَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُمَا قَالَ لَهُ الْكِنَانِيُّ لِمَ تَقْتُلُ هَذَيْنِ وَلَا ذَنْبَ لَهُمَا ؟ |
| فَإِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُمَا فَاقْتُلْنِي مَعَهُمَا! |
| فَقَتَلَهُ وَقَتَلَهُمَا بَعْدَهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْكِنَانِيَّ أَخَذَ سَيْفَهُ وَقَاتَلَ عَنِ الْغُلَامَيْنِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّيْثُ مَنْ يَمْنَعُ حَافَاتِ الدَّارِ... |
| وَلَا يَزَالُ مُصْلِتًا دُونَ الْجَارِ وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. |
| وَأَخَذَ الْغُلَامَيْنِ فَدَفَنَهُمَا. |
| فَخَرَجَ نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ يَا هَذَا! |
| قَتَلْتَ الرِّجَالَ فَعَلَامَ تَقْتُلُ هَذَيْنِ ؟ |
| وَاللَّهِ مَا كَانُوا يُقْتَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ! |
| وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَبِي أَرْطَاةَ إِنَّ سُلْطَانًا لَا يَقُومُ إِلَّا بِقَتْلِ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، وَنَزْعِ الرَّحْمَةِ ، وَعُقُوقِ الْأَرْحَامِ لَسُلْطَانُ سُوءٍ! |
| وَقَتَلَ بُسْرٌ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ جَمَاعَةً مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ بِالْيَمَنِ ، وَبَلَغَ عَلِيًّا الْخَبَرُ ، فَأَرْسَلَ جَارِيَةَ بْنَ قُدَامَةَ السَّعْدِيَّ فِي أَلْفَيْنِ ، وَوَهْبَ بْنَ مَسْعُودٍ فِي أَلْفَيْنِ ، فَسَارَ جَارِيَةُ حَتَّى أَتَى نَجْرَانَ ، فَقَتَلَ بِهَا نَاسًا مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ ، وَهَرَبَ بُسْرٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْهُ ، وَاتَّبَعَهُ جَارِيَةُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَقَالَ بَايِعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالُوا قَدْ هَلَكَ فَلِمَنْ نُبَايِعُ ؟ |
| قَالَ لِمَنْ بَايَعَ لَهُ أَصْحَابُ عَلِيٍّ. |
| فَبَايَعُوا خَوْفًا مِنْهُ. |
| ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، فَقَالَ جَارِيَةُ لَوْ وَجَدْتُ أَبَا سِنَّوْرٍ لَقَتَلْتُهُ. |
| ثُمَّ قَالَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ بَايِعُوا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَبَايَعُوهُ ، وَأَقَامَ يَوْمَهُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ وَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُصَلِّي بِهِمْ. |
| وَكَانَتْ أُمَّ ابْنَيْ عُبَيْدِ اللَّهِ أُمُّ الْحَكَمِ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ قَارِظٍ ، وَقِيلَ عَائِشَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُدَانِ . |
| فَلَمَّا قُتِلَ وَلَدَاهَا وَلِهَتْ عَلَيْهِمَا ، فَكَانَتْ لَا تَعْقِلْ وَلَا تُصْفِي ، وَلَا تَزَالُ تَنْشُدُهُمَا فِي الْمَوَاسِمِ فَتَقُولُ يَا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هُمَا... |
| كَالدُّرَّتَيْنِ تَشَظَّى عَنْهُمَا الصَّدَفُ يَا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هُمَا... |
| مُخُّ الْعِظَامِ فَمُخِّي الْيَوْمَ مُزْدَهَفُ يَا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هُمَا... |
| قَلْبِي وَسَمْعِي فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُخْتَطَفُ مِنْ ذُلِّ وَالِهَةٍ حَيْرَى مُدَلَّهَةٍ... |
| عَلَى صَبِيَّيْنِ ذُلَّا إِذْ غَدَا السَّلَفُ نُبِّئْتُ بُسْرًا وَمَا صَدَّقْتُ مَا زَعَمُوا... |
| مِنْ إِفْكِهِمْ وَمِنَ الْقَوْلِ الَّذِي اقْتَرَفُوا أَحَنَى عَلَى وَدِجَيْ إبْنَيَّ مُرْهَفَةً... |
| مِنَ الشِّفَارِ ، كَذَاكَ الْإِثْمُ يُقْتَرَفُ وَهِيَ أَبْيَاتٌ مَشْهُورَةٌ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِهِمَا جَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا وَدَعَا عَلَى بُسْرٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْلُبْهُ دِينَهُ وَعَقْلَهُ! |
| فَأَصَابَهُ ذَلِكَ وَفَقَدَ عَقْلَهُ ، فَكَانَ يَهْذِي بِالسَّيْفِ وَيَطْلُبُهُ فَيُؤْتَى بِسَيْفٍ مِنْ خَشَبٍ ، وَيُجْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ زِقٌّ مَنْفُوخٌ ، فَلَا يَزَالُ يَضْرِبُهُ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ. |
| وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَعِنْدَهُ بُسْرٌ ، فَقَالَ لِبُسْرٍ وَدِدْتُ أَنَّ الْأَرْضَ أَنْبَتَتْنِي عِنْدَكَ حِينَ قَتَلْتَ وَلَدَيَّ. |
| فَقَالَ بُسْرٌ هَاكَ سَيْفِي. |
| فَأَهْوَى عُبَيْدُ اللَّهِ لِيَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَهُ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ لِبُسْرٍ أَخْزَاكَ اللَّهُ شَيْخًا قَدْ خَرِفْتَ! |
| وَاللَّهِ لَوْ تَمَكَّنَ مِنْهُ لَبَدَأَ بِي! |
| قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَجَلْ ، ثُمَّ ثَنَّيْتُ بِهِ. |
| سَلِمَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ ، بَطْنٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . |
| وَقِيلَ إِنَّ مَسِيرَ بُسْرٍ إِلَى الْحِجَازِ كَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ شَهْرًا يَسْتَعْرِضُ النَّاسَ ، لَا يُقَالُ لَهُ عَنْ أَحَدٍ إِنَّهُ شَرِكَ فِي دَمِ عُثْمَانَ إِلَّا قَتَلَهُ. |
| وَفِيهَا جَرَتْ مُهَادَنَةٌ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ بَعْدَ مُكَاتَبَاتٍ طَوِيلَةٍ عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ ، وَيَكُونُ لَعَلِيٍّ الْعِرَاقُ ، وَلِمُعَاوِيَةَ الشَّامُ ، لَا يَدْخُلُ أَحَدُهُمَا بَلَدَ الْآخَرِ بِغَارَةٍ. |
| بُسْرٌ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ. |
| زُرَيْقٌ بِالزَّايِ وَالرَّاءِ ، قَبِيلَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَيْضًا. |
| وَجَارِيَةُ بِالْجِيمِ وَالرَّاءِ . |
| ذِكْرُ فِرَاقِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْبَصْرَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَلَحِقَ بِمَكَّةَ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ السِّيَرِ ، وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ وَقَالَ لَمْ يَزَلْ عَامِلًا عَلَيْهَا لَعَلِيٍّ حَتَّى قُتِلَ عَلِيٌّ ، وَشَهِدَ صُلْحَ الْحَسَنِ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ. |
| وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. |
| وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي شَهِدَ صُلْحَ الْحَسَنِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي الْأَسْوَدِ فَقَالَ لَوْ كُنْتَ مِنَ الْبَهَائِمِ لَكُنْتَ جَمَلًا ، وَلَوْ كُنْتَ رَاعِيًا لَمَا بَلَغْتَ الْمَرْعَى. |
| فَكَتَبَ أَبُو الْأَسْوَدِ إِلَى عَلِيٍّ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَكَ وَالِيًا مُؤْتَمَنًا ، وَرَاعِيًا مُسْتَوْلِيًا ، وَقَدْ بَلَوْنَاكَ فَوَجَدْنَاكَ عَظِيمَ الْأَمَانَةِ ، نَاصِحًا لِلرَّعِيَّةِ ، تُوَفِّرُ لَهُمْ فَيْئَهُمْ ، وَتَكُفُّ نَفْسَكَ عَنْ دُنْيَاهُمْ ، وَلَا تَأْكُلُ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَرْتَشِي فِي أَحْكَامِهِمْ ، وَإِنَّ ابْنَ عَمِّكَ قَدْ أَكَلَ مَا تَحْتَ يَدَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمِكَ ، وَلَمْ يَسَعْنِي كِتْمَانُكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَانْظُرْ فِيمَا هُنَاكَ ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ بِرَأْيِكَ فِيمَا أَحْبَبْتَ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ أَمَّا بَعْدُ فَمِثْلُكَ نَصَحَ الْإِمَامَ وَالْأُمَّةَ ، وَوَالَى عَلَى الْحَقِّ ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِكَ فِيمَا كَتَبْتَ إِلَيَّ ، وَلَمْ أُعْلِمْهُ بِكِتَابِكَ ، فَلَا تَدَعْ إِعْلَامِي بِمَا يَكُونُ بِحَضْرَتِكَ مِمَّا النَّظَرُ فِيهِ صَلَاحٌ لِلْأُمَّةِ ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ جَدِيرٌ ، وَهُوَ حُقٌّ وَاجِبٌ عَلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ. |
| وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الَّذِي بَلَغَكَ بَاطِلٌ ، وَإِنِّي لِمَا تَحْتَ يَدَيَّ لَضَابِطٌ وَلَهُ حَافِظٌ ، فَلَا تُصَدِّقِ الظُّنُونَ وَالسَّلَامُ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ أَمَّا بَعْدُ ، فَأَعْلِمْنِي مَا أَخَذْتَ مِنَ الْجِزْيَةِ ، وَمِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ ، وَفِيمَا وَضَعْتَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ فَهِمْتُ تَعْظِيمَكَ مَرْزَأَةَ مَا بَلَغَكَ ، إِنِّي رَزَأْتُهُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ ، فَابْعَثْ إِلَى عَمَلِكَ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنِّي ظَاعِنٌ عَنْهُ ، وَالسَّلَامُ. |
| وَاسْتَدْعَى أَخْوَالَهُ مِنْ بَنِي هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، فَاجْتَمَعَتْ مَعَهُ قَيْسٌ كُلُّهَا فَحَمَلَ مَالًا وَقَالَ هَذِهِ أَرْزَاقُنَا اجْتَمَعَتْ ، فَتَبِعَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَلَحِقُوهُ بِالطَّفِّ يُرِيدُونَ أَخْذَ الْمَالِ ، فَقَالَتْ قَيْسٌ وَاللَّهِ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ وَفِينَا عَيْنٌ تَطْرِفُ! |
| فَقَالَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ الْحُدَّانِيُّ يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، إِنَّ قَيْسًا إِخْوَانُنَا وَجِيرَانُنَا وَأَعْوَانُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، وَإِنَّ الَّذِي يُصِيبُكُمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ لَقَلِيلٌ ، وَهُمْ لَكُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ. |
| فَأَطَاعُوهُ فَانْصَرَفُوا وَانْصَرَفَتْ مَعَهُمْ بَكْرٌ وَعَبْدُ الْقَيْسِ وَقَاتَلَهُمْ بَنُو تَمِيمٍ ، فَنَهَاهُمُ الْأَحْنَفُ ، فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ ، فَاعْتَزَلَهُمْ وَحَجَزَ النَّاسُ بَيْنَهُمْ ، وَمَضَى ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى مَكَّةَ. |
| ذكر مَقْتَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ عَلِيٌّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ ، وَقِيلَ لِإِحْدَى عَشْرَةَ ، وَقِيلَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْهُ ، وَقِيلَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخَرِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ. |
| وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. |
| قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ « مَرِضَ عَلِيٌّ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا نَرَاهُ إِلَّا مَيِّتًا. |
| فَقَالَ "لَنْ يَمُوتَ هَذَا الْآنَ ، وَلَنْ يَمُوتَ حَتَّى يُمْلَأَ غَيْظًا ، وَلَنْ يَمُوتَ إِلَّا مَقْتُولًا ». |
| وَقِيلَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ إِنَّ عَلِيَّا كَانَ يَقُولُ مَا يَمْنَعُ أَشْقَاكُمْ أَنْ يُخَضِّبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ؟ |
| يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ. |
| وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ كَانَ عَلِيٌّ لَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ يَتَعَشَّى لَيْلَةً عِنْدَ الْحَسَنِ ، وَلَيْلَةً عِنْدَ الْحُسَيْنِ ، وَلَيْلَةً عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ ، لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ لُقَمٍ ، يَقُولُ أُحِبُّ أَنْ يَأْتِينِي أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا خَمِيصٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ لَيْلَةٌ أَوْ لَيْلَتَانِ ، فَلَمْ تَمْضِ لَيْلَةٌ حَتَّى قُتِلَ. |
| وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ خَرَجَ عَلِيٌّ مِنَ الْفَجْرِ فَأَقْبَلَ الْإِوَزُّ يَصِحْنَ فِي وَجْهِهِ ، فَطَرَدُوهُنَّ عَنْهُ ، فَقَالَ ذَرُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوَائِحُ ، فَضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ فِي لَيْلَتِهِ. |
| وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ عَلِيٌّ خَرَجْتُ الْبَارِحَةَ وَأَبِي يُصَلِّي فِي مَسْجِدِ دَارِهِ ، فَقَالَ لِي يَا بُنَيَّ إِنِّي بِتُّ أُوقِظُ أَهْلِي ، لِأَنَّهَا لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ بَدْرٍ ، فَمَلَكَتْنِي عَيْنَايَ ، فَنِمْتُ ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ ؟ |
| قَالَ وَالْأَوَدُ الْعِوَجُ ، وَاللَّدَدُ الْخُصُومَاتُ فَقَالَ لِي ادْعُ عَلَيْهِمْ. |
| فَقُلْتُ اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهِمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي! |
| فَجَاءَ ابْنُ النَّبَّاحِ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ ، فَخَرَجَ وَخَرَجَتُ خَلْفَهُ ، فَضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ فَقَتَلَهُ. |
| وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا رَأَى ابْنَ مُلْجَمٍ قَالَ أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي... |
| عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُلْجَمٍ الْمُرَادِيَّ ، وَالْبُرَكَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيَّ الصُّرَيْمِيَّ ، وَقِيلَ اسْمُ الْبُرَكِ الْحَجَّاجُ ، وَعَمْرُو بْنُ بَكْرٍ التَّمِيمِيُّ السَّعْدِيُّ وَهُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ اجْتَمَعُوا فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ النَّاسِ ، وَعَابُوا عَمَلَ وُلَاتِهِمْ ثُمَّ ذَكَرُوا أَهْلَ النَّهْرِ ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا مَا نَصْنَعُ بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُمْ ؟ |
| فَلَوْ شَرَيْنَا أَنْفُسَنَا ، وَقَتَلْنَا أَئِمَّةَ الضَّلَالَةِ ، وَأَرَحْنَا مِنْهُمُ الْبِلَادَ! |
| فَقَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ أَنَا أَكْفِيكُمْ عَلِيًّا ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ . |
| وَقَالَ الْبُرَكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَا أَكْفِيكُمْ مُعَاوِيَةَ. |
| وَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَكْرٍ أَنَا أَكْفِيكُمْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ. |
| فَتَعَاهَدُوا أَنْ لَا يَنْكُصَ أَحَدُهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَمُوتَ دُونَهُ ، وَأَخَذُوا سُيُوفَهُمْ فَسَمُّوهَا ، وَاتَّعَدُوا لِسَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ. |
| وَقَصَدَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمُ الْجِهَةَ الَّتِي يُرِيدُ ، فَأَتَى ابْنُ مُلْجَمٍ الْكُوفَةَ ، فَلَقِيَ أَصْحَابَهُ بِالْكُوفَةِ وَكَتَمَهُمْ أَمْرَهُ ، وَرَأَى يَوْمًا أِصْحَابًا لَهُ مِنْ تَيْمِ الرِّبَابِ ، وَكَانَ عَلِيٌّ قَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ يَوْمَ النَّهْرِ عِدَّةً ، فَتَذَاكَرُوا قَتْلَى النَّهْرِ ، وَلَقِيَ مَعَهُمُ امْرَأَةً مِنْ تَيْمِ الرِّبَابِ اسْمُهَا قَطَامِ ، وَقَدْ قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا يَوْمَ النَّهْرِ ، وَكَانَتْ فَائِقَةَ الْجَمَالِ. |
| فَلَمَّا رَآهَا أَخَذَتْ قَلْبَهُ فَخَطَبَهَا. |
| فَقَالَتْ لَا أَتَزَوَّجُكَ حَتَّى تَشْتَفِيَ لِي. |
| فَقَالَ وَمَا تُرِيدِينَ ؟ |
| قَالَتْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَعَبْدًا وَقَيْنَةً ، وَقَتْلَ عَلِيٍّ. |
| فَقَالَ أَمَّا قَتْلُ عَلِيٍّ فَمَا أَرَاكِ ذَكَرْتِهِ وَأَنْتِ تُرِيدِينَنِي. |
| قَالَتْ بَلَى ، الْتَمِسْ غُرَّتَهُ ، فَإِنْ أَصَبْتَهُ شَفَيْتَ نَفْسَكَ وَنَفْسِي وَنَفَعَكَ الْعَيْشُ مَعِي ، وَإِنْ قُتِلْتَ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. |
| قَالَ وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِي إِلَّا قَتْلُ عَلِيٍّ ، فَلَكِ مَا سَأَلْتِ. |
| قَالَتْ سَأَطْلُبُ لَكَ مَنْ يَشُدُّ ظَهْرَكَ وَيُسَاعِدُكَ. |
| وَبَعَثَتْ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا اسْمُهُ وَرْدَانُ وَكَلَّمَتْهُ ، فَأَجَابَهَا ، وَأَتَى ابْنُ مُلْجَمٍ رَجُلًا مِنْ أَشْجَعَ اسْمُهُ شَبِيبُ بْنُ بَجَرَةَ فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ فِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟ |
| قَالَ وَمَاذَا ؟ |
| قَالَ قَتْلُ عَلِيٍّ. |
| قَالَ شَبِيبٌ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! |
| لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِدًّا! |
| كَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ ؟ |
| قَالَ أَكْمُنُ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ الْغَدَاةَ شَدَدْنَا عَلَيْهِ فَقَتَلْنَاهُ ، فَإِنْ نَجَوْنَا فَقَدْ شَفَيْنَا أَنْفُسَنَا ، وَإِنْ قُتِلْنَا فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. |
| قَالَ وَيْحَكَ! |
| لَوْ كَانَ غَيْرَ عَلِيٍّ كَانَ أَهْوَنَ ، قَدْ عَرَفْتُ سَابِقَتَهُ وَفَضْلَهُ وَبَلَاءَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَا أَجِدُنِي أَنْشَرِحُ لِقَتْلِهِ. |
| قَالَ أَمَا تَعْلَمُهُ قَتَلَ أَهْلَ النَّهْرِ الْعِبَادَ الصَّالِحِينَ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ فَنَقْتُلُهُ بِمَنْ قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِنَا. |
| فَأَجَابَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدَ ابْنُ مُلْجَمٍ أَصْحَابَهُ عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ ، وَقَتْلِ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرٍو ، أَخَذَ سَيْفَهُ وَمَعَهُ شَبِيبٌ وَوَرْدَانُ ، وَجَلَسُوا مُقَابِلَ السُّدَّةِ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا عَلِيٌّ لِلصَّلَاةِ ، فَلَمَّا خَرَجَ عَلِيٌّ نَادَى أَيُّهَا النَّاسُ الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ. |
| فَضَرَبَهُ شَبِيبٌ بِالسَّيْفِ ، فَوَقَعَ سَيْفُهُ بِعِضَادَةِ الْبَابِ ، وَضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى قَرْنِهِ بِالسَّيْفِ ، وَقَالَ الْحُكْمُ لِلَّهِ لَا لَكَ يَا عَلِيُّ وَلَا لِأَصْحَابِكَ ! |
| وَهَرَبَ وَرْدَانُ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَأَخْبَرَهُ وَرْدَانُ بِمَا كَانَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ وَجَاءَ بِسَيْفِهِ فَضَرَبَ بِهِ وَرْدَانَ حَتَّى قَتَلَهُ. |
| وَهَرَبَ شَبِيبٌ فِي الْغَلَسِ ، وَصَاحَ النَّاسُ ، فَلَحِقَهُ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ يُقَالُ لَهُ عُوَيْمِرٌ ، وَفِي يَدِ شَبِيبٍ السَّيْفُ ، فَأَخَذَهُ وَجَلَسَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى الْحَضْرَمِيُّ النَّاسَ قَدْ أَقْبَلُوا فِي طَلَبِهِ وَسَيْفُ شَبِيبٍ فِي يَدِهِ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ فَتَرَكَهُ وَنَجَا ، وَهَرَبَ شَبِيبٌ فِي غِمَارِ النَّاسِ. |
| وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلِيًّا قَالَ لَا يَفُوتَنَّكُمُ الرَّجُلُ. |
| فَشَدَّ النَّاسُ عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ ، وَتَأَخَّرَ عَلِيٌّ وَقَدِمَ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهِ أُمِّ هَانِئٍ ، يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْغَدَاةَ ، وَقَالَ عَلِيٌّ أَحْضِرُوا الرَّجُلَ عِنْدِي. |
| فَأُدْخِلُ عَلَيْهِ. |
| فَقَالَ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! |
| أَلَمْ أُحْسِنْ إِلَيْكَ ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ |
| قَالَ شَحَذْتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَقْتُلَ بِهِ شَرَّ خَلْقِهِ. |
| فَقَالَ عَلِيٌّ لَا أَرَاكَ إِلَّا مَقْتُولًا بِهِ ، وَلَا أَرَاكَ إِلَّا مِنْ شَرِّ خَلْقِ اللَّهِ. |
| ثُمَّ قَالَ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، إِنْ هَلَكْتُ فَاقْتُلُوهُ كَمَا قَتَلَنِي ، وَإِنْ بَقِيتُ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْيِي ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفَيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، تَقُولُونَ قَدْ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ إِلَّا قَاتِلِي ، انْظُرْ يَا حَسَنُ إِنْ أَنَا مِتٌّ مِنْ ضَرْبَتِي هَذِهِ ، فَاضْرِبْهُ ضَرْبَةً ، وَلَا تُمَثِّلَنَّ بِالرَّجُلِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " « إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ » ". |
| هَذَا كُلُّهُ وَابْنُ مُلْجَمٍ مَكْتُوفٌ. |
| فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ كُلْثُومٍ ابْنَةُ عَلِيٍّ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! |
| لَا بَأْسَ عَلَى أَبِي ، وَاللَّهُ مُخْزِيكَ! |
| قَالَ فَعَلَى مَنْ تَبْكِينَ ؟ |
| وَاللَّهِ إِنَّ سَيْفِي اشْتَرَيْتُهُ بِأَلْفٍ ، وَسَمَّمْتُهُ بِأَلْفٍ ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الضَّرْبَةُ بِأَهْلِ مِصْرٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. |
| وَدَخَلَ جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ إِنْ فَقَدْنَاكَ ، وَلَا نَفْقِدُكَ ، فَنُبَايِعُ الْحَسَنَ ؟ |
| قَالَ مَا آمُرُكُمْ وَلَا أَنْهَاكُمْ ، أَنْتُمْ أَبْصَرُ. |
| ثُمَّ دَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ لَهُمَا أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا ، وَلَا تَبْكِيَا عَلَى شَيْءٍ زُوِيَ عَنْكُمَا ، وَقُولَا الْحَقَّ ، وَارْحَمَا الْيَتِيمَ ، وَأَعِينَا الضَّائِعَ ، وَاصْنَعَا لِلْآخِرَةِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصِيمًا ، وَلِلْمَظْلُومِ نَاصِرًا ، وَاعْمَلَا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا تَأْخُذْكُمَا فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. |
| ثُمَّ نَظَرَ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ فَقَالَ هَلْ حَفِظْتَ مَا أَوْصَيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ فَإِنِّي أُوصِيكَ بِمِثْلِهِ ، وَأُوصِيكَ بِتَوْقِيرِ أَخَوَيْكَ ، لِعَظِيمِ حَقِّهِمَا عَلَيْكَ فَاتَّبِعْ أَمْرَهُمَا وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا. |
| ثُمَّ قَالَ أُوصِيكُمَا بِهِ ، فَإِنَّهُ شَقِيقُكُمَا وَابْنُ أَبِيكُمَا ، وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُحِبُّهُ. |
| وَقَالَ لِلْحَسَنِ أُوصِيكَ أَيْ بُنَيَّ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عِنْدَ مَحَلِّهَا ، وَحُسْنِ الْوُضُوءِ ، فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ إِلَّا بِطُهُورٍ ، وَأُوصِيكَ بِغَفْرِ الذَّنْبِ ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَالْحِلْمِ عَنِ الْجَاهِلِ ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ ، وَالتَّثَبُّتِ فِي الْأَمْرِ ، وَالتَّعَاهُدِ لِلْقُرْآنِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَاجْتِنَابِ الْفَوَاحِشِ. |
| ثُمَّ كَتَبَ وَصِيَّتَهً وَلَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ . |
| وَغَسَّلَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ. |
| فَلَمَّا قُبِضَ بَعَثَ الْحَسَنُ إِلَى ابْنِ مُلْجَمٍ فَأَحْضَرَهُ ، فَقَالَ لِلْحَسَنِ هَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ ؟ |
| إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ أَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا أَنْ لَا أُعَاهِدَ عَهْدًا إِلَّا وَفَيْتُ بِهِ ، وَإِنِّي عَاهَدْتُ اللَّهَ عِنْدَ الْحَطِيمِ أَنْ أَقْتُلَ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ ، أَوْ أَمُوتَ دُونَهُمَا ، فَإِنْ شِئْتَ خَلَّيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَلَكَ اللَّهُ عَلَيَّ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَوْ قَتَلْتُهُ ثُمَّ بَقِيتُ أَنْ آتِيَكَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِكَ. |
| فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُعَايِنَ النَّارَ. |
| ثُمَّ قَدَّمَهُ فَقَتَلَهُ ، وَأَخَذَهُ النَّاسُ فَأَدْرَجُوهُ فِي بَوَارِيَّ وَأَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ. |
| قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَصَمِّ قُلْتُ لِلْحُسْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّ هَذِهِ الشِّيعَةَ تَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا مَبْعُوثٌ قَبْلَ الْقِيَامَةِ! |
| فَقَالَ كَذِبَ وَاللَّهِ هَؤُلَاءِ الشِّيعَةُ ، لَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ قَبْلَ الْقِيَامَةِ مَا زَوَّجْنَا نِسَاءَهُ ، وَلَا قَسَّمْنَا مَالَهُ. |
| أَمَّا قَوْلُهُ هَذِهِ الشِّيعَةُ ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَعْنِي طَائِفَةً مِنْهَا ، فَإِنَّ كُلَّ شِيعَةٍ لَا تَقُولُ هَذَا ، إِنَّمَا تَقُولُهُ طَائِفَةٌ يَسِيرَةٌ مِنْهُمْ ، وَمِنْ مَشْهُورِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ جَابِرُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ الْكُوفِيُّ ، وَقَدِ انْقَرَضَ الْقَائِلُونَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ فِيمَا نَعْلَمُهُ. |
| بَجَرَةَ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالْجِيمِ. |
| وَالْبُرَكِ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ وَآخِرُهُ كَافٌ . |
| وَأَمَّا الْبُرَكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ قَعَدَ لِمُعَاوِيَةَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي ضُرِبَ فِيهَا عَلِيٌّ ، فَلَمَّا خَرَجَ مُعَاوِيَةُ لِيُصَلِّيَ الْغَدَاةَ ، شَدَّ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ ، فَوَقَعَ السَّيْفُ فِي أَلْيَتِهِ ، فَأُخِذَ ، فَقَالَ إِنْ عِنْدِي خَبَرًا أُسِرُّكَ بِهِ ، فَإِنْ أَخْبَرْتُكَ فَنَافِعِي ذَلِكَ عِنْدَكَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ إِنَّ أَخًا لِي قَتَلَ عَلِيًّا هَذِهِ اللَّيْلَةَ. |
| قَالَ فَلَعَلَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ. |
| قَالَ بَلَى ، إِنَّ عَلِيًّا لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ يَحْرُسُهُ. |
| فَأَمَرَ بِهِ مُعَاوِيَةُ فَقُتِلَ. |
| وَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى السَّاعِدِيِّ ، وَكَانَ طَبِيبًا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ اخْتَرْ إِمَّا أَنْ أُحْمِيَ حَدِيدَةً فَأَضَعُهَا مَوْضِعَ السَّيْفِ ، وَإِمَّا أَنْ أَسْقِيَكَ شَرْبَةً تَقْطَعُ مِنْكَ الْوَلَدَ وَتَبْرَأُ مِنْهَا ، فَإِنَّ ضَرْبَتَكَ مَسْمُومَةٌ. |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَمَّا النَّارُ فَلَا صَبْرَ لِي عَلَيْهَا ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِنَّ يَزِيدَ وَعَبْدَ اللَّهِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنِي. |
| فَسَقَاهُ شَرْبَةً فَبَرَأَ وَلَمْ يُولَدْ لَهُ بَعْدَهَا. |
| وَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمَقْصُوَرَاتِ ، وَحَرَسِ اللَّيْلِ ، وَقِيَامِ الشُّرَطِ عَلَى رَأْسِهِ إِذَا سَجَدَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا فِي الْإِسْلَامِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَقْتُلِ الْبُرَكَ ، وَإِنَّمَا أَمَرَ فَقُطِعَتْ يَدُهُ وَرِجْلُهُ ، وَبَقِيَ إِلَى أَنْ وَلِي زِيَادٌ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ الْبُرَكُ قَدْ صَارَ إِلَيْهَا وَوُلِدَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ يُولَدُ لَكَ ، وَتَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُولَدُ لَهُ ؟ |
| فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ. |
| وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ بَكْرٍ ، فَإِنَّهُ جَلَسَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَلَمْ يَخْرُجْ ، وَكَانَ اشْتَكَى بَطْنَهُ ، فَأَمَرَ خَارِجَةَ بْنَ أَبِي حَبِيبَةَ وَكَانَ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَخَرَجَ لِيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ ، فَأَخَذَهُ النَّاسُ إِلَى عَمْرٍو فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ. |
| فَقَالَ مَنْ هَذَا ؟ |
| قَالُوا عَمْرٌو. |
| قَالَ فَمَنْ قَتَلْتُ ؟ |
| قَالُوا خَارِجَةَ. |
| قَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا فَاسِقُ مَا ظَنَنْتُهُ غَيْرَكَ! |
| فَقَالَ عَمْرٌو أَرَدْتَنِي وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةَ. |
| فَقَدَّمَهُ عَمْرٌو فَقَتَلَهُ. |
| قَالَ وَلَمَّا بَلَغَ عَائِشَةَ قَتْلُ عَلِيٍّ قَالَتْ فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى... |
| كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ ثُمَّ قَالَتْ مَنْ قَتَلَهُ ؟ |
| فَقِيلَ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ. |
| فَقَالَتْ فَإِنْ يَكُ نَائِيًا فَلَقَدْ نَعَاهُ... |
| نَعِيٌّ لَيْسَ فِي فِيهِ التُّرَابُ فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ أَتَقُولِينَ هَذَا لِعَلِيٍّ ؟ |
| فَقَالَتْ إِنَّنِي أَنْسَى ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي. |
| وَقَالَ ابْنُ أَبِي مَيَّاسٍ الْمُرَادِيُّ فَنَحْنُ ضَرَبْنَا ، يَا لَكَ الْخَيْرُ ، حَيْدَرًا أَبَا حَسَنٍ مَأْمُومَةً فَتَفَطَّرَا... |
| وَنَحْنُ خَلَعْنَا مُلْكَهُ مِنْ نِظَامِهِ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ إِذْ عَلَا وَتَجَبَّرَا... |
| وَنَحْنُ كِرَامٌ فِي الصَّبَاحِ أَعِزَّةٌ إِذَا الْمَرْءُ بِالْمَوْتِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا وَقَالَ أَيْضًا وَلَمْ أَرَ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ... |
| كَمَهْرِ قَطَامٍ بَيْنَ عُرْبٍ وَمُعْجَمٍ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ... |
| وَضَرْبُ عَلِيٍّ بِالْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا... |
| وَلَا فَتْكَ إِلَّا دُونَ فَتْكِ ابْنِ مُلْجَمِ وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ فِي قَتْلِ عَلِيٍّ أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ... |
| فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامِتِينَا أَفِي شَهْرِ الصِّيَامِ فَجَعْتُمُونَا... |
| بِخَيْرِ النَّاسِ طُرًّا أَجَمَعِينَا قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَرَحَّلَهَا وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا... |
| وَمَنْ لَبِسَ النِّعَالَ وَمَنْ حَذَاهَا وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِيَ وَالْمَئِينَا... |
| إِذَا اسْتَقْبَلْتَ وَجْهَ أَبِي حُسَيْنٍ رَأَيْتَ الْبَدْرَ رَاعَ النَّاظِرِينَا... |
| لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ حَيْثُ كَانَتْ بِأَنَّكَ خَيْرُهَا حَسَبًا وَدِينَا وَقَالَ بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ التَّاهَرْتِيُّ قُلْ لِابْنِ مُلْجَمَ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ... |
| هَدَمْتَ لِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ أَرْكَانَا قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ... |
| وَأَعْظَمَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانَا وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا... |
| سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعًا وَتِبْيَانَا صِهْرَ النَّبِيِّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرَهُ... |
| أَضْحَتْ مَنَاقِبُهُ نُورًا وَبُرْهَانَا وَكَانَ مِنْهُ عَلَى رُغْمِ الْحَسُودِ لَهُ... |
| مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَا ذكرتُ قَاتِلَهُ وَالدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ... |
| فَقُلْتُ سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ سُبْحَانَا إِنِّي لَأَحْسَبُهُ مَا كَانَ مِنْ أَنَسٍ كَلَّا وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ شَيْطَانَا قَدْ كَانَ يُخْبِرُهُمْ هَذَا بِمَقْتَلِهِ... |
| قَبْلَ الْمَنِيَّةِ أَزْمَانًا فَأَزْمَانَا فَلَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ سُوءَ فَعْلَتِهِ... |
| وَلَا سَقَى قَبْرَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَا يَا ضَرْبَةً مِنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا... |
| إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظًى... |
| وَسَوْفَ يَلْقَى بِهَا الرَّحْمَنَ غَضْبَانَا كَأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ قَصْدًا بِضَرْبَتِهِ... |
| إِلَّا لِيَصْلَيَ عَذَابَ الْخُلْدِ نِيرَانَا ذكر مُدَّةِ خِلَافَتِهِ وَمِقْدَارِ عُمُرِهِ وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ كَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسَ سِنِينَ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَقِيلَ كَانَ عُمْرُهُ تَسْعًا وَخَمْسِينَ ، وَقِيلَ خَمْسًا وَسِتِّينَ ، وَقِيلَ ثَمَانِيًا وَخَمْسِينَ. |
| وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ دُفِنَ عِنْدَ مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ ، وَقِيلَ فِي الْقَصْرِ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. |
| وَالْأَصَحُّ أَنَّ قَبَرَهُ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُزَارُ وَيُتَبَرَّكُ بِهِ . |
| ذكر نَسَبِهِ وَصِفَتِهِ وَنِسَائِهِ وَأَوْلَادِهِ كَانَ آدَمَ شَدِيدَ الْأُدْمَةِ ، ثَقِيلَ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمَهُمَا ، ذَا بَطْنٍ ، أَصْلَعَ ، عَظِيمَ اللِّحْيَةِ ، كَثِيرَ شَعْرِ الصَّدْرِ ، هُوَ إِلَى الْقِصَرِ أَقْرَبُ ، وَقِيلَ كَانَ فَوْقَ الرَّبْعَةِ ، وَكَانَ ضَخْمَ عَضَلَةِ الذِّرَاعِ ، دَقِيقَ مُسْتَدَقِّهَا ، ضَخْمَ عَضَلَةِ السَّاقِ ، مُسْتَدَقِّهَا ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَلَا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ ، كَثِيرَ التَّبَسُّمِ. |
| وَأَمَّا نَسَبُهُ فَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَاسْمُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدُ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . |
| وَهُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ ، أَبَوَاهُ هَاشِمِيَّانِ ، وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا مَنْ أَبَوَاهُ هَاشِمِيَّانِ غَيْرُهُ ، وَغَيْرُ الْحَسَنِ وَلَدِهِ ، وَمُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ، فَإِنَّ أَبَاهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَأُمُّهُ زُبَيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ. |
| وَأَمَّا أَزْوَاجُهُ ، فَأَوَّلُ زَوْجَةٍ تَزَوَّجَهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا حَتَّى تُوُفِّيَتْ عِنْدَهُ ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ مُحْسِنٌ ، وَأَنَّهُ تُوُفِّيَ صَغِيرًا ، وَزَيْنَبُ الْكُبْرَى ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ الْكُبْرَى. |
| ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَهَا أُمَّ الْبَنِينِ بِنْتَ حَرَامٍ الْكِلَابِيَّةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْعَبَّاسَ ، وَجَعْفَرًا ، وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَعُثْمَانَ ، قُتِلُوا مَعَ الْحُسَيْنِ بِالطَّفِّ ، وَلَا بَقِيَّةَ لَهُمْ غَيْرَ الْعَبَّاسِ ، وَتَزَوَّجَ لَيْلَى بِنْتَ مَسْعُودِ بْنِ خَالِدٍ النَّهْشَلِيَّةَ التَّمِيمِيَّةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ وَأَبَا بَكْرٍ ، قُتِلَا مَعَ الْحُسَيْنِ . |
| وَقِيلَ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ قَتَلَهُ الْمُخْتَارُ بِاْلَمَذَارِ ، وَقِيلَ لَا بَقِيَّةَ لَهُمَا. |
| وَتَزَوَّجَ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ الْخَثْعَمِيَّةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا الْأَصْغَرَ ، وَيَحْيَى ، وَلَا عَقِبَ لَهُمَا. |
| وَقِيلَ إِنَّ مُحَمَّدًا لِأُمِّ وَلَدٍ ، وَقُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ. |
| وَقِيلَ إِنَّهَا وَلَدَتْ لَهُ عَوْنًا. |
| وَلَهُ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِنْتِ رَبِيعَةَ التَّغْلِبِيَّةِ ، وَهِيَ مِنَ السَّبْيِ الَّذِينَ أَغَارَ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِعَيْنِ التَّمْرِ ، وَوَلَدَتْ لَهُ عُمَرَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَرُقَيَّةَ بِنْتَ عَلِيٍّ ، فَعُمِّرَ عُمَرُ حَتَّى بَلَغَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، فَحَازَ نِصْفَ مِيرَاثِ عَلِيٍّ ، وَمَاتَ بَيِنْبُعَ. |
| وَتَزَوَّجَ عَلِيٌّ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا الْأَوْسَطَ ، وَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَكْبَرُ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ ، أُمُّهُ خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ ، مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ. |
| وَتَزَوَّجَ عَلِيٌّ أَيْضًا أُمَّ سَعِيدٍ ابْنَةَ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُمَّ الْحَسَنِ ، وَرَمْلَةَ الْكُبْرَى ، وَأُمَّ كُلْثُومٍ ، وَكَانَ لَهُ بَنَاتٌ مِنْ أُمَّهَاتٍ شَتَّى لَمْ يُذْكَرْنَ لَنَا ، مِنْهُنَّ أُمُّ هَانِئٍ ، وَمَيْمُونَةُ ، وَزَيْنَبُ الصُّغْرَى ، وَرَمَلَةُ الصُّغْرَى ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ الصُّغْرَى ، وَفَاطِمَةُ ، وَأُمَامَةُ ، وَخَدِيجَةُ ، وَأُمُّ الْكِرَامِ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ ، وَأُمُّ جَعْفَرٍ ، وَجُمَانَةُ ، وَنَفِيسَةُ ، كُلُّهُنَّ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ. |
| وَتَزَوَّجَ أَيْضًا مُخَبَّاةَ بِنْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ الْكَلْبِيَّةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ جَارِيَةً هَلَكَتْ صَغِيرَةً ، كَانَتْ تَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيُقَالُ لَهَا مَنْ أَخْوَالُكِ ؟ |
| فَتَقُولُ وَهْ وَهْ ، تَعْنِي كَلْبًا. |
| فَجَمِيعُ وَلَدِهِ أَرْبَعَةُ عَشَرَ ذَكَرًا ، وَسَبْعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً ، وَكَانَ النَّسْلُ مِنْهُمْ لِلْحَسَنِ ، وَالْحُسَيْنِ ، وَمُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، وَالْعَبَّاسِ بْنِ الْكِلَابِيَّةِ ، وَعُمَرَ بْنِ التَّغْلِبِيَّةِ. |
| ذكر عُمَّالِهِ وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الِاخْتِلَافَ فِي أَمْرِهِ ، وَكَانَ إِلَيْهِ الصَّدَقَاتُ وَالْجُنْدُ وَالْمَعَاوِنُ أَيَّامَ وِلَايَتِهِ كُلِّهَا ، وَكَانَ عَلَى قَضَائِهَا مِنْ قِبَلِ عَلِيٍّ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ ، وَكَانَ عَلَى فَارِسَ زِيَادٌ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَهُ إِلَيْهَا ، وَكَانَ عَلَى الْيَمَنِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ بُسْرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ مَا ذُكِرَ ، وَكَانَ عَلَى الطَّائِفِ وَمَكَّةَ وَمَا اتَّصَلَ بِذَلِكَ قُثَمُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَقِيلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَكَانَ عِنْدَ قُدُومِ بُسْرٍ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، وَذُكِرَ. |
| ذكر بَعْضِ سِيرَتِهِ كَانَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَازِنًا لَعَلِّي عَلَى بَيْتِ الْمَالِ ، فَدَخَلَ عَلِيٌّ يَوْمًا وَقَدْ زُيِّنَتِ ابْنَتُهُ ، فَرَأَى عَلَيْهَا لُؤْلُؤَةً كَانَ عَرَفَهَا لِبَيْتِ الْمَالِ ، فَقَالَ مِنْ أَيْنَ لَهَا هَذِهِ ؟ |
| لَأَقْطَعَنَّ يَدَهَا! |
| فَلَمَّا رَأَى أَبُو رَافِعٍ جِدَّهُ فِي ذَلِكَ قَالَ أَنَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَيَّنْتُهَا بِهَا. |
| فَقَالَ عَلِيٌّ لَقَدْ تَزَوَّجْتُ بِفَاطِمَةَ وَمَا لِي فِرَاشٌ إِلَّا جِلْدُ كَبْشٍ نَنَامُ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ وَنَعْلِفُ عَلَيْهِ نَاضِحَنَا بِالنَّهَارِ وَمَا لِي خَادِمٌ غَيْرَهَا. |
| قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قُسِّمَ عِلْمُ النَّاسِ خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ ، فَكَانَ لَعَلِيٍّ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَجْزَاءَ ، وَلِسَائِرِ النَّاسِ جُزْءٌ شَارَكَهُمْ عَلِيٌّ فِيهِ فَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِهِ. |
| وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مَا جَاءَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ لَعَلِيٍّ. |
| وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ لَمَّا ضُرِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَجَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي السِّتَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ إِنْ يُوَلُّوهَا الْأَجْلَحَ يَسْلُكُ بِهِمُ الطَّرِيقَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ فَمَا يَمْنَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَوْلِيَتِهِ ؟ |
| قَالَ أَكْرَهُ أَنْ أَتَحَمَّلَهَا حَيًّا وَمَيِّتًا. |
| وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ مَالٌ مِنْ أَصْبَهَانَ ، فَقَسَّمَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَسْهُمٍ ، فَوَجَدَ فِيهِ رَغِيفًا فَقَسَّمَهُ عَلَى سَبْعَةٍ ، وَدَعَا أُمَرَاءَ الْأَسْبَاعِ فَأَقْرَعَ بَيْنَهُمْ لِيَنْظُرَ أَيُّهُمْ يُعْطَى أَوَّلًا. |
| وَقَالَ هَارُونُ بْنُ عَنْتَرَةَ عَنْ أَبِيهِ دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ بِالْخَوَرْنَقِ وَهُوَ فَصْلُ شِتَاءٍ وَعَلَيْهِ خَلَقُ قَطِيفَةٍ ، وَهُوَ يُرْعَدُ فِيهِ ، فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ وَلِأَهْلِكَ فِي هَذَا الْمَالِ نَصِيبًا وَأَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا بِنَفْسِكَ ؟ |
| فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَرْزَأَكُمْ شَيْئًا ، وَمَا هِيَ إِلَّا قَطِيفَتِي الَّتِي أَخْرَجْتُهَا مِنَ الْمَدِينَةِ. |
| وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَمَةَ اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ عَمْرَو بْنَ سَلَمَةَ عَلَى أَصْبَهَانَ ، فَقَدِمَ وَمَعَهُ مَالٌ وَزِقَاقٌ فِيهَا عَسَلٌ وَسَمْنٌ ، فَأَرْسَلَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيٍّ إِلَى عَمْرٍو تَطْلُبُ مِنْهُ سَمْنًا وَعَسَلًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ظَرْفَ عَسَلٍ وَظَرْفَ سَمْنٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ عَلِيٌّ وَأَحْضَرَ الْمَالَ وَالْعَسَلَ وَالسَّمْنَ لِيُقْسَمَ ، فَعَدَّ الزِّقَاقَ فَنَقَصَتْ زِقَّيْنِ ، فَسَأَلَهُ عَنْهُمَا ، فَكَتَمَهُ وَقَالَ نَحْنُ نُحْضِرُهَا ، فَعَزَمَ عَلَيْهِ إِلَّا ذَكَرَهَا لَهُ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أُمِّ كُلْثُومٍ فَأَخَذَ الزِّقَّيْنِ مِنْهَا ، فَرَآهُمَا قَدْ نَقَصَا ، فَأَمْرَ التُّجَّارَ بِتَقْوِيمِ مَا نَقَصَ مِنْهُمَا ، فَكَانَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَخَذَهَا مِنْهَا ثُمَّ قَسَّمَ الْجَمِيعَ. |
| قِيلَ وَخَرَجَ مِنْ هَمْدَانَ فَرَأَى رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا ثُمَّ مَضَى ، فَسَمِعَ صَوْتًا يَا غَوْثَاهْ بِاللَّهِ! |
| فَخَرَجَ يَحْضُرُ نَحْوَهُ وَهُوَ يَقُولُ أَتَاكَ الْغَوْثُ. |
| فَإِذَا رَجُلٌ يُلَازِمُ رَجُلًا. |
| فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِعْتُ هَذَا ثَوْبًا بِسَبْعَةِ دَرَاهِمَ ، وَشَرَطْتُ أَنْ لَا يُعْطِيَنِي مَغْمُوزًا وَلَا مَقْطُوعًا ، وَكَانَ شَرْطُهُمْ يَوْمَئِذٍ ، فَأَتَانِي بِهَذِهِ الدَّرَاهِمِ ، فَأَتَيْتُ وَلَزِمْتُهُ ، فَلَطَمَنِي. |
| فَقَالَ لِلَّاطِمِ مَا تَقُولُ ؟ |
| فَقَالَ صَدَقَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ أَعْطِهُ شَرْطَهُ. |
| فَأَعْطَاهُ. |
| وَقَالَ لِلْمَلْطُومِ اقْتَصَّ. |
| قَالَ أَوْ أَعْفُو يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| قَالَ ذَلِكَ إِلَيْكَ. |
| ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ خُذُوهُ ، فَأَخَذُوهُ ، فَحُمِلَ عَلَى ظَهْرِ رَجُلٍ كَمَا يُحْمَلُ صِبْيَانُ الْكُتَّابِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ دِرَّةً وَقَالَ هَذَا نَكَالٌ لِمَا انْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ ابْنُهُ الْحَسَنُ خَطِيبًا فَقَالَ لَقَدْ قَتَلْتُمُ اللَّيْلَةَ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ نَزَلَ فِيهَا الْقُرْآنُ ، وَفِيهَا رُفِعَ عِيسَى ، وَفِيهَا قُتِلَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ، وَاللَّهِ مَا سَبَقَهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ ، وَلَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ يَكُونُ بَعْدَهُ ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُهُ فِي السَّرِيَّةِ وَجَبْرَائِيلُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا ثَمَانَمِائَةٍ أَوْ سَبْعَمِائَةٍ أَرْصَدَهَا لِجَارِيَةٍ. |
| وَقَالَ سُفْيَانُ إِنَّ عَلِيًّا لَمْ يَبْنِ آجُرَّةً عَلَى آجُرَّةٍ ، وَلَا لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ ، وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيُؤْتَى بِحُبُوبِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي جِرَابٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ أَخْرَجَ سَيْفًا لَهُ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَهُ وَقَالَ لَوْ كَانَ عِنْدِي أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ ثَمَنُ إِزَارٍ لَمْ أَبِعْهُ. |
| وَكَانَ لَا يَشْتَرِي مِمَّنْ يَعْرِفُهُ ، وَإِذَا اشْتَرَى قَمِيصًا قَدَّرَ كُمَّهُ عَلَى طُولِ يَدِهِ وَقَطَعَ الْبَاقِي . |
| وَكَانَ يَخْتِمُ عَلَى الْجِرَابِ الَّذِي فِيهِ دَقِيقُ الشَّعِيرِ الَّذِي يَأْكُلُ مِنْهُ وَيَقُولُ لَا أُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِي إِلَّا مَا أَعْلَمُ. |
| وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَجَدَ عَلِيٌّ دِرْعًا لَهُ عِنْدَ نَصْرَانِيٍّ ، فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى شُرَيْحٍ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَ لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِمًا لَسَاوَيْتُهُ ، وَقَالَ هَذِهِ دِرْعِي! |
| فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ مَا هِيَ إِلَّا دِرْعِي ، وَلَمْ يَكْذِبْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| فَقَالَ شُرَيْحٌ لَعَلِيٍّ أَلَكَ بَيِّنَةٌ ؟ |
| قَالَ لَا وَهُوَ يَضْحَكُ فَأَخَذَ النَّصْرَانِيُّ الدِّرْعَ وَمَشَى يَسِيرًا ، ثُمَّ عَادَ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدَّمَنِي إِلَى قَاضِيهِ ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ أَسْلَمَ وَاعْتَرَفَ أَنَّ الدِّرْعَ سَقَطَتْ مِنْ عَلِيٍّ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى صِفِّينَ ، فَفَرِحَ عَلِيٌّ بِإِسْلَامِهِ وَوَهَبَ لَهُ الدِّرْعَ وَفَرَسًا ، وَشَهِدَ مَعَهُ قِتَالَ الْخَوَارِجِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ عَلِيًّا رُؤِيَ وَهُوَ يَحْمِلُ فِي مِلْحَفَتِهِ تَمْرًا قَدِ اشْتَرَاهُ بِدِرْهَمٍ ، فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا نَحْمِلُهُ عَنْكَ ؟ |
| فَقَالَ أَبُو الْعِيَالِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ. |
| وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ تَذَاكَرُوا الزُّهَّادَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ عُمَرُ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. |
| وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ نَظَرَ عَلِيٌّ إِلَى قَوْمٍ بِبَابِهِ ، فَقَالَ لِقَنْبَرٍ مَوْلَاهُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ |
| قَالَ شِيعَتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| قَالَ وَمَا لِي لَا أَرَى فِيهِمْ سِيَمَا الشِّيعَةِ ؟ |
| قَالَ وَمَا سِيمَاهُمْ ؟ |
| قَالَ خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الطَّوْيِ ، يُبْسُ الشِّفَاهِ مِنَ الظَّمَإِ ، عُمْشُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ. |
| وَمَنَاقِبُهُ لَا تُحْصَى ، قَدْ جَمَعْتُ قَضَايَاهُ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ . |
| ذكر بَيْعَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ أَرْبَعِينَ بُويِعَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ. |
| وَأَوَّلُ مَنْ بَايَعَهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَقَالَ لَهُ ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَقِتَالِ الْمُحِلِّينَ. |
| فَقَالَ الْحَسَنُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ عَلَى كُلِّ شَرْطٍ. |
| فَبَايَعَهُ النَّاسُ. |
| وَكَانَ الْحَسَنُ يَشْتَرِطُ عَلَيْهِمْ إِنَّكُمْ مُطِيعُونَ تُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ ، وَتُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ. |
| فَارْتَابُوا بِذَلِكَ وَقَالُوا مَا هَذَا لَكُمْ بِصَاحِبٍ وَمَا يُرِيدُ هَذَا إِلَّا الْقِتَالَ. |
| ذكر عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَافْتَعَلَ كِتَابًا عَلَى لِسَانِ مُعَاوِيَةَ ، فَيُقَالُ إِنَّهُ عَرَّفَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، وَنَحَرَ عَرَفَةَ خَوْفًا أَنْ يُفْطَنَ لِفِعْلِهِ ، وَقِيلَ فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ مُصَبِّحُهُ وَالِيًا عَلَى الْمَوْسِمِ. |
| وَفِيهَا بُويِعَ مُعَاوِيَةُ بِالْخِلَافَةِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُدْعَى بِالْأَمِيرِ فِي بِلَادِ الشَّامِ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ دُعِيَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، هَكَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ اجْتِمَاعِ الْحَكَمَيْنِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| وَكَانَتْ خِلَافَةُ الْحَسَنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ بَعْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ. |
| وَفِيهَا مَاتَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ شُرَحْبِيلُ بْنُ السِّمْطِ الْكِنْدِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ. |
| قِيلَ لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ مَاتَ جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِيهَا مَاتَ الْحَارِثُ بْنُ خَزَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَغَيْرَهُمَا. |
| وَفِيهَا مَاتَ خَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرٍ ، فَرَجَعَ لِعُذْرٍ فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ ، وَهُوَ صَاحِبُ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ. |
| وَفِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ مَاتَ قَرَظَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ بِالْكُوفَةِ ، وَقِيلَ بَلْ مَاتَ فِي إِمَارَةِ الْمُغِيرَةِ عَلَى الْكُوفَةِ لِمُعَاوِيَةَ ، شَهِدَ أُحُدًا وَغَيْرَهَا وَشَهِدَ سَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ عَلِيٍّ. |
| وَمَاتَ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ ، شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَفِي خِلَافَتِهِ مَاتَ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَكَانَ نَقِيبًا ، شَهِدَ بَدْرًا ، وَقِيلَ بَلِ اسْتَخْلَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَرَدَّهُ مِنْ طَرِيقِ بَدْرٍ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُعَيْقِيبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ الدَّوْسِيُّ ، لَهُ صُحْبَةٌ ، قَدِيمُ الْإِسْلَامِ ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ ، وَكَانَ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مَجْذُومًا ، وَاسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَكَانَ مَعَهُ الْخَاتَمُ أَيَّامَ عُثْمَانَ ، فَمِنْ يَدِهِ وَقَعَ الْخَاتَمُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ تُوُفِّيَ آخِرَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ذِكْرُ تَسْلِيمِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْخِلَافَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ قَدْ بَايَعَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا مِنْ عَسْكَرِهِ عَلَى الْمَوْتِ لَمَّا ظَهَرَ مَا كَانَ يُخْبِرُهُمْ بِهِ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتَجَهَّزُ لِلْمَسِيرِ قُتِلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ وَبَايَعَ النَّاسُ وَلَدَهُ الْحَسَنَ بَلَغَهُ مَسِيرُ مُعَاوِيَةَ فِي أَهْلِ الشَّامِ إِلَيْهِ ، فَتَجَهَّزَ هُوَ وَالْجَيْشُ الَّذِي كَانُوا بَايِعُوا عَلِيًّا وَسَارَ عَنِ الْكُوفَةِ إِلَى لِقَاءِ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ مَسْكِنَ ، فَوَصَلَ الْحَسَنُ إِلَى الْمَدَائِنِ ، وَجَعَلَ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ الْحَسَنُ قَدْ جَعَلَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ فِي الطَّلَائِعِ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ . |
| فَلَمَّا نَزَلَ الْحَسَنُ الْمَدَائِنَ نَادَى مُنَادٍ فِي الْعَسْكَرِ أَلَا إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ قُتِلَ فَانْفِرُوا. |
| فَنَفَرُوا بِسُرَادِقِ الْحَسَنِ ، فَنَهَبُوا مَتَاعَهُ حَتَّى نَازَعُوهُ بِسَاطًا كَانَ تَحْتَهُ ، فَازْدَادَ لَهُمْ بُغْضًا وَمِنْهُمْ ذُعْرًا ، وَدَخَلَ الْمَقْصُورَةَ الْبَيْضَاءَ بِالْمَدَائِنِ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَدَائِنِ سَعْدَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ عَمَّ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ ، وَهُوَ شَابٌّ هَلْ لَكَ فِي الْغِنَى وَالشَّرَفِ ؟ |
| قَالَ وَمَا ذَاكَ ؟ |
| قَالَ تَسْتَوْثِقُ مِنَ الْحَسَنِ وَتَسْتَأْمِنُ بِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ! |
| أَثِبُ عَلَى ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُوثِقُهُ ؟ |
| بِئْسَ الرَّجُلُ أَنْتَ! |
| فَلَمَّا رَأَى الْحَسَنُ تَفَرُّقَ الْأَمْرِ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَذَكَرَ شُرُوطًا وَقَالَ لَهُ إِنْ أَنْتَ أَعْطَيْتَنِي هَذَا فَأَنَا سَامِعٌ مُطِيعٌ وَعَلَيْكَ أَنْ تَفِيَ لِي بِهِ. |
| وَقَالَ لِأَخِيهِ الْحُسَيْنِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ إِنَّنِي قَدْ رَاسَلْتُ مُعَاوِيَةَ فِي الصُّلْحِ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تُصَدِّقَ أُحْدُوثَةَ مُعَاوِيَةَ وَتُكَذِّبَ أُحْدُوثَةَ أَبِيكَ! |
| فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ اسْكُتْ ، أَنَا أَعْلَمُ بِالْأَمْرِ مِنْكَ. |
| فَلَمَّا انْتَهَى كِتَابُ الْحَسَنِ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَمْسَكَهُ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ إِلَى الْحَسَنِ قَبْلَ وُصُولِ الْكِتَابِ وَمَعَهُمَا صَحِيفَةٌ بَيْضَاءُ مَخْتُومٌ عَلَى أَسْفَلِهَا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنِ اشْتَرِطْ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمْتُ أَسْفَلَهَا مَا شِئْتَ فَهُوَ لَكَ. |
| فَلَمَّا أَتَتِ الصَّحِيفَةُ إِلَى الْحَسَنِ اشْتَرَطَ أَضْعَافَ الشُّرُوطِ الَّتِي سَأَلَ مُعَاوِيَةَ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَمْسَكَهَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا سَلَّمَ الْحَسَنُ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ طَلَبَ أَنْ يُعْطِيَهُ الشُّرُوطَ الَّتِي فِي الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمَ عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ ، فَأَبَى ذَلِكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ لَهُ قَدْ أَعْطَيْتُكَ مَا كُنْتَ تَطْلُبُ. |
| فَلَمَّا اصْطَلَحَا قَامَ الْحَسَنُ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّهُ سَخِيٌّ بِنَفْسِي عَنْكُمْ ثَلَاثٌ قَتْلُكُمْ أَبِي ، وَطَعْنُكُمْ إِيَّايَ ، وَانْتِهَابُكُمْ مَتَاعِي. |
| وَكَانَ الَّذِي طَلَبَ الْحَسَنُ مِنْ مُعَاوِيَةَ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا فِي بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ ، وَمَبْلَغُهُ خَمْسَةُ آلَافِ أَلْفٍ ، وَخَرَاجَ دَارَابَجِرْدَ مِنْ فَارِسَ ، وَأَنْ لَا يَشْتُمَ عَلِيًّا ، فَلَمْ يُجِبْهُ عَنِ الْكَفِّ عَنْ شَتْمِ عَلِيٍّ ، فَطَلَبَ أَنْ لَا يَشْتُمَ وَهُوَ يَسْمَعُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ يَفِ لَهُ بِهِ أَيْضًا ، وَأَمَّا خَرَاجُ دَارَابَجِرْدَ فَإِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ مَنَعُوهُ مِنْهُ وَقَالُوا هُوَ فَيْئُنَا لَا نُعْطِيهِ أَحَدًا ، وَكَانَ مَنْعُهُمْ بِأَمْرِ مُعَاوِيَةَ أَيْضًا. |
| وَتَسَلَّمَ مُعَاوِيَةُ الْأَمْرَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقِيلَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَقِيلَ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَقِيلَ إِنَّمَا سَلَّمَ الْحَسَنُ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ لِأَنَّهُ لَمَّا رَاسَلَهُ مُعَاوِيَةُ فِي تَسْلِيمِ الْخِلَافَةِ إِلَيْهِ خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّا وَاللَّهِ مَا يُثْنِينَا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ شَكٌّ وَلَا نَدَمٌ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ أَهْلَ الشَّامِ بِالسَّلَامَةِ وَالصَّبْرِ ، فَشِيبَتِ السَّلَامَةُ بِالْعَدَاوَةِ ، وَالصَّبْرُ بِالْجَزَعِ ، وَكُنْتُمْ فِي مَسِيرِكُمْ إِلَى صِفِّينَ وَدِينُكُمْ أَمَامَ دُنْيَاكُمْ ، وَأَصْبَحْتُمُ الْيَوْمَ وَدُنْيَاكُمْ أَمَامَ دِينِكُمْ ، أَلَا وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ بَيْنَ قَتِيلَيْنِ قَتِيلٍ بِصِفِّينَ تَبْكُونَ لَهُ ، وَقَتِيلٍ بِالنَّهْرَوَانِ تَطْلُبُونَ بِثَأْرِهِ ، وَأَمَّا الْبَاقِي فَخَاذِلٌ ، وَأَمَّا الْبَاكِي فَثَائِرٌ ، أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ دَعَانَا لِأَمْرٍ لَيْسَ فِيهِ عِزٌّ وَلَا نَصَفَةٌ ، فَإِنْ أَرَدْتُمُ الْمَوْتَ رَدَدْنَاهُ عَلَيْهِ وَحَاكَمْنَاهُ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِظُبَى السُّيُوفِ ، وَإِنْ أَرَدْتُمُ الْحَيَاةَ قَبِلْنَاهُ وَأَخَذْنَا لَكُمُ الرِّضَى. |
| فَنَادَاهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ الْبَقِيَّةَ الْبَقِيَّةَ! |
| وَأَمْضَى الصُّلْحَ. |
| وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى تَسْلِيمِ الْأَمْرِ إِلَى مُعَاوِيَةَ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا نَحْنُ أُمَرَاؤُكُمْ وَضِيفَانُكُمْ ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكُمُ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا. |
| وَكَرَّرَ ذَلِكَ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا مَنْ بَكَى حَتَّى سُمِعَ نَشِيجُهُ فَلَمَّا سَارُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي الصُّلْحِ اصْطَلَحَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ الْأَمْرَ. |
| وَكَانَتْ خِلَافَةُ الْحَسَنِ ، عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ سَلَّمَ الْأَمْرَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، خَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَنَحْوَ نِصْفِ شَهْرٍ ، وَعَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، يَكُونُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَشَيْئًا ، وَعَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، يَكُونُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَشَيْئًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. |
| وَلَمَّا اصْطَلَحَا وَبَايَعَ الْحَسَنُ مُعَاوِيَةَ دَخَلَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ وَبَايَعَهُ النَّاسُ ، وَكَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ، وَهُوَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، يَأْمُرُهُ بِالدُّخُولِ فِي طَاعَةِ مُعَاوِيَةَ ، فَقَامَ قَيْسٌ فِي النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اخْتَارُوا الدُّخُولَ فِي طَاعَةِ إِمَامِ ضَلَالَةٍ أَوِ الْقِتَالَ مَعَ غَيْرِ إِمَامٍ. |
| فَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نَخْتَارُ الدُّخُولَ فِي طَاعَةِ إِمَامِ ضَلَالَةٍ. |
| فَبَايَعُوا مُعَاوِيَةَ أَيْضًا. |
| فَانْصَرَفَ قَيْسٌ فِيمَنْ تَبِعَهُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| وَلَمَّا دَخَلَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِيَأْمُرَ الْحَسَنَ أَنْ يَقُومَ فَيَخْطُبَ النَّاسَ لِيَظْهَرَ لَهُمْ عِيُّهُ. |
| فَخَطَبَ مُعَاوِيَةُ النَّاسَ ثُمَّ أَمَرَ الْحَسَنَ أَنْ يَخْطُبَهُمْ. |
| فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ بَدِيهَةً ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ هَدَاكُمْ بِأَوَّلِنَا وَحَقَنَ دِمَاءَكُمْ بِآخِرِنَا ، وَإِنَّ لِهَذَا الْأَمْرِ مُدَّةً وَالدُّنْيَا دُوَلٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ لِنَبِيِّهِ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ الأنبياء . |
| فَلَمَّا قَالَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ اجْلِسْ ، وَحَقَدَهَا عَلَى عَمْرٍو وَقَالَ هَذَا مِنْ رَأْيِكَ. |
| وَلَحِقَ الْحَسَنُ بِالْمَدِينَةِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَحَشَمِهِمْ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَبْكُونَ عِنْدَ مَسِيرِهِمْ مِنَ الْكُوفَةِ. |
| قِيلَ لِلْحَسَنِ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ |
| فَقَالَ كَرِهْتُ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَوْمًا لَا يَثِقُ بِهِمْ أَحَدٌ أَبَدًا إِلَّا غُلِبَ ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَافِقُ آخَرَ فِي رَأْيٍ وَلَا هَوًى ، مُخْتَلِفِينَ لَا نِيَّةَ لَهُمْ فِي خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ ، لَقَدْ لَقِيَ أَبِي مِنْهُمْ أُمُورًا عِظَامًا ، فَلَيْتَ شِعْرِي لِمَنْ يَصْلُحُونَ بَعْدِي ، وَهِيَ أَسْرَعُ الْبِلَادِ خَرَابًا! |
| « وَلَمَّا سَارَ الْحَسَنُ مِنَ الْكُوفَةِ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ! |
| فَقَالَ لَا تَعْذِلْنِي فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَأَى فِي الْمَنَامِ بَنِي أُمَيَّةَ يَنْزُونَ عَلَى مِنْبَرِهِ رَجُلًا فَرَجُلًا فَسَاءَهُ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ الكوثر ، وَهُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ القدر ، يَمْلِكُهَا بَعْدَكَ بَنُو أُمَيَّةَ ». |
| ذِكْرُ صُلْحِ مُعَاوِيَةَ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ وَفِيهَا جَرَى الصُّلْحُ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَانَ قَيْسٌ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَسَبَبُ امْتِنَاعِهِ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ لَمَّا عَلِمَ بِمَا يُرِيدُهُ الْحَسَنُ مِنْ تَسْلِيمِ الْأَمْرِ إِلَى مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَسْأَلُهُ الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ عَلَى مَا أَصَابَ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ، فَأَجَابَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عُبَيْدُ اللَّهِ لَيْلًا وَتَرَكَ جُنْدَهُ الَّذِينَ هُوَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ أَمِيرٍ وَفِيهِمْ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، فَأَمَّرَ ذَلِكَ الْجُنْدُ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَتَعَاقَدُوا هُوَ وَهُمْ عَلَى قِتَالِ مُعَاوِيَةَ حَتَّى يَشْرُطَ لِشِيعَةِ عَلِيٍّ وَلِمَنْ كَانَ مَعَهُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ. |
| وَقِيلَ إِنَّ قَيْسًا كَانَ هُوَ الْأَمِيرُ عَلَى ذَلِكَ الْجَيْشِ فِي الْمُقَدِّمَةِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْكَرَاهَةِ لِإِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ صَالِحَ مُعَاوِيَةَ اجْتَمَعَ مَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَبَايَعُوهُ عَلَى قِتَالِ مُعَاوِيَةَ حَتَّى يَشْتَرِطَ لِشِيعَةِ عَلِيٍّ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَا كَانُوا أَصَابُوا فِي الْفِتْنَةِ ، فَرَاسَلَهُ مُعَاوِيَةُ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِسِجِلٍّ ، وَخَتَمَ عَلَى أَسْفَلِهِ وَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فِي هَذَا مَا شِئْتَ فَهُوَ لَكَ. |
| فَقَالَ عَمْرٌو لِمُعَاوِيَةَ لَا تُعْطِهِ هَذَا وَقَاتِلْهُ. |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ عَلَى رِسْلِكَ فَإِنَّا لَا نَخْلُصُ إِلَى قَتْلِهِمْ حَتَّى يَقْتُلُوا أَعْدَادَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ |
| فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلُهُ أَبَدًا حَتَّى لَا أَجِدَ مِنْ قِتَالِهِ بُدًّا. |
| فَلَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ ذَلِكَ السِّجِلَّ اشْتَرَطَ قَيْسٌ لَهُ وَلِشِيعَةِ عَلِيٍّ الْأَمَانَ عَلَى مَا أَصَابُوا مِنَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ ، وَلَمْ يَسْأَلْ فِي سِجِلِّهِ ذَلِكَ مَالًا ، وَأَعْطَاهُ مُعَاوِيَةُ مَا سَأَلَ ، وَدَخَلَ قَيْسٌ وَمَنْ مَعَهُ فِي طَاعَتِهِ. |
| وَكَانُوا يَعُدُّونَ دُهَاةَ النَّاسِ حِينَ ثَارَتِ الْفِتْنَةُ خَمْسَةً يُقَالُ إِنَّهُمْ ذَوُو رَأْيِ الْعَرَبِ وَمَكِيدَتِهِمْ مُعَاوِيَةُ ، وَعَمْرٌو ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَكَانَ قَيْسٌ وَابْنُ بُدَيْلٍ مَعَ عَلِيٍّ ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ مُعْتَزِلًا بِالطَّائِفِ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ! |
| فَضَحَكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ مَا كَانَ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ لَوْ قُلْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| فَقَالَ أَتَقُولُهَا جَذْلَانَ ضَاحِكًا ؟ |
| وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنِّي وُلِيتُهَا بِمَا وُلِيتَهَا بِهِ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ الْخَوَارِجِ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ اعْتِزَالَ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ فِي خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ وَمَسِيرَهُمْ إِلَى شَهْرَزُورَ ، وَتَرَكُوا قِتَالَ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ الْحَسَنُ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالُوا قَدْ جَاءَ الْآنَ مَا لَا شَكَّ فِيهِ ، فَسِيرُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ فَجَاهِدُوهُ. |
| فَأَقْبَلُوا وَعَلَيْهِمْ فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ حَتَّى حَلُّوا بِالنُّخَيْلَةِ عِنْدَ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَدْ سَارَ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ يَدْعُوهُ إِلَى قِتَالِ فَرْوَةَ ، فَلَحِقَهُ رَسُولُهُ بِالْقَادِسِيَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا ، فَلَمْ يَرْجِعْ وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ لَوْ آثَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لَبَدَأْتُ بِقِتَالِكَ ، فَإِنِّي تَرَكْتُكَ لِصَلَاحِ الْأُمَّةِ وَحَقْنِ دِمَائِهَا. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مُعَاوِيَةُ جَمْعًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ وَاللَّهِ لَا أَمَانَ لَكُمْ عِنْدِي حَتَّى تَكُفُّوهُمْ. |
| فَخَرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَقَاتَلُوهُمْ. |
| فَقَالَتْ لَهُمُ الْخَوَارِجُ أَلَيْسَ مُعَاوِيَةُ عَدُوَّنَا وَعَدُوَّكُمْ ؟ |
| دَعُونَا حَتَّى نُقَاتِلَهُ ، فَإِنْ أَصَبْنَا كُنَّا قَدْ كَفَيْنَاكُمْ عَدُوَّكُمْ ، وَإِنْ أَصَابَنَا كُنْتُمْ قَدْ كَفَيْتُمُونَا. |
| فَقَالُوا لَا بُدَّ لَنَا مِنْ قِتَالِكُمْ. |
| فَأَخَذَتْ أَشْجَعُ صَاحِبَهُمْ فَرْوَةَ فَحَادَثُوهُ وَوَعَظُوهُ فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَأَخَذُوهُ قَهْرًا وَأَدْخَلُوهُ الْكُوفَةَ ، فَاسْتَعْمَلَ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْحَوْسَاءِ ، رَجُلًا مِنْ طَيِّئٍ ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَقَتَلُوهُمْ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَقِيلَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ وَقُتِلَ ابْنُ أَبِي الْحَوْسَاءِ ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْحَوْسَاءِ حِينَ وَلِيَ أَمْرَ الْخَوَارِجِ قَدْ خُوِّفَ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَصْلُبَهُ ، فَقَالَ مَا إِنْ أُبَالِي إِذَا أَرْوَاحُنَا قُبِضَتْ... |
| مَاذَا فَعَلْتُمْ بِأَوْصَالٍ وَأَبْشَارِ تَجْرِي الْمَجَرَّةُ وَالنَّسْرَانِ عَنْ قَدَرٍ... |
| وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ السَّارِي بِمِقْدَارِ وَقَدْ عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ... |
| أَنَّ السَّعِيدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ ذِكْرُ خُرُوجِ حَوْثَرَةَ بْنِ ذِرَاعٍ وَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ أَبِي الْحَوْسَاءِ اجْتَمَعَ الْخَوَارِجُ فَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ حَوْثَرَةَ بْنَ ذِرَاعِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَسَدِيَّ ، فَقَامَ فِيهِمْ وَعَابَ فَرْوَةَ بْنَ نَوْفَلٍ لِشَكِّهِ فِي قِتَالِ عَلِيٍّ وَدَعَا الْخَوَارِجَ وَسَارَ مِنْ بَرَازِ الرُّوزِ ، وَكَانَ بِهَا ، حَتَّى قَدِمَ النُّخَيْلَةَ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ فَلُّ ابْنِ أَبِي الْحَوْسَاءِ ، وَهُمْ قَلِيلٌ ، فَدَعَا مُعَاوِيَةُ أَبَا حَوْثَرَةَ فَقَالَ لَهُ اخْرُجْ إِلَى ابْنِكَ فَلَعَلَّهُ يَرِقُّ إِذَا رَآكَ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ وَنَاشَدَهُ وَقَالَ أَلَا أَجِيئُكَ بِابْنِكَ فَلَعَلَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ كَرِهْتَ فِرَاقَهُ ؟ |
| فَقَالَ أَنَا إِلَى طَعْنَةٍ مِنْ يَدِ كَافِرٍ بِرُمْحٍ أَتَقَلَّبُ فِيهِ سَاعَةً أَشْوَقُ مِنِّي إِلَى ابْنِي. |
| فَرَجَعَ أَبُوهُ فَأَخْبَرَ مُعَاوِيَةَ بِقَوْلِهِ ، فَسَيَّرَ مُعَاوِيَةُ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَوْفٍ الْأَحْمَرَ فِي أَلْفَيْنِ ، وَخَرَجَ أَبُو حَوْثَرَةَ فِيمَنْ خَرَجَ فَدَعَا ابْنَهُ إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَالَ يَا أَبَهْ لَكَ فِي غَيْرِي سَعَةٌ. |
| وَقَاتَلَهُمُ ابْنُ عَوْفٍ وَصَبَرُوا ، وَبَارَزَ حَوْثَرَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَوْفٍ فَطَعَنَهُ ابْنُ عَوْفٍ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ إِلَّا خَمْسِينَ دَخَلُوا الْكُوفَةَ ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَرَأَى ابْنُ عَوْفٍ بِوَجْهِ حَوْثَرَةَ أَثَرَ السُّجُودِ ، وَكَانَ صَاحِبَ عِبَادَةٍ ، فَنَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ ، وَقَالَ قَتَلْتُ أَخَا بَنِي أَسَدٍ سَفَاهَا... |
| لَعَمْرُ أَبِي فَمَا لُقِّيتُ رُشْدِي قَتَلْتُ مُصَلِّيًا مِحْيَاءَ لَيْلٍ... |
| طَوِيلَ الْحُزْنِ ذَا بِرٍّ وَقَصْدِ قَتَلْتُ أَخَا تُقًى لَا نَالَ دُنْيَا... |
| وَذَاكَ لِشِقْوَتِي وَعِثَارِ جَدِّي فَهَبْ لِي تَوْبَةً يَا رَبِّ وَاغْفِرْ... |
| لِمَا قَارَفَتْ مِنْ خَطَأٍ وَعَمْدِ ذِكْرُ خُرُوجِ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَمَقْتَلُهُ ثُمَّ إِنَّ فَرْوَةَ بْنَ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيَّ خَرَجَ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ بَعْدَ مَسِيرِ مُعَاوِيَةَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ خَيْلًا عَلَيْهَا شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ ، وَيُقَالُ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ، فَلَقِيَهُ ، بِشَهْرَزُورَ فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ قُتِلَ بِبَعْضِ السَّوَادِ. |
| ذِكْرُ شَبِيبِ بْنِ بَجَرَةَ كَانَ شَبِيبٌ مَعَ ابْنِ مُلْجَمٍ حِينَ قَتَلَ عَلِيًّا ، فَلَمَّا دَخَلَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ أَتَاهُ شَبِيبٌ كَالْمُتَقَرِّبِ إِلَيْهِ فَقَالَ أَنَا وَابْنُ مُلْجَمٍ قَتَلْنَا عَلِيًّا ، فَوَثَبَ مُعَاوِيَةُ مِنْ مَجْلِسِهِ مَذْعُورًا حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَبَعَثَ إِلَى أَشْجَعَ وَقَالَ لَئِنْ رَأَيْتُ شَبِيبًا أَوْ بَلَغَنِي أَنَّهُ بِبَابِي لَأُهْلِكَنَّكُمْ ، أَخْرِجُوهُ عَنْ بَلَدِكُمْ. |
| وَكَانَ شَبِيبٌ إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ خَرَجَ فَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمُغِيرَةُ الْكُوفَةَ خَرَجَ عَلَيْهِ بِالْقُفِّ ، قَرِيبِ الْكُوفَةِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ خَيْلًا عَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ ، وَقِيلَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ، فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ شَبِيبٌ وَأَصْحَابُهُ. |
| ذِكْرُ مُعَيْنٍ الْخَارِجِيِّ وَبَلَغَ الْمُغِيرَةَ أَنَّ مُعَيْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُرِيدُ الْخُرُوجَ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ مُحَارِبٍ ، وَكَانَ اسْمُهُ مَعْنًا فَصُغِّرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ ، فَأُخِذَ وَحُبِسَ ، وَبَعَثَ الْمُغِيرَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ يُخْبِرُهُ أَمْرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنْ شَهِدَ أَنِّي خَلِيفَةٌ فَخَلِّ سَبِيلَهُ. |
| فَأَحْضَرَهُ الْمُغِيرَةُ وَقَالَ لَهُ أَتَشْهَدُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ خَلِيفَةٌ وَأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، قَتَلَهُ قَبِيصَةُ الْهِلَالِيُّ ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامَ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ جَلَسَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَى بَابِ قَبِيصَةَ حَتَّى خَرَجَ فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يُعْرَفْ قَاتِلُهُ حَتَّى خَرَجَ قَاتِلُهُ مَعَ شَبِيبِ بْنِ يَزِيدَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ قَالَ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ أَنَا قَاتِلُ قَبِيصَةَ! |
| ذِكْرُ خُرُوجِ أَبِي مَرْيَمَ ثُمَّ خَرَجَ أَبُو مَرْيَمَ مَوْلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ قَطَامُ وَكُحَيْلَةُ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَخْرَجَ مَعَهُ النِّسَاءَ ، فَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَبُو بِلَالِ بْنِ أُدَيَّةَ ، فَقَالَ قَدْ قَاتَلَ النِّسَاءُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّامِ ، وَسَأَرُدُّهُمَا ، فَرَدَّهُمَا ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ جَابِرًا الْبَجَلِيَّ ، فَقَاتَلَهُ فَقُتِلَ أَبُو مَرْيَمَ وَأَصْحَابُهُ بِبَادُورَيَا. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ أَبِي لَيْلَى وَكَانَ أَبُو لَيْلَى رَجُلًا أَسْوَدَ طَوِيلًا ، فَأَخَذَ بِعَضَادَتَيْ بَابِ الْمَسْجِدِ بِالْكُوفَةِ وَفِيهِ عِدَّةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ وَحَكَّمَ بِصَوْتٍ عَالٍ ، فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ أَحَدٌ ، فَخَرَجَ وَتَبِعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ الْمَوَالِي ، فَبَعَثَ فِيهِ الْمُغِيرَةُ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرِّيَاحِيَّ فَقَتَلَهُ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ. |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَلَى الْكُوفَةِ وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَلَى الْكُوفَةِ ، فَأَتَاهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ لَهُ اسْتَعْمَلْتَ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى الْكُوفَةِ وَأَبَاهُ عَلَى مِصْرَ فَتَكُونُ أَمِيرًا بَيْنَ نَابَيِ الْأَسَدِ. |
| فَعَزَلَهُ عَنْهَا وَاسْتَعْمَلَ الْمُغِيرَةَ عَلَى الْكُوفَةِ. |
| وَبَلَغَ عَمْرًا مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ ، فَدَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ اسْتَعْمَلْتَ الْمُغِيرَةَ عَلَى الْخَرَاجِ فَيَغْتَالُ الْمَالَ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْخُذَهُ مِنْهُ ، اسْتَعْمِلْ عَلَى الْخَرَاجِ رَجُلًا يَخَافُكَ وَيَتَّقِيكَ. |
| فَعَزَلَهُ عَنِ الْخَرَاجِ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الصَّلَاةِ. |
| وَلَمَّا وَلِيَ الْمُغِيرَةُ الْكُوفَةَ اسْتَعْمَلَ كَثِيرَ بْنَ شِهَابٍ عَلَى الرَّيِّ ، وَكَانَ يَكْثُرُ سَبَّ عَلِيٍّ عَلَى مِنْبَرِ الرَّيِّ ، وَبَقِيَ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ وَلِيَ زِيَادٌ الْكُوفَةَ ، فَأَقَرَّهُ عَلَيْهَا ، وَغَزَا الدَّيْلَمَ وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ التَّغْلِبِيُّ ، وَقَتَلَ دَيْلَمِيًّا وَأَخَذَ سَلْبَهُ ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ كَثِيرٌ ، فَنَاشَدَهُ اللَّهَ فِي رَدِّهِ عَلَيْهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَاخْتَفَى لَهُ وَضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ بِالسَّيْفِ أَوْ بِعَصَا هَشَمَ وَجْهَهُ ، فَقَالَ مَنْ مُبْلِغٌ أَفَنَاءَ خِنْدَفَ أَنَّنِي... |
| أَدْرَكْتُ طَائِلَتِي مِنِ ابْنِ شِهَابِ أَدْرَكْتُهُ لَيْلًا بِعَقَوَةَ دَارِهِ... |
| فَضَرَبْتُهُ قُدُمًا عَلَى الْأَنْيَابِ هَلَّا خَشِيتَ وَأَنْتَ عَادٍ ظَالِمٌ... |
| بِقُصُورٍ أَبْهَرَ أُسْرَتِي وَعِقَابِي ذِكْرُ وِلَايَةِ بُسْرٍ عَلَى الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِي بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ الْبَصْرَةَ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحَسَنَ لَمَّا صَالَحَ مُعَاوِيَةَ أَوَّلَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَبَ حُمْرَانُ بْنُ أَبَانٍ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخَذَهَا وَغَلَبَ عَلَيْهَا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بُسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةَ وَأَمَرَهُ بِقَتْلِ بَنِي زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَكَانَ زِيَادٌ عَلَى فَارِسَ قَدْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ بُسْرٌ الْبَصْرَةَ خَطَبَ عَلَى مِنْبَرِهَا وَشَتَمَ عَلِيًّا ثُمَّ قَالَ نَشَدْتُ اللَّهَ رَجُلًا يَعْلَمُ أَنِّي صَادِقٌ إِلَّا صَدَّقَنِي أَوْ كَاذِبٌ إِلَّا كَذَّبَنِي. |
| فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَعْلَمُكَ إِلَّا كَاذِبًا. |
| قَالَ فَأَمَرَ بِهِ فَخُنِقَ. |
| فَقَامَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ الضَّبِّيُّ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَيْهِ فَمَنَعَهُ. |
| وَأَقْطَعَهُ أَبُو بَكْرَةَ مِائَةَ جَرِيبٍ ، وَقِيلَ لِأَبِي بَكْرَةَ مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ |
| فَقَالَ يُنَاشِدُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ لَا نُصَدِّقُهُ ؟. |
| وَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى زِيَادٍ إِنَّ فِي يَدِكَ مَالًا مِنْ مَالِ اللَّهِ فَأَدِّ مَا عِنْدَكَ مِنْهُ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ زِيَادٌ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدِي شَيْءٌ ، وَلَقَدْ صَرَفْتُ مَا كَانَ عِنْدِي فِي وَجْهِهِ ، وَاسْتَوْدَعْتُ بَعْضَهُ لِنَازِلَةٍ إِنْ نَزَلَتْ ، وَحَمَلْتُ مَا فَضَلَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ أَنْ أَقْبِلْ نَنْظُرْ فِيمَا وُلِيتَ ، فَإِنِ اسْتَقَامَ بَيْنَنَا أَمْرٌ وَإِلَّا رَجَعْتَ إِلَى مَأْمَنِكَ. |
| فَامْتَنَعَ ، فَأَخَذَ بُسْرٌ أَوْلَادَ زِيَادٍ الْأَكَابِرَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ وَعَبَّادٌ ، وَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ لَتَقْدَمَنَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ لَأَقْتُلَنَّ بَنِيكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ زِيَادٌ لَسْتُ بَارِحًا مِنْ مَكَانِي حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِكَ ، وَإِنْ قَتَلْتَ وَلَدِي فَالْمَصِيرُ إِلَى اللَّهِ وَمِنْ وَرَائِنَا الْحِسَابُ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ الشعراء . |
| فَأَرَادَ بُسْرٌ قَتْلَهُمْ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ قَدْ أَخَذْتَ وَلَدَ أَخِي بِلَا ذَنْبٍ ، وَقَدْ صَالَحَ الْحَسَنُ مُعَاوِيَةَ عَلَى مَا أَصَابَ أَصْحَابَ عَلِيٌّ حَيْثُ كَانُوا ، فَلَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَلَى أَبِيهِمْ سَبِيلٌ. |
| وَأَجِّلْهُ أَيَّامًا حَتَّى يَأْتِيَهُ بِكِتَابِ مُعَاوِيَةَ ، فَرَكِبَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَهُوَ بِالْكُوفَةِ فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ يَا مُعَاوِيَةُ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطُوكَ بَيْعَتَهُمْ عَلَى قَتْلِ الْأَطْفَالِ! |
| قَالَ وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا بَكْرَةَ ؟ |
| قَالَ بُسْرٌ يُرِيدُ قَتْلَ بَنِي أَخِي زِيَادٍ. |
| فَكَتَبَ لَهُ بِتَخْلِيَتِهِمْ. |
| فَأَخَذَ كِتَابَهُ إِلَى بُسْرٌ بِالْكَفِّ عَنْ أَوْلَادِ زِيَادٍ ، وَعَادَ فَوَصَلَ الْبَصْرَةَ يَوْمَ الْمِيعَادِ وَقَدْ أَخْرَجَ بُسْرٌ أَوْلَادَ زِيَادٍ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَنْتَظِرُ بِهِمُ الْغُرُوبَ لِيَقْتُلَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِذَلِكَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أَبَا بَكْرَةَ إِذْ رَفَعَ لَهُمْ عَلَى نَجِيبٍ أَوْ بِرْذَوْنٍ يَكِدُّهُ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَنَزَلَ عَنْهُ وَأَلَاحَ بِثَوْبِهِ وَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَأَقْبَلَ يَسْعَى عَلَى رِجْلَيْهِ فَأَدْرَكَ بُسْرًا قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ مُعَاوِيَةَ ، فَأَطْلَقَهُمْ. |
| وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ حِينَ قُتِلَ عَلِيٌّ يَتَهَدَّدُهُ ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ الْعَجَبُ مِنِ ابْنِ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ ، وَكَهْفِ النِّفَاقِ ، وَرَئِيسِ الْأَحْزَابِ يَتَهَدَّدُنِي ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ ابْنَا عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، فِي سَبْعِينَ أَلْفًا وَاضِعِي سُيُوفِهِمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ! |
| أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ خَلَصَ إِلَيَّ لَيَجِدَنِّي أَحْمَزَ ضَرَّابًا بِالسَّيْفِ. |
| فَلَمَّا صَالَحَ الْحَسَنُ مُعَاوِيَةَ وَقَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ تَحَصَّنَ زِيَادٌ فِي الْقَلْعَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا قَلْعَةُ زِيَادٍ. |
| قَوْلُ مَنْ قَالَ هَذَا إِنَّ زِيَادًا عَنَى ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَهْمٌ لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ فَارَقَ عَلِيًّا فِي حَيَاتِهِ . |
| وَقِيلَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ أَرْسَلَ هَذَا إِلَى زِيَادٍ فِي حَيَاةِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ زِيَادٌ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَعَنَى بِهَا عَلِيًّا. |
| وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ يُخْبِرُهُ بِمَا كَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ ، فَأَجَابَهُ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي اسْتِلْحَاقِ مُعَاوِيَةَ زِيَادًا . |
| كُلُّ مَا فِي هَذَا الْخَبَرِ بُسْرٌ فَهُوَ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ السَّاكِنَةِ . |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ ابْنِ عَامِرٍ الْبَصْرَةَ لِمُعَاوِيَةَ ثُمَّ أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُوَلِّيَ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ الْبَصْرَةَ ، فَكَلَّمَهُ ابْنُ عَامِرٍ وَقَالَ لَهُ إِنَّ لِي بِالْبَصْرَةِ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا ، فَإِنْ لَمْ تُوَلِّنِي عَلَيْهَا ذَهَبَتْ. |
| فَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ. |
| فَقَدِمَهَا فِي آخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ خُرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ ، فَجَعَلَ عَلَى شُرْطَتِهِ حَبِيبَ بْنَ شِهَابٍ ، وَعَلَى الْقَضَاءِ عَمِيرَةَ بْنَ يَثْرِبِيٍّ أَخَا عَمْرٍو ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ أَنَّ عَمِيرَةَ قُتِلَ فِيهَا ، وَقِيلَ عَمْرٌو هُوَ الْمَقْتُولُ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ . |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ قَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ خُرَاسَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ ابْنُ عَامِرٍ قَيْسَ بْنَ الْهَيْثَمِ السُّلَمِيَّ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَكَانَ أَهْلُ بِاذَغِيسَ وَهَرَاةَ وَبُوشَنْجَ قَدْ نَكَثُوا ، فَسَارَ إِلَى بَلْخَ فَأَخْرَبَ نُوبَهَارَهَا ، كَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ مَوْلَى بَنِي لَيْثٍ ، وَهُوَ الْخُشْكُ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ عَطَاءً الْخُشْكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ مَدِينَةَ هَرَاةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَابِ خُشْكٍ ، وَاتَّخَذَ قَنَاطِرَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْهَارٍ مَنْ بَلْخَ عَلَى فَرْسَخٍ فَقِيلَ قَنَاطِرُ عَطَاءٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ بَلْخَ سَأَلُوا الصُّلْحَ وَمُرَاجَعَةَ الطَّاعَةِ فَصَالَحَهُمْ قَيْسٌ. |
| وَقِيلَ إِنَّمَا صَالَحَهُمُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ ، وَسَيَرِدُ ذِكْرُهُ. |
| ثُمَّ قَدِمَ قَيْسٌ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ فَضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَهْلُ هَرَاةَ وَبَاذَغِيسَ وَبُوشَنْجَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ وَالصُّلْحَ ، فَصَالَحَهُمْ وَحَمَلَ إِلَى ابْنِ عَامِرٍ مَالًا. |
| عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ . |
| ذِكْرُ خُرُوجِ سَهْمِ بْنِ غَالِبٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ سَهْمُ بْنُ غَالِبٍ الْهُجَيْمِيُّ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا ، مِنْهُمُ الْخَطِيمُ الْبَاهِلِيُّ ، وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ مَالِكٍ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْخَطِيمُ لِضَرْبَةٍ ضُرِبَهَا عَلَى وَجْهِهِ ، فَنَزَلُوا بَيْنَ الْجِسْرَيْنِ وَالْبَصْرَةِ ، فَمَرَّ بِهِمْ عُبَادَةُ بْنُ فُرْصٍ اللَّيْثِيُّ مِنَ الْغَزْوِ وَمَعَهُ ابْنُهُ وَابْنُ أَخِيهِ ، فَقَالَ لَهُمُ الْخَوَارِجُ مَنْ أَنْتُمْ ؟ |
| قَالُوا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ. |
| قَالُوا كَذَبْتُمْ. |
| قَالَ عُبَادَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ! |
| اقْبَلُوا مِنَّا مَا قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنِّي ، فَإِنِّي كَذَّبْتُهُ وَقَاتَلْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَسْلَمْتُ فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنِّي. |
| قَالُوا أَنْتَ كَافِرٌ ، وَقَتَلُوهُ وَقَتَلُوا ابْنَهُ وَابْنَ أَخِيهِ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ ابْنُ عَامِرٍ بِنَفْسِهِ وَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِدَّةً وَانْحَازَ بَقِيَّتُهُمْ إِلَى أَجَمَةٍ وَفِيهِمْ سَهْمٌ وَالْخَطِيمُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ ابْنُ عَامِرٍ الْأَمَانَ فَقَبِلُوهُ ، فَآمَنُهُمْ ، فَرَجَعُوا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُ بِقَتْلِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَامِرٍ إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ ذِمَّتَكَ. |
| فَلَمَّا أَتَى زِيَادٌ الْبَصْرَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ هَرَبَ سَهْمٌ وَالْخَطِيمُ فَخَرَجَا إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَاجْتَمَعَ إِلَى سَهْمٍ جَمَاعَةٌ فَأَقْبَلَ بِهِمْ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَخَذَ قَوْمًا ، فَقَالُوا نَحْنُ يَهُودٌ ، فَخَلَّاهُمْ ، وَقَتَلَ سَعْدًا مَوْلَى قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، فَاخْتَفَى سَهْمٌ ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ تَفَرَّقُوا عِنْدَ اسْتِخْفَائِهِ ، فَطَلَبَ الْأَمَانَ وَظَنَّ أَنَّهُ يَسُوغُ لَهُ عِنْدَ زِيَادٍ مَا سَاغَ عِنْدَ ابْنِ عَامِرٍ ، فَلَمْ يُؤَمِّنْهُ زِيَادٌ ، وَبَحَثَ عَنْهُ ، فَدُلَّ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ وَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ فِي دَارِهِ. |
| وَقِيلَ لَمْ يَزَلْ مُسْتَخْفِيًا إِلَى أَنْ مَاتَ زِيَادٌ فَأَخَذَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فَصَلَبَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَقِيلَ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فَإِنْ تَكُنِ الْأَحْزَابُ بَاءُوا بِصَلْبِهِ... |
| فَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ سَهْمَ بْنَ غَالِبِ وَأَمَّا الْخَطِيمُ فَإِنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ قَتْلِهِ عُبَادَةَ فَأَنْكَرَهُ فَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ثُمَّ أَعَادَهُ بَعْدَ ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وُلِدَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَقِيلَ وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ عَلِيٌّ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ، وَبِاسِمِ عَلِيٍّ سَمَّاهُ ، وَقَالَ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَقِيلَ عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ قِيسٍ ، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ عَمْرٍو ، عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَانْتَهَى إِلَى لُوَاتَةَ وَمُزَاتَةَ ، فَأَطَاعُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، فَغَزَاهُمْ مِنْ سَنَتِهِ ، فَقَتَلَ وَسَبَى ، ثُمَّ افْتَتَحَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ غُدَامِسَ ، فَقَتَلَ وَسَبَى ، وَفَتَحَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ كُوَرًا مِنْ كُوَرِ السُّودَانِ ، وَافْتَتَحَ وَدَّانَ ، وَهِيَ مِنْ بَرْقَةَ ، وَافْتَتَحَ عَامَّةَ بِلَادِ بَرْبَرٍ ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَطَّ الْقَيْرَوَانَ سَنَةَ خَمْسِينَ ، وَسَيُذْكَرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الشَّاعِرُ ، وَقِيلَ مَاتَ يَوْمَ دَخَلَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ وَعُمُرُهُ مِائَةُ سَنَةٍ وَسَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ مَاتَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، وَتَرَكَ الشِّعْرَ مُذْ أَسْلَمَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْمُسْلِمُونَ اللَّانَ وَغَزَوُا الرُّومَ أَيْضًا فَهَزَمُوهُمْ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً وَقَتَلُوا جَمَاعَتَهُمْ مِنْ بَطَارِقَتِهِمْ. |
| وَفِيهَا وُلِدَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ فِي قَوْلٍ. |
| وَفِيهَا وَلَّى مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ الْمَدِينَةَ ، وَوَلَّى خَالِدَ بْنَ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ مَكَّةَ ، فَاسْتَقْضَى مَرْوَانُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ. |
| وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَعَلَى قَضَائِهَا شُرَيْحٌ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ اسْتَعْمَلَهُ ابْنُ عَامِرٍ ، وَقِيلَ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ لَمَّا اسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ ، فَلَمَّا وَلِيَ ابْنُ عَامِرٍ الْبَصْرَةَ أَقَرَّهُ عَلَيْهَا . |
| ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ تَحَرُّكِ الْخَوَارِجِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَحَرَّكَتِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ كَانُوا انْحَازُوا عَمَّنْ قُتِلَ فِي النَّهْرِ وَمَنْ كَانَ ارْتَثَّ مِنْ جِرَاحَتِهِ فِي النَّهْرِ فَبَرَءُوا وَعَفَا عَلِيٌّ عَنْهُمْ ، وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِمْ أَنَّ حَيَّانَ بْنَ ظَبْيَانَ السُّلَمِيَّ كَانَ خَارِجِيًّا وَكَانَ قَدِ ارْتَثَّ يَوْمَ النَّهْرِ ، فَلَمَّا بَرَأَ لَحِقَ بِالرَّيِّ فِي رِجَالٍ مَعَهُ فَأَقَامُوا بِهَا حَتَّى بَلَغَهُمْ مَقْتَلُ عَلِيٍّ ، فَدَعَا أَصْحَابَهُ وَكَانُوا بِضْعَةَ عَشَرَ ، أَحَدُهُمْ سَالِمُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَبْسِيُّ ، فَأَعْلَمَهُمْ بِقَتْلِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ سَالِمٌ لَا شُلَّتْ يَمِينٌ عَلَتْ قَذَالَهُ بِالسَّيْفِ! |
| وَحَمِدُوا اللَّهَ عَلَى قَتْلِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا رَضِيَ عَنْهُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ سَالِمًا رَجَعَ عَنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ ذَلِكَ وَصَلُحَ ، وَدَعَاهُمْ حَيَّانُ إِلَى الْخُرُوجِ وَمُقَاتَلَةِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى الْكُوفَةِ فَأَقَامُوا بِهَا حَتَّى قَدِمَهَا مُعَاوِيَةُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، فَأَحَبَّ الْعَافِيَةَ وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ ، وَكَانَ يُؤْتَى فَيُقَالُ لَهُ إِنَّ فُلَانًا يَرَى رَأْيَ الشِّيعَةِ وَفُلَانًا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ ، فَيَقُولُ قَضَى اللَّهُ أَنْ لَا يَزَالُوا مُخْتَلِفِينَ وَسَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ. |
| فَأَمِنَهُ النَّاسُ. |
| وَكَانَتِ الْخَوَارِجُ يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَتَذَاكَرُونَ مَكَانَ إِخْوَانِهِمْ بِالنَّهْرِ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ عَلَى الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ عُلِّفَةَ التَّيْمِيِّ مِنْ تَيْمِ الرِّبَابِ ، وَعَلَى مُعَاذِ بْنِ جُوَيْنٍ الطَّائِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ زِيدِ بْنِ حُصَيْنٍ الَّذِي قُتِلَ يَوْمَ النَّهْرِ ، وَعَلَى حَيَّانَ بْنِ ظَبْيَانَ السُّلَمِيِّ ، وَاجْتَمَعُوا فِي أَرْبَعِمِائَةٍ فَتَشَاوَرُوا فِيمَنْ يُوَلُّونَ عَلَيْهِمْ ، فَكُلُّهُمْ دَفَعَ الْإِمَارَةَ عَنْ نَفْسِهِ ، ثُمَّ اتَّفَقُوا فَوَلَّوُا الْمُسْتَوْرِدَ وَبَايَعُوهُ ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَاتَّعَدُوا لِلْخُرُوجِ وَاسْتَعَدُّوا ، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ غُرَّةَ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ. |
| عُلِّفَةُ بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ ، وَفَتْحِ الْفَاءِ . |
| ذِكْرُ قُدُومِ زِيَادٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ زِيَادٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ مِنْ فَارِسَ . |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ زِيَادًا كَانَ قَدِ اسْتَوْدَعَ مَالَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَلِي مَالَهُ بِالْبَصْرَةِ ، وَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ ذَلِكَ فَبَعَثَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ لِيَنْظُرَ فِي أَمْوَالِ زِيَادٍ ، فَأَخَذَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ إِنْ كَانَ أَبُوكَ قَدْ أَسَاءَ إِلَيَّ لَقَدْ أَحْسَنَ عَمُّكَ ، يَعْنِي زِيَادًا. |
| وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ عَذِّبْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُعْذَرَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ احْتَفِظْ بِمَا فِي يَدَيْكَ. |
| وَأَلْقَى عَلَى وَجْهِهِ حَرِيرَةً وَنَضَحَهَا بِالْمَاءِ ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ خَلَّاهُ وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ إِنِّي عَذَّبْتُهُ فَلَمْ أُصِبْ عِنْدَهُ شَيْئًا. |
| وَحَفِظَ لِزِيَادٍ يَدَهُ عِنْدَهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَ الْمُغِيرَةُ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ حِينَ رَآهُ إِنَّمَا مَوْضِعُ سِرِّ الْمَرْءِ إِنْ بَاحَ بِالسِّرِّ أَخُوهُ الْمُنْتَصِحْ فَإِذَا بُحْتَ بِسِرٍّ فَإِلَى نَاصِحٍ يَسْتُرُهُ أَوْ لَا تَبُحْ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ تَسْتَوْدِعْنِي تَسْتَوْدِعْ نَاصِحًا مُشْفِقًا ، وَمَا ذَلِكَ ؟ |
| قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ ذَكَرْتُ زِيَادًا وَاعْتِصَامَهُ بِفَارِسَ فَلَمْ أَنَمْ لَيْلَتِي. |
| فَقَالَ الْمُغِيرَةُ مَا زِيَادٌ هُنَاكَ ؟ |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ دَاهِيَةُ الْعَرَبِ مَعَهُ أَمْوَالُ فَارِسَ يُدَبِّرُ الْحِيَلَ ، مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يُبَايِعَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَعَادَ عَلَيَّ الْحَرْبَ جَذَعَةً ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ أَتَأْذَنُ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِتْيَانِهِ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، فَأْتِهِ وَتَلَطَّفْ لَهُ. |
| فَأَتَاهُ الْمُغِيرَةُ وَقَالَ لَهُ إِنَّ مُعَاوِيَةَ اسْتَخَفَّهُ الْوَجَلُ حَتَّى بَعَثَنِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ غَيْرُ الْحَسَنِ ، وَقَدْ بَايَعَ ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ التَّوْطِينِ فَيَسْتَغْنِي مُعَاوِيَةُ عَنْكَ. |
| قَالَ أَشِرْ عَلَيَّ وَارْمِ الْغَرَضَ الْأَقْصَى ، فَإِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ أَرَى أَنْ تَصِلَ حَبْلَكَ بِحَبْلِهِ وَتَشْخَصَ إِلَيْهِ ، وَيَقْضِي اللَّهُ. |
| وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بِأَمَانِهِ بَعْدَ عَوْدِ الْمُغِيرَةِ عَنْهُ ، فَخَرَجَ زِيَادٌ مِنْ فَارِسَ نَحْوَ مُعَاوِيَةَ وَمَعَهُ الْمِنْجَابُ بْنُ رَاشِدٍ الضَّبِّيُّ وَحَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ الْغُدَانِيُّ. |
| وَسَرَّحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَى فَارِسَ وَقَالَ لَعَلَّكَ تَلْقَى زِيَادًا فِي طَرِيقِكَ فَتَأْخُذُهُ. |
| فَسَارَ ابْنُ خَازِمٍ ، فَلَقِيَ زِيَادًا بِأَرَّجَانَ ، فَأَخَذَهُ بِعِنَانِهِ وَقَالَ انْزِلْ يَا زِيَادُ. |
| فَقَالَ لَهُ الْمِنْجَابُ تَنَحَّ يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ وَإِلَّا عَلَّقْتُ يَدَكَ بِالْعِنَانِ. |
| وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُنَازَعَةٌ. |
| فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ قَدْ أَتَانِي كِتَابُ مُعَاوِيَةَ وَأَمَانُهُ. |
| فَتَرَكَهُ ابْنُ خَازِمٍ ، وَقَدِمَ زِيَادٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْوَالِ فَارِسَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا حَمَلَ مِنْهَا إِلَى عَلِيٍّ وَبِمَا أَنْفَقَ مِنْهَا فِي الْوُجُوهِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ وَمَا بَقِيَ عِنْدَهُ وَأَنَّهُ مُودَعٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَصَدَّقَهُ مُعَاوِيَةُ فِيمَا أَنْفَقَ وَفِيمَا بَقِيَ عِنْدَهُ وَقَبَضَهُ مِنْهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ زِيَادًا لَمَّا قَالَ لِمُعَاوِيَةَ قَدْ بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنَ الْمَالِ وَقَدْ أَوْدَعْتُهَا ، مَكَثَ مُعَاوِيَةُ يُرَدِّدُهُ ، فَكَتَبَ زِيَادٌ كُتُبَا إِلَى قَوْمٍ أَوْدَعَهُمُ الْمَالَ وَقَالَ لَهُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا لِي عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَمَانَةِ فَتَدَبَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ الأحزاب الْآيَةَ ، فَاحْتَفِظُوا بِمَا قِبَلَكُمْ. |
| وَسَمَّى فِي الْكُتُبِ الْمَالَ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ لِمُعَاوِيَةَ ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِبَعْضِ مَنْ يُبَلِّغُ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ. |
| فَفَعَلَ رَسُولُهُ ، وَانْتَشَرَ ذَلِكَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادٍ حِينَ وَقَفَ عَلَى الْكُتُبِ أَخَافَ أَنْ تَكُونَ مَكَرْتَ بِي فَصَالِحْنِي عَلَى مَا شِئْتَ. |
| فَصَالَحَهُ عَلَى شَيْءٍ وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ ، وَمَبْلَغُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي نُزُولِ الْكُوفَةِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَكَانَ الْمُغِيرَةُ يُكْرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ. |
| فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ لِيُلْزِمَ زِيَادًا وَحُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ وَسُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ وَشَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ وَابْنَ الْكَوَّا بْنِ الْحَمِقِ بِالصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ ، فَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَعَهُ الصَّلَاةَ. |
| وَإِنَّمَا أَلْزَمَهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ هَذِهِ السَّنَةَ بِالنَّاسِ عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ بِأَرْمِينِيَّةَ ، وَكَانَ أَمِيرًا لِمُعَاوِيَةَ عَلَيْهَا ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ مَعَهُ حُرُوبَهُ كُلَّهَا. |
| وَفِيهَا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ ، لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِيهَا مَاتَ رُكَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ الَّذِي صَارَعَ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَفِيهَا مَاتَ هَانِئُ بْنُ نِيَارِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ خَالُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَكَانَ بَدْرِيًّا عَقَبِيًّا. |
| نِيَارٌ بِكَسْرِ النُّونِ ، وَفَتْحِ الْيَاءِ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ، وَآخِرُهُ رَاءٌ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ الرُّومَ وَشَتَا بِأَرْضِهِمْ حَتَّى بَلَغَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ وَقَالُوا لَمْ يَشْتُ بُسْرٌ بِأَرْضِ الرُّومِ قَطُّ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِمِصْرَ يَوْمَ الْفِطْرِ ، وَكَانَ عَمِلَ عَلَيْهَا لِعُمَرَ أَرْبَعَ سِنِينَ ، وَلِعُثْمَانَ أَرْبَعَ سِنِينَ إِلَّا شَهْرَيْنِ ، وَلِمُعَاوِيَةَ سَنَتَيْنِ إِلَّا شَهْرًا. |
| وَفِيهَا وَلَّى مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِصْرَ فَوَلِيَهَا نَحْوًا مِنْ سَنَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِالْمَدِينَةِ فِي صَفَرٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَعُمُرُهُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً . |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ الْمُسْتَوْرِدِ الْخَارِجِيِّ وَفِيهَا قُتِلَ الْمُسْتَوْرِدُ بْنِ عُلِّفَةَ التَّيْمِيُّ تَيْمَ الرِّبَابِ ، وَقَدْ ذُكِرَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ تَحَرُّكُ الْخَوَارِجِ وَبَيْعَتُهُمْ لَهُ وَمُخَاطَبَتُهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . |
| فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةَ أَخْبَرَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بِأَنَّهُمُ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ حَيَّانَ بْنِ ظَبْيَانَ السُّلَمِيِّ وَاتَّعَدُوا لِلْخُرُوجِ غُرَّةَ شَعْبَانَ ، فَأَرْسَلَ الْمُغِيرَةُ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ ، وَهُوَ قَبِيصَةُ بْنُ الدَّمُونِ ، فَأَحَاطَ بِدَارِ حَيَّانَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَإِذَا عِنْدَهُ مُعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ وَنَحْوُ عِشْرِينَ رَجُلًا ، وَثَارَتِ امْرَأَتُهُ ، وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ كَانَتْ لَهُ كَارِهَةً ، فَأَخَذَتْ سُيُوفَهُمْ فَأَلْقَتْهَا تَحْتَ الْفِرَاشِ ، وَقَامُوا لِيَأْخُذُوا سُيُوفَهُمْ فَلَمْ يَجِدُوهَا فَاسْتَسْلَمُوا ، فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى الْمُغِيرَةِ فَحَبَسَهُمْ بَعْدَ أَنْ قَرَّرَهُمْ فَلَمْ يَعْتَرِفُوا بِشَيْءٍ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمُ اجْتَمَعُوا لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَلَمْ يَزَالُوا فِي السِّجْنِ نَحْوَ سَنَةٍ ، وَسَمِعَ إِخْوَانُهُمْ فَحَذَرُوا ، وَخَرَجَ صَاحِبُهُمُ الْمُسْتَوْرِدُ فَنَزَلَ الْحِيرَةَ ، وَاخْتَلَفَ الْخَوَارِجُ إِلَيْهِ ، فَرَآهُمْ حَجَّارُ بْنُ أَبْجَرَ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَكْتُمَ عَلَيْهِمْ لَيْلَتَهُمْ تِلْكَ ، فَقَالَ لَهُمْ سَأَكْتُمُ عَلَيْكُمُ الدَّهْرَ ، فَخَافُوهُ أَنْ يَذْكُرَ حَالَهُمْ لِلْمُغِيرَةِ ، فَتَحَوَّلُوا إِلَى دَارِ سُلَيْمِ بْنِ مَحْدُوجٍ الْعَبْدِيِّ ، وَكَانَ صِهْرًا لِلْمُسْتَوْرِدِ وَلَمْ يَذْكُرْ حَجَّارٌ مِنْ أَخْبَارِهِمْ شَيْئًا. |
| وَبَلَغَ الْمُغِيرَةَ خَبَرُهُمْ وَأَنَّهُمْ عَازِمُونَ عَلَى الْخُرُوجِ تِلْكَ الْأَيَّامَ ، فَقَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَمْ أَزَلْ أُحِبُّ لِجَمَاعَتِهِمُ الْعَافِيَةَ وَأَكُفُّ عَنْكُمُ الْأَذَى ، وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَدَبُ سُوءٍ لِسُفَهَائِكُمْ ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا نَجِدَ بُدًّا مِنْ أَنْ يُؤْخَذَ الْحَلِيمُ التَّقِيُّ بِذَنْبِ الْجَاهِلِ السَّفِيهِ ، فَكُفُّوا عَنْهَا سُفَهَاءَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَشْمَلَ الْبَلَاءُ عَوَامَّكُمْ ، وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ رِجَالًا يُرِيدُونَ أَنْ يَظْهَرُوا فِي الْمِصْرِ بِالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَالْخِلَافِ ، وَايْمُ اللَّهِ لَا يَخْرُجُونَ فِي حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ إِلَّا أَهْلَكْتُهُمْ وَجَعَلْتُهُمْ نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ! |
| فَقَامَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَاحِيُّ فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَعْلِمْنَا بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، فَإِنْ كَانُوا مِنَّا كَفَيْنَاكَهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَنَا أَمَرْتَ أَهْلَ الطَّاعَةِ فَأَتَاكَ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِسُفَهَائِهِمْ. |
| فَقَالَ مَا سُمِّيَ لِي أَحَدٌ بِاسْمِهِ. |
| فَقَالَ مَعْقِلٌ أَنَا أَكْفِيكَ قَوْمِي فَلْيَكْفِكَ كُلُّ رَئِيسٍ قَوْمَهُ. |
| فَأَحْضَرَ الْمُغِيرَةُ الرُّؤَسَاءَ وَقَالَ لَهُمْ لِيَكْفِنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قَوْمَهُ وَإِلَّا فَوَاللَّهِ لَأَتَحَوَّلَنَّ عَمَّا تَعْرِفُونَ إِلَى مَا تُنْكِرُونَ ، وَعَمَّا تُحِبُّونَ إِلَى مَا تَكْرَهُونَ. |
| فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَنَاشَدُوهُمُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ إِلَّا دَلُّوهُمْ عَلَى كُلِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُهَيِّجَ الْفِتْنَةَ ، وَجَاءَ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَكَانَ قَدْ عَلِمَ بِمَنْزِلِ حَيَّانَ فِي دَارِ سُلَيْمٍ ، وَلَكِنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ عَشِيرَتِهِ عَلَى فِرَاقِهِ لِأَهْلِ الشَّامِ وَبُغْضِهِ لِرَأْيِهِمْ ، وَكَرِهَ مَسَاءَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَامَ فِيهِمْ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ وَلَهُ الْحَمْدُ لَمَّا قَسَّمَ الْفَضْلَ خَصَّكُمْ بِأَحْسَنِ الْقَسَمِ فَأَجَبْتُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الَّذِي اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ وَارْتَضَاهُ لِمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ، ثُمَّ أَقَمْتُمْ حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اخْتَلَفَ النَّاسُ بَعْدَهُ فَثَبَتَتْ طَائِفَةٌ وَارْتَدَّتْ طَائِفَةٌ وَأَدْهَنَتْ طَائِفَةٌ ، وَتَرَبَّصَتْ طَائِفَةٌ ، فَلَزِمْتُمْ دِينَ اللَّهِ إِيمَانًا بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَقَاتَلْتُمُ الْمُرْتَدِّينَ حَتَّى قَامَ الدِّينُ وَأَهْلَكَ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَزِيدُكُمْ بِذَلِكَ خَيْرًا حَتَّى اخْتَلَفَتِ الْأُمَّةُ بَيْنَهَا فَقَالَتْ طَائِفَةٌ نُرِيدُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَائِشَةَ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ نُرِيدُ أَهْلَ الْمَغْرِبِ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ نُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَهْبٍ الرَّاسِبِيَّ ، وَقُلْتُمْ أَنْتُمْ لَا نُرِيدُ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّنَا الَّذِينَ ابْتَدَأَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قِبَلِهِمْ بِالْكَرَامَةِ تَسْدِيدًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ وَتَوْفِيقًا ، فَلَمْ تَزَالُوا عَلَى الْحَقِّ لَازِمِينَ لَهُ آخِذِينَ بِهِ حَتَّى أَهْلَكَ اللَّهُ بِكُمْ وَبِمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ هَدْيِكُمُ النَّاكِثِينَ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَالْمَارِقِينَ يَوْمَ النَّهْرِ ، وَسَكَتَ عَنْ ذِكْرِ أَهْلِ الشَّامِ لِأَنَّ السُّلْطَانَ لَهُمْ ، فَلَا قَوْمَ أَعْدَى لِلَّهِ وَلَكُمْ وَلِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَارِقَةِ الْخَاطِئَةِ الَّذِينَ فَارَقُوا إِمَامَنَا وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَنَا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا بِالْكُفْرِ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْوُوهُمْ فِي دُورِكُمْ أَوْ تَكْتُمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَنْ يَكُونَ أَعْدَى لِهَذِهِ الْمَارِقَةِ مِنْكُمْ ، وَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنَّ بَعْضَهُمْ فِي جَانِبٍ مِنَ الْحَيِّ ، وَأَنَا بَاحِثٌ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ يَكُ حَقًّا تَقَرَّبْتُ إِلَى اللَّهِ بِدِمَائِهِمْ ، فَإِنَّ دِمَاءَهُمْ حَلَالٌ! |
| وَقَالَ يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ إِنَّ وُلَاتَنَا هَؤُلَاءِ أَعْرَفُ شَيْءٍ بِكُمْ وَبِرَأْيِكُمْ ، فَلَا تَجْعَلُوا لَهُمْ عَلَيْكُمْ سَبِيلًا ، فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَيْكُمْ وَإِلَى مِثْلِكُمْ. |
| ثُمَّ جَلَسَ وَكُلُّ قَوْمٍ قَالَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَبَرِئَ مِنْهُمْ ، لَا نُؤْوِيهِمْ ، وَلَئِنْ عَلِمْنَا بِمَكَانِهِمْ لَنُطْلِعَنَّكَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرَ سُلَيْمِ بْنِ مَحْدُوجٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا وَرَجَعَ كَئِيبًا يَكْرَهُ أَنْ يَخْرُجَ أَصْحَابُهُ مِنْ دَارِهِ فَيَلُومُوهُ ، وَيَكْرَهُ أَنْ يُؤْخَذُوا فِي دَارِهِ فَيَهْلِكُوا وَيَهْلِكَ مَعَهُمْ. |
| وَجَاءَ أَصْحَابُ الْمُسْتَوْرِدِ إِلَيْهِ فَأَعْلَمُوهُ بِمَا قَامَ بِهِ الْمُغِيرَةُ فِي النَّاسِ وَبِمَا قَامَ بِهِ رُءُوسُهُمْ فِيهِمْ. |
| فَسَأَلَ ابْنَ مَحْدُوجٍ عَمَّا قَامَ بِهِ صَعْصَعَةُ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ ، وَقَالَ كَرِهْتُ أَنْ أُعْلِمَكُمْ فَتَظُنُّوا أَنَّهُ ثَقُلَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ. |
| فَقَالَ لَهُ قَدْ أَكْرَمْتَ الْمَثْوَى وَأَحْسَنْتَ ، وَنَحْنُ مُرْتَحِلُونَ عَنْكَ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ الَّذِينَ فِي مَحْبَسِ الْمُغِيرَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جُوَيْنِ بْنِ حُصَيْنٍ فِي ذَلِكَ أَلَا أَيُّهَا الشَّارُونَ قَدْ حَانَ لِامْرِئٍ... |
| شَرَى نَفْسَهُ لِلَّهِ أَنْ يَتَرَحَّلَا أَقَمْتُمْ بِدَارِ الْخَاطِئِينَ جَهَالَةً... |
| وَكُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ يُصَادُ لِيُقْتَلَا فَشُدُّوا عَلَى الْقَوْمِ الْعُدَاةِ فَإِنَّمَا... |
| أَقَامَتْكُمُ لِلذَّبْحِ رَأْيًا مُضَلِّلًا أَلَا فَاقْصِدُوا يَا قَوْمِ لِلْغَايَةِ الَّتِي... |
| إِذَا ذُكِرَتْ كَانَتْ أَبَرَّ وَأَعْدَلَا فَيَا لَيْتَنِي فِيكُمْ عَلَى ظَهْرِ سَابِحٍ... |
| شَدِيدِ الْقُصَيْرَى دَارِعًا غَيْرَ أَعْزَلَا وَيَا لَيْتَنِي فِيكُمُ الْعَادِي عَدُوَّكُمْ... |
| فَيَسْقِينِي كَأْسَ الْمَنِيَّةِ أَوَّلَا يَعِزُّ عَلِيَّ أَنْ تُخَافُوا وَتُطْرَدُوا... |
| وَلَمَّا أُجَرِّدْ فِي الْمُحِلِّينَ مُنْصُلَا وَلَمَّا يُفَرِّقْ جَمْعَهُمْ كُلُّ مَاجِدٍ... |
| إِذَا قُلْتَ قَدْ وَلَّى وَأَدْبَرَ أَقْبَلَا مُشِيحًا بِنَصْلِ السَّيْفِ فِي حَمَسِ الْوَغَى... |
| يَرَى الصَّبْرَ فِي بَعْضِ الْمُوَاطِنِ أَمْثَلَا وَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ تُصَابُوا وَتُنْقَصُوا... |
| وَأَصْبَحَ ذَا بَثٍّ أَسِيرًا مُكَبَّلَا وَلَوْ أَنَّنِي فِيكُمْ وَقَدْ قَصَدُوا لَكُمْ... |
| أَثَرْتُ إِذًا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قَسْطَلَا فَيَا رُبَّ جَمْعٍ قَدْ فَلَلْتُ وَغَارَةٍ... |
| شَهِدْتُ وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلَا وَأَرْسَلَ الْمُسْتَوْرِدُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمُ اخْرُجُوا مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ، وَاتَّعِدُوا سُورَاءَ. |
| فَخَرَجُوا إِلَيْهَا مُتَقَطِّعِينِ ، فَاجْتَمَعُوا بِهَا ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ وَسَارُوا إِلَى الصَّرَاةِ ، فَسَمِعَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ خَبَرَهُمْ فَدَعَا رُؤَسَاءَ النَّاسِ فَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَنْ يُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ كُلُّنَا لَهُمْ عَدُوٌّ وَلِرَأْيِهِمْ مُبْغِضٌ وَبِطَاعَتِكَ مُسْتَمْسِكٌ ، فَأَيَّنَا شِئْتَ سَارَ إِلَيْهِمْ. |
| وَقَالَ لَهُ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ إِنَّكَ لَا تَبْعَثُ إِلَيْهِمْ أَحَدًا مِمَّنْ تَرَى حَوْلَكَ إِلَّا رَأَيْتَهُ سَامِعًا مُطِيعًا وَلَهُمْ مُفَارِقًا وَلِهَلَاكِهِمْ مُحِبًّا ، وَلَا أَرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَعْدَى لَهُمْ مِنِّي ، فَابْعَثْنِي إِلَيْهِمْ ، فَأَنَا أَكْفِيكَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. |
| فَقَالَ اخْرُجْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ! |
| فَجَهَّزَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ. |
| وَقَالَ الْمُغِيرَةُ لِصَاحِبِ شُرْطَتِهِ الْصِقْ بِمَعْقِلٍ شِيعَةَ عَلِيٍّ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِ فَإِذَا اجْتَمَعُوا اسْتَأْنَسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضِ وَهُمْ أَشَدُّ اسْتِحْلَالًا لِدِمَاءِ هَذِهِ الْمَارِقَةِ وَأَجْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَقَدْ قَاتَلُوهُمْ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ. |
| وَقَالَ لَهُ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِ مَعْقِلٍ. |
| فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ خَطِيبٌ. |
| فَأَحْفَظَهُ ذَلِكَ. |
| وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ يَعِيبُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَيُكْثِرُ ذِكْرَ عَلِيٍّ وَيُفَضِّلُهُ ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ دَعَاهُ وَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ أَنْ يَبْلُغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَعِيبُ عُثْمَانَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَبْلُغَنِي أَنَّكَ تُظْهِرُ شَيْئًا مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ ، فَأَنَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ ، وَلَكِنَّ هَذَا السُّلْطَانَ قَدْ ظَهَرَ وَقَدْ أَخَذْنَا بِإِظْهَارِ عَيْبِهِ لِلنَّاسِ فَنَحْنُ نَدَعُ شَيْئًا كَثِيرًا مِمَّا أُمِرْنَا بِهِ ، وَنَذْكُرُ الشَّيْءَ الَّذِي لَا نَجِدُ مِنْهُ بُدًّا نَدْفَعُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ أَنْفُسِنَا ، فَإِنْ كُنْتَ ذَاكِرًا فَضْلَهُ فَاذْكُرْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَصْحَابِكَ فِي مَنَازِلِكُمْ سِرًّا ، وَأَمَّا عَلَانِيَةً فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّ هَذَا لَا يَحْتَمِلُهُ الْخَلِيفَةُ لَنَا. |
| فَكَانَ يَقُولُ لَهُ نَعَمْ ، ثُمَّ يَبْلُغُهُ عَنْهُ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَحَقَدَ عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ فَأَجَابَهُ بِهَذَا الْجَوَابِ ، فَقَالَ لَهُ صَعْصَعَةُ وَمَا أَنَا إِلَّا خَطِيبٌ فَقَطْ! |
| قَالَ أَجَلْ. |
| فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَلْخَطِيبُ الصَّلِيبُ الرَّئِيسُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ الْجَمَلِ حَيْثُ اخْتَلَفَتِ الْقَنَا فَشُئُونٌ تُفْرَى وَهَامَةٌ تُخْتَلَى لَعَلِمْتَ أَنِّي اللَّيْثُ النَّهِدُ. |
| فَقَالَ حَسْبُكَ ، لَعَمْرِي لَقَدْ أُوتِيَتْ لِسَانًا فَصِيحًا. |
| وَخَرَجَ مَعْقِلٌ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ فَارِسٍ نَقَاوَةُ الشِّيعَةِ وَسَارَ إِلَى سُورَاءَ وَلَحِقَهُ أَصْحَابُهُ. |
| وَأَمَّا الْخَوَارِجُ فَإِنَّهُمْ سَارُوا إِلَى بَهُرَسِيرَ وَأَرَادُوا الْعُبُورَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْعَتِيقَةِ الَّتِي فِيهَا مَنَازِلُ كِسْرَى ، فَمَنَعَهُمْ سِمَاكُ بْنُ عُبَيْدٍ الْأَزْدِيُّ الْعَبْسِيُّ ، وَكَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُسْتَوْرِدُ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَرَاءَةِ مِنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَأَنْ يَتَوَلَّاهُ وَأَصْحَابَهُ. |
| فَقَالَ سِمَاكٌ بِئْسَ الشَّيْخُ أَنَا إِذًا! |
| وَأَعَادَ الْجَوَابَ عَلَى الْمُسْتَوْرِدِ يَدْعُوهُ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَأَنْ يَأَخُذَ لَهُ الْأَمَانَ ، فَلَمْ يُجِبْ وَأَقَامَ بِالْمَدَائِنِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ بَلَغَهُ مَسِيرُ مَعْقِلٍ إِلَيْهِمْ فَجَمَعَهُمُ الْمُسْتَوْرِدُ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ الْمُغِيرَةَ قَدْ بَعَثَ إِلَيْكُمْ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ وَهُوَ مِنَ السَّبَئِيَّةِ الْمُفْتَرِينَ الْكَاذِبِينَ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ بِرَأْيِكُمْ. |
| فَقَالَ بَعْضُهُمْ خَرَجْنَا نُرِيدُ اللَّهَ وَالْجِهَادَ وَقَدْ جَاءُونَا فَأَيْنَ نَذْهَبُ بَلْ نُقِيمُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا. |
| وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نَتَنَحَّى نَدْعُو النَّاسَ ، وَنَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ. |
| فَقَالَ لَهُمْ لَا أَرَى أَنْ نُقِيمَ حَتَّى يَأْتُونَا وَهُمْ مُسْتَرِيحُونَ ، بَلْ أَرَى أَنْ نَسِيرَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَخْرُجُوا فِي طَلَبِنَا فَيَنْقَطِعُوا وَيَتَبَدَّدُوا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. |
| فَسَارُوا فَعَبَرُوا بِجَرْجَرَايَا ، وَمَضَوْا إِلَى أَرْضِ جُوخَى ثُمَّ بَلَغُوا الْمَذَارَ فَأَقَامُوا بِهَا. |
| وَبَلَغَ ابْنَ عَامِرٍ بِالْبَصْرَةِ خَبَرُهُمْ ، فَسَأَلَ كَيْفَ صَنَعَ الْمُغِيرَةُ فَأُخْبِرَ بِفِعْلِهِ ، فَاسْتَدْعَى شَرِيكَ بْنَ الْأَعْوَرِ الْحَارِثِيَّ ، وَكَانَ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ اخْرُجْ إِلَى هَذِهِ الْمَارِقَةِ. |
| فَفَعَلَ. |
| وَانْتَخَبَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ فَارِسٍ مِنَ الشِّيعَةِ ، وَكَانَ أَكْثُرُهُمْ مِنْ رَبِيعَةَ ، وَسَارَ بِهِمْ إِلَى الْمَذَارِ. |
| وَأَمَّا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ فَسَارَ إِلَى الْمَدَائِنِ حَتَّى بَلَغَهَا ، فَبَلَغَهُ رَحِيلُهُمْ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُمْ مَعْقِلٌ إِنَّهُمْ سَارُوا لِتَتَّبِعُوهُمْ وَتَتَبَدَّدُوا وَتَنْقَطِعُوا فَتَلْحَقُوهُمْ وَقَدْ تَعِبْتُمْ ، وَإِنَّهُ لَا يُصِيبُكُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ أَصَابَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ. |
| وَسَارَ فِي أَثَارِهِمْ وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَبَا الرَّوَاغِ الشَّاكِرِيَّ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَتَبِعَهُمْ أَبُو الرَّوَاغِ حَتَّى لَحِقَهُمْ بِالْمَذَارِ ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي قِتَالِهِمْ قَبْلَ قُدُومِ مَعْقِلٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَفْعَلْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُقَاتِلُهُمْ. |
| فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مَعْقِلًا أَمَرَنِي أَنْ لَا أُقَاتِلَهُمْ. |
| فَقَالُوا لَهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ قَرِيبًا مِنْهُ حَتَّى يَأْتِيَ مَعْقِلٌ ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. |
| فَبَاتُوا يَتَحَارَسُونَ حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ إِلَيْهِمْ ، وَكَانُوا أَيْضًا ثَلَاثَمِائَةٍ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ أَبِي الرَّوَاغِ سَاعَةً ثُمَّ صَاحَ بِهِمْ أَبُو الرَّوَاغِ الْكَرَّةَ الْكَرَّةَ! |
| وَحَمَلَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْخَوَارِجِ عَادُوا مُنْهَزِمِينَ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَصَاحَ بِهِمْ أَبُو الرَّوَاغِ أَيْضًا ثَكِلَتْكُمْ أُمَّهَاتُكُمُ! |
| ارْجِعُوا بِنَا نَكُنْ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَا نُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْنَا أَمِيرُنَا ، وَمَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْجَيْشِ مُنْهَزِمِينَ مِنْ عَدُوِّنَا! |
| فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ ، قَدْ وَاللَّهِ هَزَمُونَا. |
| فَقَالَ لَهُ لَا أَكْثَرَ اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ ، إِنَّا مَا لَمْ نُفَارِقِ الْمَعْرَكَةَ فَلَمْ نُهْزَمْ ، وَمَتَى عَطَفْنَا عَلَيْهِمْ وَكُنَّا قَرِيبًا مِنْهُمْ فَنَحْنُ عَلَى حَالٍ حَسَنَةٍ ، فَقِفُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ فَإِنْ أَتَوْكُمْ وَعَجَزْتُمْ عَنْهُمْ فَتَأَخَّرُوا قَلِيلًا ، فَإِذَا حَمَلُوا عَلَيْكُمْ وَعَجَزْتُمْ عَنْ قِتَالِهِمْ فَانْحَازُوا عَلَى حَامِيَةٍ ، فَإِذَا رَجَعُوا عَنْكُمْ فَاعْطِفُوا عَلَيْهِمْ وَكُونُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ ، فَإِنَّ الْجَيْشَ يَأْتِيكُمْ عَنْ سَاعَةٍ. |
| فَجَعَلَتِ الْخَوَارِجُ كُلَّمَا حَمَلَتْ عَلَيْهِمُ انْحَازُوا عَنْهُمْ ، فَإِذَا عَادَ الْخَوَارِجُ رَجَعَ أَبُو الرَّوَاغِ فِي آثَارِهِمْ ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ ، فَنَزَلَ الطَّائِفَتَانِ يُصَلُّونَ ثُمَّ أَقَامُوا إِلَى الْعَصْرِ ، وَكَانَ أَهْلُ الْقُرَى وَالسَّيَّارَةُ قَدْ أَخْبَرُوا مَعْقِلًا بِالْتِقَاءِ الْخَوَارِجِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَنَّ الْخَوَارِجَ تَطْرُدُ أَصْحَابَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَإِذَا رَجَعُوا عَادَ أَصْحَابُهُ خَلْفَهُمْ. |
| فَقَالَ مَعْقِلٌ إِنْ كَانَ ظَنِّي فِي أَبِي الرَّوَاغِ صَادِقًا لَا يَأْتِيكُمْ مُنْهَزِمًا أَبَدًا. |
| ثُمَّ أَسْرَعَ السَّيْرَ فِي سَبْعِمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ وَاسْتَخْلَفَ مُحْرِزَ بْنَ شِهَابٍ التَّمِيمِيَّ عَلَى ضَعَفَةِ النَّاسِ ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى أَبِي الرَّوَاغِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ هَذِهِ غَبَرَةٌ فَتَقَدَّمُوا بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا حَتَّى لَا يَرَانَا أَصْحَابُنَا ، أَنَّا تَنَحَّيْنَا عَنْهُمْ وَهِبْنَاهُمْ. |
| فَتَقَدَّمَ حَتَّى وَقَفَ مُقَابِلَ الْخَوَارِجِ وَلَحِقَهُمْ مَعْقِلٌ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ وَصَلَّى أَبُو الرَّوَاغِ بِأَصْحَابِهِ وَصَلَّى الْخَوَارِجُ أَيْضًا ، وَقَالَ أَبُو الرَّوَاغِ لِمَعْقِلٍ إِنَّ لَهُمْ شَدَّاتٍ مُنْكَرَاتٍ فَلَا تَلِهَا بِنَفْسِكَ وَلَكِنْ قِفْ وَرَاءَ النَّاسِ تَكُونُ رِدْءًا لَهُمْ. |
| فَقَالَ نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. |
| فَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطِبُهُ حَمَلَتِ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمَ عَامَّةُ أَصْحَابِ مَعْقِلٍ وَثَبَتَ هُوَ ، فَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ وَمَعَهُ أَبُو الرَّوَاغِ فِي نَحْوِ مِائَتَيْ رَجُلٍ ، فَلَمَّا غَشِيَهُمُ الْمُسْتَوْرِدُ اسْتَقْبَلُوهُ بِالرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ ، فَانْهَزَمَتْ خَيْلُ مَعْقِلٍ سَاعَةً ، ثُمَّ نَادَاهُمْ مِسْكِينُ بْنُ عَامِرٍ ، وَكَانَ شُجَاعًا أَيْنَ الْفِرَارُ وَقَدْ نَزَلَ أَمِيرُكُمْ ، أَلَا تَسْتَحْيُونَ ؟ |
| ثُمَّ رَجَعَ وَرَجَعَتْ مَعَهُ خَيْلٌ عَظِيمَةٌ وَمَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ يُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ بِمَنْ مَعَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُهُمْ حَتَّى رَدَّهُمْ إِلَى الْبُيُوتِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَهُمْ مُحْرِزُ بْنُ شِهَابٍ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَجَعَلَهُمْ مَعْقِلٌ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَقَالَ لَهُمْ لَا تَبْرَحُوا حَتَّى تُصْبِحُوا وَنَثُورَ إِلَيْهِمْ. |
| وَوَقَفَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ مُقَابِلَ بَعْضٍ فَبَيْنَمَا هُمْ مُتَوَافِقُونَ أَتَى الْخَوَارِجَ عَيْنٌ لَهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ شَرِيكَ بْنَ الْأَعْوَرِ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ. |
| فَقَالَ الْمُسْتَوْرِدُ لِأَصْحَابِهِ لَا أَرَى أَنْ نُقِيمَ لِهَؤُلَاءِ جَمِيعًا ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي جِئْنَا مِنْهُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ لَا يَتْبَعُونَنَا إِلَى أَرْضِ الْكُوفَةِ فَيَهُونُ عَلَيْنَا قِتَالُ أَهْلِ الْكُوفَةِ. |
| ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالنُّزُولِ لِيُرِيحُوا دَوَابَّهُمْ سَاعَةً ، فَفَعَلُوا ، ثُمَّ دَخَلُوا الْقَرْيَةَ وَأَخَذُوا مِنْهَا مَنْ دَلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي أَقْبَلُوا مِنْهُ وَعَادُوا رَاجِعِينَ. |
| وَأَمَّا مَعْقِلٌ فَإِنَّهُ بَعَثَ مَنْ يَأْتِيهِ بِخَبَرِهِمْ حِينَ لَمْ يَرَ سَوَادَهُمْ ، فَعَادَ إِلَيْهِ الْخَبَرُ أَنَّهُمْ قَدْ سَارُوا ، فَخَافَ أَنْ تَكُونَ مَكِيدَةً وَخَافَ الْبَيَاتَ فَاحْتَاطَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَتَحَارَسُوا إِلَى الصَّبَاحِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ مَنْ أَخْبَرَهُمْ بِمَسِيرِهِمْ ، وَجَاءَ شَرِيكُ بْنُ الْأَعْوَرِ فِيمَنْ مَعَهُ فَلَقِيَ مَعْقِلًا فَتَسَاءَلَا سَاعَةً وَأَخْبَرَهُ مَعْقِلٌ بِخَبَرِهِمْ ، فَدَعَا شَرِيكٌ أَصْحَابَهُ إِلَى الْمَسِيرِ مَعَ مَعْقِلٍ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، فَاعْتَذَرَ إِلَى مَعْقِلٍ بِخِلَافِ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ يَجْمَعُهُمَا رَأْيُ الشِّيعَةِ ، وَدَعَا مَعْقِلٌ أَبَا الرَّوَاغِ وَأَمَرَهُ بِاتِّبَاعِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ زِدْنِي مِثْلَ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي لِيَكُونَ أَقْوَى لِي إِنْ أَرَادُوا مُنَاجِزَتِي. |
| فَبَعَثَ مَعَهُ سِتَّمِائَةِ فَارِسٍ ، فَسَارُوا سِرَاعًا حَتَّى أَدْرَكُوا الْخَوَارِجَ بِجَرْجَرَايَا وَقَدْ نَزَلُوا فَنَزَلَ بِهِمْ أَبُو الرَّوَاغِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ قِتَالَ هَؤُلَاءِ أَيْسَرُ مِنْ قِتَالِ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ ، فَحَمَلُوا عَلَى أَبِي الرَّوَاغِ وَأَصْحَابِهِ حَمْلَةً صَادِقَةً ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَثَبَتَ فِي مِائَةِ فَارِسٍ ، فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا وَهُوَ يَقُولُ إِنَّ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مَنْ لَمْ يُهَلْ... |
| إِذَا الْجَبَانُ حَادَ عَنْ وَقْعِ الْأَسَلْ قَدْ عَلِمَتْ أَنِّي إِذَا الْبَأْسُ نَزَلْ... |
| أَرْوَعُ يَوْمَ الْهَيْجِ مِقْدَامٌ بَطَلْ ثُمَّ عَطَفَ أَصْحَابُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَصَدَقُوهُمُ الْقِتَالَ حَتَّى أَعَادُوهُمْ إِلَى مَكَانِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْتَوْرِدُ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُمْ إِنْ أَتَاهُمْ مَعْقِلٌ وَمِنْ مَعَهُ هَلَكُوا ، فَمَضَى هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَعَبَرُوا دِجْلَةَ وَوَقَفُوا فِي أَرْضِ بَهُرَسِيرَ وَتَبِعَهُمْ أَبُو الرَّوَاغِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ بِسَابَاطَ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمْ قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ حُمَاةُ أَصْحَابِ مَعْقِلٍ وَفُرْسَانُهُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أَسْبِقُهُمْ إِلَيْهِ بِسَاعَةٍ لَسِرْتُ إِلَيْهِ فَوَاقَعْتُهُ. |
| ثُمَّ أَمَرَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ مَعْقِلٍ ، فَسَأَلُوا بَعْضَ مَنْ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُ نَزَلَ دَيْلَمَايَا وَبَيْنَهُمْ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ ، فَلَمَّا أُخْبِرَ الْمُسْتَوْرِدُ ذَلِكَ رَكِبَ وَرَكِبَ أَصْحَابُهُ وَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جِسْرِ سَابَاطَ ، وَهُوَ جِسْرُ نَهْرِ مَلِكٍ ، وَهُوَ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي يَلِي الْكُوفَةَ ، وَأَبُو الرَّوَاغِ مِنْ جَانِبِ الْمَدَائِنِ ، فَقَطَعَ الْمُسْتَوْرِدُ الْجِسْرَ ، وَلَمَّا رَآهُمْ أَبُو الرَّوَاغِ قَدْ رَكِبُوا عَبَّى أَصْحَابَهُ وَاعْتَزَلَ إِلَى صَحْرَاءَ بَيْنَ الْمَدَائِنِ وَسَابَاطَ لِيُكُونَ الْقِتَالُ بِهَا وَوَقَفَ يَنْتَظِرُهُمْ ، فَلَمَّا قَطَعَ الْمُسْتَوْرِدُ الْجِسْرَ سَارَ إِلَى دَيْلَمَايَا نَحْوَ مَعْقِلٍ لِيُوقِعَ بِهِ ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ مُتَفَرِّقُونَ عَنْهُ وَهُوَ يُرِيدُ الرَّحِيلَ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ مَعْقِلٌ نَصَبَ رَايَتَهُ وَنَادَى يَا عِبَادَ اللَّهِ الْأَرْضَ الْأَرْضَ! |
| فَنَزَلَ مَعَهُ نَحْوُ مِائَتَيْ رَجُلٍ ، فَحَمَلَتِ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِمْ فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالرِّمَاحِ جُثَاةً عَلَى الرُّكَبِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَتَرَكُوهُمْ وَعَدَلُوا إِلَى خُيُولِهِمْ فَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا وَقَطَعُوا أَعِنَّتَهَا ، فَذَهَبَتْ فِي كُلِّ جَانِبٍ ، ثُمَّ مَالَ عَلَى الْمُتَفَرِّقِينَ مِنْ أَصْحَابِ مَعْقِلٍ فَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَعْقِلٍ وَأَصْحَابِهِ وَهُمْ عَلَى الرُّكَبِ فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّ يَتَجَلْجَلُوا ، فَحَمَلُوا أُخْرَى فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ الْمُسْتَوْرِدُ لِأَصْحَابِهِ لِيَنْزِلْ نِصْفُكُمْ وَيَبْقَى نِصْفُكُمْ عَلَى الْخَيْلِ. |
| فَفَعَلُوا وَاشْتَدَّ الْحَالُ عَلَى أَصْحَابِ مَعْقِلٍ وَأَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ. |
| فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلُ أَبُو الرَّوَاغِ عَلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ عَوْدِهِ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ أَقَامَ بِمَكَانِهِ يَنْتَظِرُهُمْ ، فَلَمَّا أَبْطَأُوا عَلَيْهِ أَرْسَلَ مِنْ يَأْتِيهِ بِخَبَرِهِمْ ، فَرَأَوُا الْجِسْرَ مَقْطُوعًا فَفَرِحُوا ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الْخَوَارِجَ فَعَلُوا ذَلِكَ لَهُمْ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي الرَّوَاغِ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهُمْ وَأَنَّ الْجِسْرَ قَدْ قَطَعُوهُ هَيْبَةً لَهُمْ. |
| فَقَالَ لَهُمْ أَبُو الرَّوَاغِ لَعَمْرِي مَا فَعَلُوا هَذَا إِلَّا مَكِيدَةً ، وَمَا أُرَاهُمْ إِلَّا وَقَدْ سَبَقُوكُمْ إِلَى مَعْقِلٍ حَيْثُ رَأَوْا فُرْسَانَ أَصْحَابِهِ مَعِي ، وَقَدْ قَطَعُوا الْجِسْرَ لِيَشْغَلُوكُمْ بِهِ عَنْ لَحَاقِهِمْ ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ فِي الطَّلَبِ. |
| ثُمَّ أَمَرَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ فَعَقَدُوا الْجِسْرَ وَعَبَرَ عَلَيْهِ وَاتَّبَعَ الْخَوَارِجَ ، فَلَقِيَهُ أَوَائِلُ النَّاسِ مُنْهَزِمِينَ ، فَصَاحَ بِهِمْ إِلَيَّ إِلَيَّ! |
| فَرَجَعُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ وَأَنَّهُمْ تَرَكُوا مَعْقِلًا يُقَاتِلُهُمْ وَمَا يَظُنُّونَهُ إِلَّا قَتِيلًا. |
| فَجَدَّ فِي السَّيْرِ وَرَدَّ مَعَهُ كُلَّ مَنْ لَقِيَهُ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ ، فَانْتَهَى إِلَى الْعَسْكَرِ فَرَأَى رَايَةَ مَعْقِلٍ مَنْصُوبَةً وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ ، فَحَمَلَ أَبُو الرَّوَاغِ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْخَوَارِجِ فَأَزَالُوهُمْ غَيْرَ بَعِيدٍ ، وَوَصَلَ أَبُو الرَّوَاغِ إِلَى مَعْقِلٍ فَإِذَا هُوَ مُتَقَدِّمٌ يُحَرِّضُ أَصْحَابَهُ ، فَشَدُّوا عَلَى الْخَوَارِجِ شَدَّةً مُنْكَرَةً ، وَنَزَلَ الْمُسْتَوْرِدُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِجِ وَنَزَلَ أَصْحَابُ مَعْقِلٍ أَيْضًا ثُمَّ اقْتَتَلُوا طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ بِالسُّيُوفِ أَشَدَّ قِتَالٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُسْتَوْرِدَ نَادَى مَعْقِلًا لِيَبْرُزَ إِلَيْهِ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ ، فَمَنَعَهُ أَصْحَابُهُ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكَانَ مَعَهُ سَيْفُهُ وَمَعَ الْمُسْتَوْرِدِ رُمْحُهُ ، فَقَالَ أَصْحَابُ مَعْقِلٍ خُذْ رُمْحَكَ فَأَبَى وَأَقْبَلَ عَلَى الْمُسْتَوْرِدِ ، فَطَعَنَهُ الْمُسْتَوْرِدُ بِرُمْحِهِ فَخَرَجَ السِّنَّانِ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَتَقَدَّمَ مَعْقِلٌ وَالرُّمْحُ فِيهِ إِلَى الْمُسْتَوْرِدِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَخَالَطَ دِمَاغَهُ فَوَقَعَ الْمُسْتَوْرِدُ مَيِّتًا وَمَاتَ مَعْقِلٌ أَيْضًا. |
| وَكَانَ مَعْقِلٌ قَدْ قَالَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَمِيرُكُمْ عَمْرُو بْنُ شِهَابٍ التَّمِيمِيُّ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَ الرَّايَةَ عَمْرٌو ثُمَّ حَمَلَ فِي النَّاسِ عَلَى الْخَوَارِجِ فَقَتَلُوهُمْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ غَيْرُ خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةٍ. |
| وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ كَانَ الْمُسْتَوْرِدُ مِنْ تَمِيمٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي رِيَاحٍ ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ جَرِيرٍ وَمِنَّا فَتَى الْفِتْيَانِ وَالْجُودِ مَعْقِلُ... |
| وَمِنَّا الَّذِي لَاقَى بِدِجْلَةَ مَعْقِلَا يَعْنِي هَذِهِ الْوَقْعَةَ. |
| ذِكْرُ عَوْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى وِلَايَةِ سِجِسْتَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ عَلَى سِجِسْتَانَ ، فَأَتَاهَا وَعَلَى شُرْطَتِهِ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبَطِيُّ وَمَعَهُ مِنَ الْأَشْرَافِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَغَيْرُهُ ، فَكَانَ يَغْزُو الْبَلَدَ قَدْ كَفَرَ أَهْلُهُ فَيَفْتَحُهُ ، حَتَّى بَلَغَ كَابُلَ فَحَصَرَهَا أَشْهُرًا وَنَصَبَ عَلَيْهَا مَجَانِيقَ فَثَلَمَتْ سُورَهَا ثُلْمَةً عَظِيمَةً ، فَبَاتَ عَلَيْهَا عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ لَيْلَةً يُطَاعِنُ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى أَصْبَحَ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى سَدِّهَا وَخَرَجُوا مِنَ الْغَدِ يُقَاتِلُونَ فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَدَخَلُوا الْبَلَدَ عَنْوَةً ، ثُمَّ سَارَ إِلَى بُسْتَ فَفَتَحَهَا عَنْوَةً ، وَسَارَ إِلَى زَرَانَ فَهَرَبَ أَهْلُهَا وَغَلَبَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى خُشَّكَ فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا ، ثُمَّ أَتَى الرُّخَّجَ فَقَاتَلُوهُ ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَفَتَحَهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى زَابُلُسْتَانَ ، وَهِيَ غَزْنَةُ وَأَعْمَالُهَا ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا ، وَقَدْ كَانُوا نَكَثُوا ، فَفَتَحَهَا ، وَعَادَ إِلَى كَابُلَ وَقَدْ نَكَثَ أَهْلُهَا فَفَتَحَهَا. |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ السِّنْدِ اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَلَى ثَغْرِ الْهِنْدِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَوَّارٍ الْعَبْدِيَّ ، وَيُقَالُ وَلَّاهُ مُعَاوِيَةُ مِنْ قِبَلِهِ ، فَغَزَا الْقِيقَانَ فَأَصَابَ مَغْنَمًا ، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْدَى لَهُ خَيْلًا قِيقَانِيَّةً ، وَرَجَعَ فَغَزَا الْقِيقَانَ فَاسْتَنْجَدُوا بِالتُّرْكِ فَقَتَلُوهُ ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ وَابْنُ سَوَّارٍ عَلَى عِدَّانِهِ... |
| مُوقِدُ النَّارِ وَقَتَّالُ الشَّغَبْ وَكَانَ كَرِيمًا لَمْ يُوقِدْ أَحَدٌ فِي عَسْكَرِهِ نَارًا ، فَرَأَى ذَاتَ لَيْلَةٍ نَارًا فَقَالَ مَا هَذِهِ ؟ |
| قَالُوا امْرَأَةُ نُفَسَاءُ يُعْمَلُ لَهَا الْخَبِيصُ ، فَأَمَرَ أَنْ يُطْعَمَ النَّاسُ الْخَبِيصَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ خُرَاسَانَ قِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ قَيْسَ بْنَ الْهَيْثَمِ الْقَيْسِيَّ ثُمَّ السُّلَمِيَّ عَنْ خُرَاسَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمٍ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ قَيْسًا أَبْطَأَ بِالْخَرَاجِ وَالْهَدِيَّةِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ وَلِّنِي خُرَاسَانَ أَكْفِكَهَا. |
| فَكَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قَيْسًا فَخَافَ ابْنَ خَازِمٍ وَشَغَبَهُ فَتَرَكَ خُرَاسَانَ وَأَقْبَلَ ، فَازْدَادَ ابْنُ عَامِرٍ غَضَبًا لِتَضْيِيعِهِ الثَّغْرَ ، فَضَرْبَهُ وَحَبَسَهُ وَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ يَشْكُرَ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَقِيلَ بَعَثَ أَسْلَمَ بْنَ زُرْعَةَ الْكِلَابِيَّ ثُمَّ ابْنَ خَازِمٍ. |
| وَقِيلَ فِي عَزْلِهِ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنَّ ابْنَ خَازِمٍ قَالَ لِابْنِ عَامِرٍ إِنَّكَ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى خُرَاسَانَ قَيْسًا وَهُوَ ضَعِيفٌ ، وَإِنِّي أَخَافُ إِنْ لَقِيَ حَرْبًا أَنْ يَنْهَزِمَ بِالنَّاسِ فَتَهْلِكَ خُرَاسَانُ وَتَفْضَحُ أَخْوَالَكَ ، يَعْنِي قَيْسَ عَيْلَانَ. |
| قَالَ ابْنُ عَامِرٍ فَمَا الرَّأْيُ ؟ |
| قَالَ تَكْتُبُ لِي عَهْدًا إِنْ هُوَ انْصَرَفَ عَنْ عَدُوٍّ قُمْتُ مَقَامَهُ. |
| فَكَتَبَ لَهُ. |
| وَجَاشَ جَمَاعَةٌ مِنْ طَخَارُسْتَانَ فَشَاوَرَهُ قَيْسٌ فَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ خَازِمٍ أَنْ يَنْصَرِفَ حَتَّى يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ أَطْرَافُهُ ، فَلَمَّا سَارَ مَرْحَلَةً أَوِ اثْنَيْنِ أَخْرَجَ ابْنُ خَازِمٍ عَهْدَهُ وَقَامَ بِأَمْرِ النَّاسِ وَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهَزَمَهُمْ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَالشَّامَ فَغَضِبَ الْقَيْسِيَّةَ وَقَالُوا خَدَعَ قَيْسًا وَابْنَ عَامِرٍ! |
| وَشَكَوْا إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَاسْتَقْدَمَهُ ، فَاعْتَذَرَ مِمَّا قِيلَ فِيهِ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ قُمْ غَدًا فَاعْتَذِرْ فِي النَّاسِ. |
| فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ إِنِّي أُمِرْتُ بِالْخُطْبَةِ وَلَسْتُ بِصَاحِبِ كَلَامٍ فَاجْلِسُوا حَوْلَ الْمِنْبَرِ فَإِذَا قُلْتُ فَصَدِّقُونِي. |
| فَقَامَ مِنَ الْغَدِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا يَتَكَلَّفُ الْخُطْبَةَ إِمَامٌ لَا يَجِدُ مِنْهَا بُدًّا أَوْ أَحْمَقٌ يَهْمُرُ مِنْ رَأْسِهِ ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ عَلِمَ مَنْ عَرَفَنِي أَنِّي بَصِيرٌ بِالْفُرَصِ ، وَثَّابٌ إِلَيْهَا وَقَّافٌ عِنْدَ الْمَهَالِكِ ، أَنْفُذُ بِالسَّرِيَّةِ وَأَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ ، أَنْشُدُ اللَّهَ مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنِّي فَلْيُصَدِّقْنِي. |
| فَقَالَ أَصْحَابُهُ صَدَقْتَ. |
| فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ فِيمَنْ نَشَدْتُ فَقُلْ بِمَا تَعْلَمُ. |
| فَقَالَ صَدَقْتَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ هَذِهِ السَّنَةَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ الْمُغِيرَةُ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ. |
| الْوَفَيَاتُ فِيهَا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَشَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ وَشَتَوْا بِهَا ، وَغَزَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَأَةَ فِي الْبَحْرِ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ عَنِ الْبَصْرَةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَنِ الْبَصْرَةِ. |
| وَسَبَبُهُ أَنَّ ابْنَ عَامِرٍ كَانَ حَلِيمًا كَرِيمًا لَيِّنًا ، لَا يَأْخُذُ عَلَى أَيْدِي السُّفَهَاءِ ، وَفَسَدَتِ الْبَصْرَةُ فِي أَيَّامِهِ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ جَرَّدِ السَّيْفَ. |
| فَقَالَ لَهُ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُصْلِحَهُمْ بِفَسَادِ نَفْسِي. |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ عَامِرٍ وَفَّدَ وَفْدًا مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَوَافَقُوا عِنْدَهُ وَفْدَ الْكُوفَةِ ، وَفِيهِمُ ابْنُ الْكَوَّا وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى الْيَشْكُرِيُّ ، فَسَأَلَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَعَنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ خَاصَّةً ، فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ قَدْ أَكَلَهُمْ سُفَهَاؤُهُمْ ، وَضَعُفَ عَنْهُمْ سُلْطَانُهُمْ ، وَعَجَّزَ ابْنَ عَامِرٍ وَضَعَّفَهُ. |
| فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ نَتَكَلَّمُ عَنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَهُمْ حُضُورٌ ؟ |
| فَلَمَّا عَادَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَبْلَغُوا ابْنَ عَامِرٍ ، فَغَضِبَ وَقَالَ أَيُّ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَشَدُّ عَدَاوَةً لِابْنِ الْكَوَّا ؟ |
| فَقِيلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْخٍ الْيَشْكُرِيُّ ، فَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الْكَوَّا ، فَقَالَ إِنَّ ابْنَ دَجَاجَةَ ، يَعْنِي ابْنَ عَامِرٍ ، قَلِيلُ الْعِلْمِ فِيَّ ، ظَنَّ أَنَّ وِلَايَةَ عَبْدِ اللَّهِ خُرَاسَانَ تَسُوءُنِي! |
| لَوَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ يَشْكُرِيٌّ إِلَّا عَادَانِي وَأَنَّهُ وَلَّاهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي وَلَّاهُ ابْنُ عَامِرِ خُرَاسَانَ طُفَيْلُ بْنُ عَوْفٍ الْيَشْكُرِيُّ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ مُعَاوِيَةُ حَالَ الْبَصْرَةِ أَرَادَ عَزْلَ ابْنِ عَامِرٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَزِيرُهُ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ فَرَدَّهُ عَلَى عَمِّهِ ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ إِنِّي سَائِلُكَ ثَلَاثًا فَقُلْ هُنَّ لَكَ. |
| فَقَالَ هُنَّ لَكَ ، وَأَنَا ابْنُ أُمِّ حَكِيمٍ قَالَ تَرُدُّ عَلِيَّ عَمَلِي وَلَا تَغْضَبْ. |
| قَالَ قَدْ فَعَلْتُ. |
| قَالَ وَتَهَبُ لِي مَالَكَ بِعَرَفَةَ. |
| قَالَ قَدْ فَعَلْتُ. |
| قَالَ وَتَهَبُ لِي دُورَكَ بِمَكَّةَ. |
| قَالَ قَدْ فَعَلْتُ. |
| قَالَ وَصَلَتْكَ رَحِمٌ فَقَالَ ابْنُ عَامِرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي سَائِلُكَ ثَلَاثًا فَقُلْ هُنَّ لَكَ. |
| فَقَالَ هُنَّ لَكَ ، وَأَنَا ابْنُ هِنْدٍ. |
| قَالَ تَرُدُّ عَلِيَّ مَالِي بِعَرَفَةَ. |
| قَالَ قَدْ فَعَلْتُ. |
| قَالَ وَلَا تُحَاسِبْ لِي عَامِلًا وَلَا تَتَّبِعْ لِي أَثَرًا. |
| قَالَ قَدْ فَعَلْتُ قَالَ وَتُنْكِحُنِي ابْنَتَكَ هِنْدًا. |
| قَالَ قَدْ فَعَلْتُ. |
| وَيُقَالُ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ اخْتَرْ إِمَّا أَنْ أَتَّبِعَ أَثَرَكَ وَأُحَاسِبَكَ بِمَا صَارَ إِلَيْكَ وَأَرُدَّكَ ، وَإِمَّا أَنْ أَعْزِلَكَ وَأُسَوِّغَكَ مَا أَصَبْتَ. |
| فَاخْتَارَ الْعَزْلَ وَأَنْ لَا يُسَوِّغَهُ مَا أَصَابَ ، فَعَزَلَهُ وَوَلَّى الْبَصْرَةَ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيَّ. |
| ذِكْرُ اسْتِلْحَاقِ مُعَاوِيَةَ زِيَادًا وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَلْحَقَ مُعَاوِيَةُ زِيَادَ بْنَ سُمَيَّةَ فَزَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ كَانَ مَعَ زِيَادٍ لَمَّا وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لِزِيَادٍ إِنَّ لِابْنِ عَامِرٍ عِنْدِي يَدًا فَإِذَا أَذِنْتَ لِي أَتَيْتُهُ. |
| قَالَ عَلَى أَنْ تُحَدِّثَنِي بِمَا يَجْرِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. |
| قَالَ نَعَمْ. |
| فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَامِرٍ هِيهْ هِيهْ! |
| وَابْنُ سُمَيَّةَ يُقَبِّحُ آثَارِي وَيُعَرِّضُ بِعُمَّالِي! |
| لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آتِيَ بِقَسَامَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمْ يَرَ سُمَيَّةَ. |
| فَلَمَّا رَجَعَ سَأَلَهُ زِيَادٌ فَلَمْ يُخْبِرْهُ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ ، فَأَخْبَرَ زِيَادٌ بِذَلِكَ مُعَاوِيَةَ. |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِحَاجِبِهِ إِذَا جَاءَ ابْنُ عَامِرٍ فَاضْرِبْ وَجْهَ دَابَّتِهِ عَنْ أَقْصَى الْأَبْوَابِ. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ. |
| فَأَتَى ابْنُ عَامِرٍ يَزِيدَ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَرَكِبَ مَعَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ قَامَ فَدَخَلَ ، فَقَالَ يَزِيدُ لِابْنِ عَامِرٍ اجْلِسْ ، فَكَمْ عَسَى أَنْ تَقْعُدَ فِي الْبَيْتِ عَنْ مَجْلِسِهِ! |
| فَلَمَّا أَطَالَا خَرَجَ مُعَاوِيَةُ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ لَنَا سِبَاقٌ وَلَكُمْ سِبَاقُ... |
| قَدْ عَلِمَتْ ذَلِكُمُ الرِّفَاقُ ثُمَّ قَعَدَ فَقَالَ يَا ابْنَ عَامِرٍ أَنْتَ الْقَائِلُ فِي زِيَادٍ مَا قُلْتَ ؟ |
| أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَتِ الْعَرَبُ أَنِّي كُنْتُ أَعَزَّهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْنِي إِلَّا عِزًّا ، وَأَنِّي لَمْ أَتَكَثَّرْ بِزِيَادٍ مِنْ قِلَّةٍ وَلَمْ أَتَعَزَّزْ بِهِ مِنْ ذِلَّةٍ ، وَلَكِنْ عَرَفْتُ حَقًّا لَهُ فَوَضَعْتُهُ مَوْضِعَهُ. |
| فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَرْجِعُ إِلَى مَا يُحِبُّ زِيَادٌ. |
| قَالَ إِذًا نَرْجِعُ إِلَى مَا تُحِبُّ. |
| فَخَرَجَ ابْنُ عَامِرٍ إِلَى زِيَادٍ فَتَرَضَّاهُ. |
| فَلَمَّا قَدِمَ زِيَادٌ الْكُوفَةَ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ فِي أَمْرٍ مَا طَلَبْتُهُ إِلَّا لَكُمْ. |
| قَالُوا مَا تَشَاءُ ؟ |
| قَالَ تُلْحِقُونَ نَسَبِي بِمُعَاوِيَةَ قَالُوا أَمَّا بِشَهَادَةِ الزُّورِ فَلَا. |
| فَأَتَى الْبَصْرَةَ فَشَهِدَ لَهُ رَجُلٌ. |
| هَذَا جَمِيعُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي اسْتِلْحَاقِ مُعَاوِيَةَ نَسَبَ زِيَادٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ حَقِيقَةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ ، إِنَّمَا ذَكَرَ حِكَايَةً جَرَتْ بَعْدَ اسْتِلْحَاقِهِ ، وَأَنَا أَذْكُرُ سَبَبَ ذَلِكَ وَكَيْفِيَّتَهُ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْإِسْلَامِ لَا يَنْبَغِي إِهْمَالُهَا. |
| وَكَانَ ابْتِدَاءُ حَالِهِ أَنَّ سُمَيَّةَ أُمَّ زِيَادٍ كَانَتْ لِدِهْقَانَ زَنْدَوَرْدَ بِكَسْكَرَ ، فَمَرِضَ الدِّهْقَانُ ، فَدَعَا الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ الطَّبِيبَ الثَّقَفِيَّ ، فَعَالَجَهُ فَبَرَأَ ، فَوَهَبَهُ سُمَيَّةَ ، فَوَلَدَتْ عِنْدَ الْحَارِثِ أَبَا بَكْرَةَ ، وَاسْمُهُ نُفَيْعٌ ، فَلَمْ يُقِرَّ بِهِ ، ثُمَّ وَلَدَتْ نَافِعًا ، فَلَمْ يُقِرَّ بِهِ أَيْضًا ، فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَصَرَ الطَّائِفَ ، قَالَ الْحَارِثُ لِنَافِعٍ أَنْتَ وَلَدِي. |
| وَكَانَ قَدْ زَوَّجَ سُمَيَّةَ مِنْ غُلَامٍ لَهُ اسْمُهُ عُبَيْدٌ ، وَهُوَ رُومِيٌّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ زِيَادًا. |
| وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ سَارَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الطَّائِفِ فَنَزَلَ عَلَى خَمَّارٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو مَرْيَمَ السَّلُولِيُّ ، وَأَسْلَمَ أَبُو مَرْيَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَصَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِأَبِي مَرْيَمَ قَدِ اشْتَهَيْتُ النِّسَاءَ فَالْتَمِسْ لِي بَغِيًّا. |
| فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ فِي سُمَيَّةَ ؟ |
| فَقَالَ هَاتِهَا عَلَى طُولِ ثَدْيَيْهَا وَذَفَرِ بَطْنِهَا ، فَأَتَاهُ بِهَا ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، فَعَلِقَتْ بِزِيَادٍ ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ فَلَمَّا كَبِرَ وَنَشَأَ اسْتَكْتَبَهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ لَمَّا وَلِيَ الْبَصْرَةَ ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اسْتَكْفَى زِيَادًا أَمْرًا فَقَامَ فِيهِ مَقَامًا مَرْضِيًا ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ حَضَرَ ، وَعِنْدَ عُمَرَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَخَطَبَ خُطْبَةً لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا. |
| فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِلَّهِ هَذَا الْغُلَامُ لَوْ كَانَ أَبُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ لَسَاقَ الْعَرَبَ بِعَصَاهُ! |
| فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَهُوَ حَاضِرٌ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَبَاهُ وَمَنْ وَضَعَهُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ. |
| فَقَالَ عَلِيٌّ يَا أَبَا سُفْيَانَ اسْكُتْ فَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ عُمَرَ لَوْ سَمِعَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكَ لَكَانَ إِلَيْكَ سَرِيعًا. |
| فَلَمَّا وَلِيَ عَلِيٌّ الْخِلَافَةَ اسْتَعْمَلَ زِيَادًا عَلَى فَارِسَ ، فَضَبَطَهَا وَحَمَى قِلَاعَهَا ، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِمُعَاوِيَةَ ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ وَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ يَتَهَدَّدُهُ وَيُعَرِّضُ لَهُ بِوِلَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ كِتَابَهُ قَامَ فِي النَّاسِ وَقَالَ الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنِ ابْنِ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ ، وَرَأْسِ النِّفَاقِ! |
| يُخَوِّفُنِي بِقَصْدِهِ إِيَّايَ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ ابْنَا عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؟ |
| أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَذِنَ لِي فِي لِقَائِهِ لَوَجَدَنِي أَحَمْزَ مَخْشِيًّا ضَرَّابًا بِالسَّيْفِ. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنِّي وَلَّيْتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ وَأَنَا أَرَاكَ لَهُ أَهْلًا ، وَقَدْ كَانَتْ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فَلْتَةٌ مِنْ أَمَانِيِّ الْبَاطِلِ وَكَذِبِ النَّفْسِ لَا تُوجِبُ لَهُ مِيرَاثًا وَلَا تُحِلُّ لَهُ نَسَبًا ، وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ يَأْتِي الْإِنْسَانَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، فَاحْذَرْ ثُمَّ احْذَرْ ، وَالسَّلَامُ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ زِيَادٍ وَمُصَالَحَتِهِ مُعَاوِيَةَ مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَاضَعَ زِيَادٌ مَصْقَلَةَ بْنَ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيَّ ، وَضَمِنَ لَهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لِيَقُولَ لِمُعَاوِيَةَ إِنَّ زِيَادًا قَدْ أَكَلَ فَارِسَ بَرًّا وَبَحْرًا وَصَالَحَكَ عَلَى أَلْفَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَاللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي يُقَالُ إِلَّا حَقًّا ، فَإِذَا قَالَ لَكَ وَمَا يُقَالُ ؟ |
| فَقُلْ يُقَالُ إِنَّهُ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ. |
| فَفَعَلَ مَصْقَلَةُ ذَلِكَ ، وَرَأَى مُعَاوِيَةُ أَنْ يَسْتَمِيلَ زِيَادًا ، وَاسْتَصْفَى مَوَدَّتَهُ بِاسْتِلْحَاقِهِ ، فَاتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ ، وَأَحْضَرَ النَّاسُ وَحَضَرَ مَنْ يَشْهَدُ لِزِيَادٍ ، وَكَانَ فِيمَنْ حَضَرَ أَبُو مَرْيَمَ السَّلُولِيُّ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بِمَ تَشْهَدُ يَا أَبَا مَرْيَمَ ؟ |
| فَقَالَ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ حَضَرَ عِنْدِي وَطَلَبَ مِنِّي بَغِيًّا فَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا سُمَيَّةُ ، فَقَالَ ائْتِنِي بِهَا عَلَى قَذَرِهَا وَوَضَرِهَا ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَخَلَا مَعَهَا ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَإِنَّ إِسْكَتَيْهَا لَتَقْطُرَانِ مَنِيًّا. |
| فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ مَهْلَا أَبَا مَرْيَمَ! |
| إِنَّمَا بُعِثْتَ شَاهِدًا وَلَمْ تُبْعَثْ شَاتِمًا. |
| فَاسْتَلْحَقَهُ مُعَاوِيَةُ ، وَكَانَ اسْتِلْحَاقُهُ أَوَّلَ مَا رُدَّتْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ عَلَانِيَةً ، « فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْوَلَدِ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرَ ». |
| وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَائِشَةَ مِنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ تَكْتُبَ لَهُ إِلَى زِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَيَحْتَجُّ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَتْ مِنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ابْنِهَا زِيَادٍ وَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَعَلَى بَنِي أُمَيَّةَ خَاصَّةً ، وَجَرَى أَقَاصِيصُ يَطُولُ بِذِكْرِهَا الْكِتَابُ فَأَضْرَبْنَا عَنْهَا. |
| وَمَنِ اعْتَذَرَ لِمُعَاوِيَةَ قَالَ إِنَّمَا اسْتَلْحَقَ مُعَاوِيَةُ زِيَادًا لِأَنَّ أَنْكِحَةَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ أَنْوَاعًا ، لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِ جَمِيعِهَا ، وَكَانَ مِنْهَا أَنَّ الْجَمَاعَةَ يُجَامِعُونَ الْبَغِيَّ فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَلَدَتْ أَلْحَقَتِ الْوَلَدَ لِمَنْ شَاءَتْ مِنْهُمْ فَيَلْحَقُهُ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ حَرَّمَ هَذَا النِّكَاحَ ، إِلَّا أَنَّهُ أَقَرَّ كُلَّ وَلَدٍ كَانَ يُنْسَبُ إِلَى أَبٍ مِنْ أَيِّ نِكَاحٍ كَانَ مِنْ أَنْكِحَتِهِمْ عَلَى نَسَبِهِ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ شَيْءٍ مِنْهَا ، فَتَوَهَّمَ مُعَاوِيَةُ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ لَهُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اسْتِلْحَاقٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَهَذَا مَرْدُودٌ لِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِنْكَارِهِ وَلِأَنَّهُ لَمْ يُسْتَلْحَقْ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَهُ لِيَكُونَ بِهِ حُجَّةً . |
| قِيلَ أَرَادَ زِيَادٌ أَنْ يَحُجَّ بَعْدَ أَنِ اسْتَلْحَقَهُ مُعَاوِيَةُ ، فَسَمِعَ أَخُوهُ أَبُو بَكْرَةَ ، وَكَانَ مُهَاجِرًا لَهُ مِنْ حِينِ خَالَفَهُ فِي الشَّهَادَةِ بِالزِّنَا عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِحَجِّهِ جَاءَ إِلَى بَيْتِهِ وَأَخَذَ ابْنًا لَهُ وَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ قُلْ لِأَبِيكَ إِنَّنِي سَمِعْتُ أَنَّكَ تُرِيدُ الْحَجَّ وَلَا بُدَّ مِنْ قُدُومِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا شَكَّ أَنْ تَطْلُبَ الِاجْتِمَاعَ بِأُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ أَذِنَتْ لَكَ فَأَعْظِمْ بِهِ خِزْيًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ مَنَعَتْكَ فَأَعْظِمْ بِهِ فَضِيحَةً فِي الدُّنْيَا وَتَكْذِيبًا لِأَعْدَائِكَ. |
| فَتَرَكَ زِيَادٌ الْحَجَّ وَقَالَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ فِي النُّصْحِ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ الْمُهَلَّبِ السِّنْدَ وَفِيهَا غَزَا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ثَغْرَ السِّنْدِ فَأَتَى بَنَّةَ وَالْأَهْوَازَ ، وَهُمَا بَيْنَ الْمُلْتَانِ وَكَابُلَ ، فَلَقِيَهُ الْعَدُوُّ وَقَاتَلَهُ ، وَلَقِيَ الْمُهَلَّبَ بِبِلَادِ الْقِيقَانِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فَارِسًا مِنَ التُّرْكِ فَقَاتَلُوهُ فَقُتِلُوا جَمِيعًا ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ مَا جُعِلَ هَؤُلَاءِ الْأَعَاجِمُ أَوْلَى بِالتَّشْمِيرِ مِنَّا! |
| فَحَذَفَ الْخَيْلَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ حَذَفَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِي يَوْمِ بَنَّةَ يَقُولُ الْأَزْدِيُّ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَزْدَ لَيْلَةَ بُيِّتُوا... |
| بِبَنَّةَ كَانُوا خَيْرَ جَيْشِ الْمُهَلَّبِ ؟ |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُعَاوِيَةُ وَفِيهَا عَمِلَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ الْمَقْصُورَةَ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا بِهَا ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ عَمِلَهَا بِالشَّامِ لَمَّا ضَرَبَهُ الْخَارِجِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| وَفِيهَا قُتِلَ رِفَاعَةُ الْعَدَوِيُّ مِنْ عَدِيِّ رَبَابَ ، وَهُوَ بَصْرِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فِيهَا وَلَّى مُعَاوِيَةُ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيَّ الْبَصْرَةَ فِي أَوَّلِهَا حِينَ عَزَلَ ابْنَ عَامِرٍ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَاسْتَعْمَلَ الْحَارِثُ عَلَى شُرْطَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو الثَّقَفِيَّ ، فَبَقِيَ الْحَارِثُ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّاهَا زِيَادًا. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ الْبَصْرَةَ قَدِمَ زِيَادٌ الْكُوفَةَ فَأَقَامَ يَنْتَظِرُ إِمَارَتَهُ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، فَسَارَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَاسْتَقَالَهُ الْإِمَارَةَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَنَازِلَ بِقَرْقِيسْيَا لِيَكُونَ بَيْنَ قَيْسٍ ، فَخَافَهُ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ لَهُ لَتَرْجِعَنَّ إِلَى عَمَلِكَ. |
| فَأَبَى ، فَازْدَادَ مُعَاوِيَةُ تُهْمَةً لَهُ ، فَرَدَّهُ عَلَى عَمَلِهِ ، فَعَادَ إِلَى الْكُوفَةِ لَيْلًا وَأَرْسَلَ إِلَى زِيَادٍ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْمُغِيرَةَ لَمْ يَسِرْ إِلَى الشَّامِ وَإِنَّمَا مُعَاوِيَةُ أَرْسَلَ إِلَى زِيَادٍ ، وَهُوَ بِالْكُوفَةِ ، فَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ وَخُرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ ، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْهِنْدَ وَالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ ، فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ آخِرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَالْفِسْقُ ظَاهِرٌ فَاشٍ ، فَخَطَبَهُمْ خُطْبَتَهُ الْبَتْرَاءَ ، لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فِيهَا ، وَقِيلَ بَلْ حَمِدَ اللَّهَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِفْضَالِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَنَسْأَلُهُ مَزِيدًا مِنْ نِعَمِهِ ، اللَّهُمَّ كَمَا زِدْتَنَا نِعَمًا فَأَلْهِمْنَا شُكْرًا عَلَى نِعَمِكَ عَلَيْنَا! |
| أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهَالَةَ الْجَهْلَاءَ وَالضَّلَالَةَ الْعَمْيَاءَ ، وَالْفُجْرَ الْمُوقِدَ لِأَهْلِهِ النَّارَ ، الْبَاقِي عَلَيْهِمْ سَعِيرُهَا ، مَا يَأْتِي سُفَهَاؤُكُمْ وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ حُلَمَاؤُكُمْ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ ، فَيَنْبُتُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَلَا يَتَحَاشَى عَنْهَا الْكَبِيرُ ، كَأَنْ لَمْ تَسْمَعُوا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَلَمْ تَقْرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَلَمْ تَعْلَمُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ فِي الزَّمَنِ السَّرْمَدِ الَّذِي لَا يَزُولُ ، أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنَهُ الدُّنْيَا ، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشَّهَوَاتُ ، وَاخْتَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ ، وَلَا تَذْكُرُونَ أَنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ الْحَدَثَ الَّذِي لَمْ تُسْبَقُوا إِلَيْهِ ، هَذِهِ الْمَوَاخِيرُ الْمَنْصُوبَةُ وَالضَّعِيفَةُ الْمَسْلُوبَةُ فِي النَّهَارِ الْمُبْصِرِ ، وَالْعَدَدُ غَيْرُ قَلِيلٍ ، أَلَمْ تَكُنْ مِنْكُمْ نُهَاةٌ تَمْنَعُ الْغُوَاةَ عَنْ دَلَجِ اللَّيْلِ وَغَارَةِ النَّهَارِ ؟ |
| قَرَّبْتُمُ الْقَرَابَةَ وَبَاعَدْتُمُ الدِّينَ تَعْتَذِرُونَ بِغَيْرِ الْعُذْرِ ، وَتَعْطِفُونَ عَلَى الْمُخْتَلِسِ ، كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ يَذُبُّ عَنْ سَفِيهِهِ ، صَنِيعُ مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةً ، وَلَا يَخْشَى مَعَادًا! |
| مَا أَنْتُمْ بِالْحُلَمَاءِ ، وَلَقَدِ اتَّبَعْتُمُ السُّفَهَاءَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكُمْ دُونَهُمْ حَتَّى انْتَهَكُوا حُرُمَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ أَطْرَقُوا وَرَاءَكُمْ كُنُوسًا فِي مَكَانِسِ الرِّيَبِ ، حَرَامٌ عَلِيَّ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ حَتَّى أُسَوِّيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا! |
| إِنِّي رَأَيْتُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ ، لِينٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ جَبْرِيَّةٍ وَعُنْفٍ ، وَإِنِّي لَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَآخُذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ ، وَالْمُقِيمَ بِالظَّاعِنِ ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ، وَالصَّحِيحَ مِنْكُمْ بِالسَّقِيمِ ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ انْجُ سَعْدُ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ ، أَوْ تَسْتَقِيمُ لِي قَنَاتُكُمْ ، إِنَّ كِذْبَةَ الْمِنْبَرِ بَلْقَاءُ مَشْهُورَةٌ ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلِيَّ بِكِذْبَةٍ فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ مَعْصِيَتِي ، مَنْ بُيِّتَ مِنْكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ لَهُ ، إِيَّايَ وَدَلَجَ اللَّيْلِ ، فَإِنِّي لَا أَوُتَى بِمُدْلِجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَقَدْ أَجَّلْتُكُمْ فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَأْتِي الْخَبَرُ الْكُوفَةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ ، وَإِيَّايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ. |
| وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَاثًا لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ أَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عُقُوبَةً ، فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَاهُ ، وَمَنْ حَرَّقَ عَلَى قَوْمٍ حَرَّقْنَاهُ ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْتًا نَقَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ، فَكُفُّوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكْفُفْ عَنْكُمْ لِسَانِي وَيَدِي ، وَإِيَّايَ لَا يَظْهَرُ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ خِلَافُ مَا عَلَيْهِ عَامَّتُكُمْ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحَنٌ فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دُبُرَ أُذُنِي وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزْدَدْ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ عَنْ إِسَاءَتِهِ. |
| إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلُّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ لَمْ أُنَاظِرْهُ ، فَاسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ ، وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرُبَّ مُبْتَئِسٍ بِقُدُومِنَا سَيُسَرُّ ، وَمَسْرُورٍ بِقُدُومِنَا سَيَبْتَئِسُ. |
| أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةً ، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِفَيْءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا ، فَلَنَا عَلَيْكُمُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلِينَا ، فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفَيْئَنَا بِمُنَاصَحَتِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَّرْتُ عَنْهُ فَإِنِّي لَا أُقَصِّرُ عَنْ ثَلَاثٍ لَسْتُ مُحْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَتَانِي طَارِقًا بِلَيْلٍ ، وَلَا حَابِسًا رِزْقًا وَلَا عَطَاءً عَنْ إِبَّانِهِ ، وَلَا مُجَمِّرًا لَكُمْ بَعْثًا ، فَادْعُوا اللَّهَ بِالصَّلَاحِ لِأَئِمَّتِكُمْ فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمُ الْمُؤَدِّبُونَ ، وَكَهْفِكُمُ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى تَصْلُحُوا يَصْلُحُوا ، وَلَا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بُغْضَهُمْ فَيَشْتَدَّ لِذَلِكَ غَيْظُكُمْ ، وَيَطُولَ لَهُ حُزْنُكُمْ ، وَلَا تُدْرِكُوا حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوِ اسْتُجِيبَ لَكُمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كُلًّا عَلَى كُلٍّ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أُنَفِّذُ فِيكُمُ الْأَمْرَ فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ ، وَإِنَّ لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهْتَمِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنَّكَ أُوتِيتَ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ. |
| فَقَالَ كَذَبْتَ ، ذَاكَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ! |
| فَقَالَ الْأَحْنَفُ قَدْ قُلْتَ فَأَحْسَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَالثَّنَاءُ بَعْدَ الْبَلَاءِ ، وَالْحَمْدُ بَعْدَ الْعَطَاءِ ، وَإِنَّا لَنْ نُثْنِيَ حَتَّى نَبْتَلِيَ. |
| فَقَالَ زِيَادٌ صَدَقْتَ. |
| فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بِلَالٍ مِرْدَاسُ بْنُ أُدَيَّةَ ، وَهُوَ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَقَالَ أَنْبَأَ اللَّهُ بِغَيْرِ مَا قُلْتَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى النجم . |
| فَأَوْعَدَنَا اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا أَوْعَدْتَنِي يَا زِيَادُ. |
| فَقَالَ زِيَادٌ إِنَّا لَا نَجِدُ إِلَى مَا تُرِيدُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ سَبِيلًا حَتَّى نَخُوضَ إِلَيْهَا الدِّمَاءَ. |
| وَاسْتَعْمَلَ زِيَادٌ عَلَى شُرْطَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حِصْنٍ ، وَأَجَّلَ النَّاسَ حَتَّى بَلَغَ الْخَبَرُ الْكُوفَةَ وَعَادَ إِلَيْهِ وُصُولُ الْخَبَرِ ، فَكَانَ يُؤَخِّرُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ثُمَّ يُصَلِّي فَيَأْمُرُ رَجُلًا أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ أَوْ مِثْلَهَا يُرَتِّلُ الْقُرْآنَ ، فَإِذَا فَرَغَ أَمْهَلَ بِقَدْرِ مَا يَرَى أَنَّ إِنْسَانًا يَبْلُغُ أَقْصَى الْبَقَرَةِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ بِالْخُرُوجِ ، فَيَخْرُجُ فَلَا يَرَى إِنْسَانًا إِلَّا قَتَلَهُ ، فَأَخَذَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَعْرَابِيًّا فَأَتَى بِهِ زِيَادًا فَقَالَ هَلْ سَمِعْتَ النِّدَاءَ ؟ |
| فَقَالَ لَا وَاللَّهِ قَدِمْتُ بِحَلُوبَةٍ لِي وَغَشِيَنِي اللَّيْلُ فَاضْطَرَرْتُهَا إِلَى مَوْضِعٍ وَأَقَمْتُ لِأُصْبِحَ وَلَا عِلْمَ لِي بِمَا كَانَ مِنَ الْأَمِيرِ. |
| فَقَالَ أَظُنُّكَ وَاللَّهِ صَادِقًا وَلَكِنْ فِي قَتْلِكَ صَلَاحُ الْأُمَّةِ. |
| ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ. |
| وَكَانَ زِيَادٌ أَوَّلَ مَنْ شَدَّدَ أَمْرَ السُّلْطَانِ ، وَأَكَّدَ الْمُلْكَ لِمُعَاوِيَةَ ، وَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، وَأَخَذَ بِالظِّنَّةِ ، وَعَاقَبَ عَلَى الشُّبْهَةِ ، وَخَافَهُ النَّاسُ خَوْفًا شَدِيدًا حَتَّى أَمِنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَحَتَّى كَانَ الشَّيْءُ يُسْقِطُ مِنْ يَدِ الرَّجُلِ أَوِ الْمَرْأَةِ فَلَا يَعْرِضُ لَهُ أَحَدٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ صَاحِبُهُ فَيَأْخُذَهُ ، وَلَا يُغْلِقُ أَحَدٌ بَابَهُ. |
| وَأَدَرَّ الْعَطَاءَ ، وَبَنَى مَدِينَةَ الرِّزْقِ ، وَجَعَلَ الشُّرَطَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَقِيلَ لَهُ إِنَّ السَّبِيلَ مَخُوفَةٌ. |
| فَقَالَ لَا أُعَانِي شَيْئًا وَرَاءَ الْمِصْرِ حَتَّى أُصْلِحَ الْمِصْرَ ، فَإِنْ غَلَبَنِي فَغَيْرُهُ أَشَدُّ غَلَبَةً مِنْهُ. |
| فَلَمَّا ضَبَطَ الْمِصْرَ وَأَصْلَحَهُ تَكَلَّفَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَأَحْكَمَهُ. |
| ذِكْرُ عُمَّالِ زِيَادٍ اسْتَعَانَ زِيَادٌ بِعِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ الْخُزَاعِيُّ وَلَّاهُ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ ، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ. |
| فَأَمَّا عِمْرَانُ فَاسْتَعْفَى مِنَ الْقَضَاءِ فَأَعْفَاهُ. |
| وَاسْتَقْضَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ فَضَالَةَ اللَّيْثِيَّ ، ثُمَّ أَخَاهُ عَاصِمًا ، ثُمَّ زُرَارَةَ بْنَ أَوْفَى ، وَكَانَتْ أُخْتُهُ عِنْدَ زِيَادٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّ زِيَادًا أَوَّلُ مَنْ سَيَّرَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحِرَابِ وَالْعَمَدِ ، وَاتَّخَذَ الْحَرَسَ رَابِطَةً خَمْسَمِائَةٍ لَا يُفَارِقُونَ الْمَسْجِدَ. |
| وَجَعَلَ خُرَاسَانَ أَرْبَاعًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى مَرْوَ أُمَيْرَ بْنَ أَحْمَرَ ، وَعَلَى نَيْسَابُورَ خُلَيْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنَفِيَّ ، وَعَلَى مَرْوِ الرُّوذِ وَالْفَارِيَابِ وَالطَّالَقَانِ قَيْسَ بْنَ الْهَيْثَمِ ، وَعَلَى هَرَاةَ وَبَاذَغِيسَ وَقَادِسَ وَبُوشَنْجَ نَافِعَ بْنَ خَالِدٍ الطَّاحِيَّ ، ثُمَّ عَتَبَ عَلَيْهِ فَعَزَلَهُ. |
| وَسَبَبُ تَغَيُّرِهِ عَلَيْهِ أَنَّ نَافِعًا بَعْثَ بِخُوَانَ بَاذْزَهْرَ إِلَى زِيَادٍ قَوَائِمُهُ مِنْهُ ، فَأَخَذَ نَافِعٌ مِنْهَا قَائِمَةً وَعَمَلَ مَكَانَهَا قَائِمَةً مِنْ ذَهَبٍ وَبَعَثَ الْخُوَانَ مَعَ غُلَامٍ لَهُ اسْمُهُ زَيْدٌ ، وَكَانَ يَلِي أُمُورَ نَافِعٍ كُلَّهَا ، فَسَعَى زَيْدٌ بِنَافِعٍ إِلَى زِيَادٍ وَقَالَ إِنَّهُ خَانَكَ وَأَخَذَ قَائِمَةَ الْخُوَانِ. |
| فَعَزَلَهُ زِيَادٌ وَحَبَسَهُ وَكَتَبَ عَلَيْهِ كِتَابًا بِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَقِيلَ بِثَمَانِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَشَفَعَ فِيهِ رِجَالٌ مِنْ وُجُوهِ الْأَزْدِ فَأَطْلَقَهُ. |
| وَاسْتَعْمَلَ الْحَكَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ، وَكَانَ زِيَادٌ قَالَ لِحَاجِبِهِ ادْعُ لِيَ الْحَكَمَ ، يُرِيدُ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيَّ ، لِيُوَلِّيَهُ خُرَاسَانَ ، فَخَرَجَ حَاجِبُهُ فَرَأَى الْحَكَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ فَاسْتَدْعَاهُ ، فَحِينَ رَآهُ زِيَادٌ قَالَ لَهُ مَا أَرَدْتُكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَكَ! |
| فَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ وَجَعَلَ مَعَهُ رِجَالًا عَلَى جِبَايَةِ الْخَرَاجِ ، مِنْهُمْ أَسْلَمُ بْنُ زُرْعَةَ الْكِلَابِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَغَزَا الْحَكَمُ طَخَارُسْتَانَ ، فَغَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، ثُمَّ مَاتَ ، وَاسْتَخْلَفَ أَنَسَ بْنَ أَبِي أُنَاسِ بْنِ زُنَيْمٍ ، فَعَزَلَهُ زِيَادٌ وَكَتَبَ إِلَى خُلَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنَفِيِّ بِوِلَايَةِ خُرَاسَانَ ، ثُمَّ بَعَثَ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ، وَعَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ الْبَلَوِيُّ ، وَكَانَ بَدْرِيًّا ، وَقِيلَ لَمْ يَشْهَدْهَا بَلْ رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا مَاتَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ الْأَنْصَارِيُّ بِالْمَدِينَةِ ، وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعِينَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ بْنِ خَلِيفَةَ الْكِلَابِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ ، وَهُوَ أَخُو أَبِي جُبَيْرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَشْتَى مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَرْضِ الرُّومِ ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ وَفِيهَا انْصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ إِلَى حِمْصَ وَمَاتَ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَظُمَ شَأْنُهُ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ وَمَالُوا إِلَيْهِ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ آثَارِ أَبِيهِ وَلِغَنَائِهِ فِي بِلَادِ الرُّومِ وَلِشِدَّةِ بَأْسِهِ ، فَخَافَهُ مُعَاوِيَةُ وَخَشِيَ مِنْهُ وَأَمَرَ ابْنَ أُثَالٍ النَّصْرَانِيَّ أَنْ يَحْتَالَ فِي قَتْلِهِ وَضَمِنَ لَهُ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ خَرَاجَهُ مَا عَاشَ وَأَنْ يُوَلِّيَهُ جِبَايَةَ خَرَاجِ حِمْصَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنَ الرُّومِ دَسَّ إِلَيْهِ ابْنُ أُثَالٍ شَرْبَةً مَسْمُومَةً مَعَ بَعْضِ مَمَالِيكِهِ ، فَشَرِبَهَا ، فَمَاتَ بِحِمْصَ ، فَوَفَى لَهُ مُعَاوِيَةُ بِمَا ضَمِنَ لَهُ. |
| وَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ الْمَدِينَةَ فَجَلَسَ يَوْمًا إِلَى عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ مَا فَعَلَ ابْنُ أُثَالٍ ؟ |
| فَقَامَ مِنْ عِنْدِهِ وَسَارَ إِلَى حِمْصَ فَقَتَلَ ابْنَ أُثَالٍ ، فَحُمِلَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَحَبَسَهُ أَيَّامًا ثُمَّ غَرَّمَهُ دِيَتَهُ ، وَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَتَى عُرْوَةَ ، فَقَالَ عُرْوَةُ مَا فَعَلَ ابْنُ أُثَالٍ ؟ |
| فَقَالَ قَدْ كَفَيْتُكَ ابْنَ أُثَالٍ ؟ |
| وَلَكِنْ مَا فَعَلَ ابْنُ جُرْمُوزٍ ؟ |
| يَعْنِي قَاتِلَ الزُّبَيْرِ ، فَسَكَتَ عُرْوَةُ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ سَهْمٍ وَالْخَطِيمِ وَفِيهَا خَرَجَ الْخَطِيمُ ، وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ مَالِكٍ الْبَاهِلِيُّ ، وَسَهْمُ بْنُ غَالِبٍ الْهُجَيْمِيُّ ، فَحُكِّمَا ، فَأَمَّا سَهْمٌ فَإِنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْأَهْوَازِ فَحُكِّمَ بِهَا ، ثُمَّ رَجَعَ فَاخْتَفَى وَطَلَبَ الْأَمَانَ فَلَمْ يُؤَمِّنْهُ زِيَادٌ وَطَلَبَهُ حَتَّى أَخَذَهُ وَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِهِ. |
| وَأَمَّا الْخَطِيمُ فَإِنَّ زِيَادًا سَيَّرَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ثُمَّ أَقْدَمَهُ وَقَالَ لِمُسْلِمِ بْنِ عَمْرٍو الْبَاهِلِيِّ ، وَالِدِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ اضْمَنْهُ ، فَأَبَى وَقَالَ إِنْ بَاتَ خَارِجًا عَنْ بَيْتِهِ أَعْلَمْتُكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ مُسْلِمٌ فَقَالَ لَهُ لَمْ يَبِتِ الْخَطِيمُ اللَّيْلَةَ فِي بَيْتِهِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ وَأُلْقِيَ فِي بَاهِلَةَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ أَتَمَّ مِنْ هَذَا ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهُ هَا هُنَا لِأَنَّهُ قُتِلَ هَذِهِ السَّنَةِ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى بَنِي غِفَارٍ ، وَقِيلَ مَوْلَى بَنِي عَامِرٍ ، وَقِيلَ الْخُزَاعِيُّ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَشْتَى مَالِكِ بْنِ هُبَيْرَةَ بِأَرْضِ الرُّومِ ، وَمَشْتَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَيْنِيِّ بِأَنْطَاكِيَةَ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ مِصْرَ وَوِلَايَةِ ابْنِ حُدَيْجٍ وَفِيهَا عُزِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ مِصْرَ وَوَلِيَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ وَكَانَ عُثْمَانِيًّا ، فَمَرَّ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ يَا مُعَاوِيَةُ قَدْ أَخَذْتَ جَزَاءَكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ ، قَدْ قَتَلْتَ أَخِي مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ لِتَلِيَ مِصْرَ فَقَدَ وُلِيتَهَا. |
| فَقَالَ مَا قَتَلْتُ مُحَمَّدًا إِلَّا بِمَا صَنَعَ بِعُثْمَانَ. |
| فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَلَوْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ بِدَمِ عُثْمَانَ لَمَا شَارَكْتَ مُعَاوِيَةَ فِيمَا صَنَعَ حَيْثُ عَمِلَ عَمْرٌو بِالْأَشْعَرِيِّ مَا عَمِلَ فَوَثَبْتَ أَوَّلَ النَّاسِ فَبَايَعْتَهُ. |
| حُدَيْجٌ بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الدَّالِّ الْمُهْمَلَةِ ، وَبِالْجِيمِ . |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ الْغَوْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى جِبَالِ الْغَوْرِ فَغَزَا مَنْ بِهَا ، وَكَانُوا ارْتَدُّوا ، فَأَخَذَهُمْ بِالسَّيْفِ عَنْوَةً وَفَتَحَهَا وَأَصَابَ مِنْهَا مَغَانِمَ كَثِيرَةً وَسَبَايَا ، وَلَمَّا رَجَعَ الْحَكَمُ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ مَاتَ بِمَرْوَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَكَانَ الْحَكَمُ قَدْ قَطَعَ النَّهْرَ فِي وِلَايَتِهِ وَلَمْ يَفْتَحْ. |
| وَكَانَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ شَرِبَ مِنَ النَّهْرِ مَوْلًى لِلْحَكَمِ اغْتَرَفَ بِتُرْسِهِ فَشَرِبَ وَنَاوَلَ الْحَكَمَ فَشَرِبَ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَكَانَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ فَعَلَ ذَلِكَ ثُمَّ رَجَعَ. |
| ذِكْرُ مَكِيدَةٍ لِلْمُهَلَّبِ وَكَانَ الْمُهَلَّبُ مَعَ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو بِخُرَاسَانَ ، وَغَزَا مَعَهُ بَعْضَ جِبَالِ التُّرْكِ فَغَنِمُوا ، وَأَخَذَ التُّرْكُ عَلَيْهِمُ الشِّعَابَ وَالطُّرُقَ ، فَعَيِيَ الْحَكَمُ بِالْأَمْرِ ، فَوَلَّى الْمُهَلَّبَ الْحَرْبَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَحْتَالُ حَتَّى أَسَرَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ التُّرْكِ ، فَقَالَ لَهُ إِمَّا أَنْ تُخْرِجَنَا مِنْ هَذَا الضِّيقِ أَوْ لَأَقْتُلَنَّكَ. |
| فَقَالَ لَهُ أَوْقِدِ النَّارَ حِيَالَ طَرِيقٍ مِنْ هَذِهِ الطُّرُقِ وَسَيِّرِ الْأَثْقَالَ نَحْوَهُ فَإِنَّهُمْ سَيَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيُخَلُّونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الطُّرُقِ فَبَادِرْهُمْ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ فَمَا يُدْرِكُونَكُمْ حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَسَلِمَ النَّاسُ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةِ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَقِيلَ عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَانَ الْوُلَاةُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ فِيهَا كَانَ مَشْتَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَيْنِيِّ بِأَنْطَاكِيَةَ. |
| وَصَائِفَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْفَزَارِيِّ. |
| وَغَزْوَةُ مَالِكِ بْنِ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيِّ الْبَحْرَ. |
| وَغَزْوَةُ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ بِأَهْلِ مِصْرَ الْبَحْرَ وَبِأَهْلِ الْمَدِينَةِ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ زِيَادٌ غَالِبَ بْنَ فَضَالَةَ اللَّيْثِيَّ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ مَرْوَانُ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْعَزْلَ لِمُوجِدَةٍ كَانَتْ مِنْ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِ ، وَارْتَجَعَ مُعَاوِيَةُ مِنْهُ فَدَكَ وَكَانَ وَهَبْهَا لَهُ. |
| وَكَانَ وُلَاةُ الْأَنْصَارِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ فِيهَا كَانَ مَشْتَى مَالِكِ بْنِ هُبَيْرَةَ بِأَرْضِ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ جَرَبَّةَ وَشَتَا بِهَا ، وَفُتِحَتْ عَلَى يَدِهِ ، وَأَصَابَ فِيهَا شَيْئًا كَثِيرًا وَفِيهَا كَانَتْ صَائِفَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُرْزٍ الْبَجَلِيِّ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ الرُّهَاوِيِّ فِي الْبَحْرِ فَشَتَا بِأَهْلِ الشَّامِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ الْبَحْرَ فَشَتَا بِأَهْلِ مِصْرَ. |
| ذِكْرُ غَزْوَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسِينَ ، سَيَّرَ مُعَاوِيَةُ جَيْشًا كَثِيفًا إِلَى بِلَادِ الرُّومِ لِلْغَزَاةِ وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ سُفْيَانَ بْنَ عَوْفٍ وَأَمَرَ ابْنَهُ يَزِيدَ بِالْغَزَاةِ مَعَهُمْ ، فَتَثَاقَلَ وَاعْتَلَّ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَبُوهُ ، فَأَصَابَ النَّاسُ فِي غَزَاتِهِمْ جُوعٌ وَمَرَضٌ شَدِيدٌ ، فَأَنْشَأَ يَزِيدُ يَقُولُ مَا إِنْ أُبَالِي بِمَا لَاقَتْ جُمُوعُهُمُ... |
| بِالْغَزْقَذُونَةِ مِنْ حُمَّى وَمِنْ مُومِ إِذَا اتَّكَأْتُ عَلَى الْأَنْمَاطِ مُرْتَفِقًا بِدَيْرِ مُرَّانَ عِنْدِي أُمُّ كُلْثُومِ وَأُمُّ كُلْثُومٍ امْرَأَتُهُ ، وَهِيَ ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ. |
| فَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ شِعْرُهُ فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ لَيَلْحَقَنَّ بِسُفْيَانَ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ لِيُصِيبَهُ مَا أَصَابَ النَّاسَ ، فَسَارَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ أَضَافَهُمْ إِلَيْهِ أَبُوهُ ، وَكَانَ فِي هَذَا الْجَيْشِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ وَغَيْرُهُمْ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَارَةَ الْكِلَابِيُّ ، فَأَوْغَلُوا فِي بِلَادِ الرُّومِ حَتَّى بَلَغُوا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَاقْتَتَلَ الْمُسْلِمُونَ وَالرُّومُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، فَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَتَعَرَّضُ لِلشَّهَادَةِ فَلَمْ يُقْتَلْ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ قَدْ عِشْتُ فِي الدَّهْرِ أَطْوَارًا عَلَى طُرُقٍ... |
| شَتَّى فَصَادَفْتُ مِنْهَا اللِّينَ وَالْبَشِعَا كُلًّا بَلَوْتُ فَلَا النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِي... |
| وَلَا تَجَشَّمْتُ مِنْ لَأْوَائِهَا جَزَعًا لَا يَمْلَأُ الْأَمْرُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ... |
| وَلَا أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا ثُمَّ حَمَلَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ فَقَتَلَ فِيهِمْ وَانْغَمَسَ بَيْنَهُمْ ، فَشَجَرَهُ الرُّومُ بِرِمَاحِهِمْ حَتَّى قَتَلُوهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَبَلَغَ خَبَرُ قَتْلِهِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لِأَبِيهِ وَاللَّهِ هَلَكَ فَتَى الْعَرَبِ! |
| فَقَالَ ابْنِي أَوِ ابْنُكَ ؟ |
| قَالَ ابْنُكَ ، فَآجَرَكَ اللَّهُ. |
| فَقَالَ فَإِنْ يَكُنِ الْمَوْتُ أَوْدَى بِهِ... |
| وَأَصْبَحَ مُخُّ الْكِلَابِيِّ زِيرًا فَكُلُّ فَتًى شَارِبٌ كَأْسَهُ... |
| فَإِمَّا صَغِيرًا وَإِمَّا كَبِيرًا ثُمَّ رَجَعَ يَزِيدُ وَالْجَيْشُ إِلَى الشَّامِ وَقَدْ تُوُفِّيَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ عِنْدَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَدُفِنَ بِالْقُرْبِ مِنْ سُورِهَا ، فَأَهْلُهَا يَسْتَسْقُونَ بِهِ ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَ صِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ وَغَيْرَهَا مِنْ حُرُوبِهِ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ مَرْوَانَ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوِلَايَةِ سَعِيدٍ وَفِيهَا عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَأَمَّرَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ عَلَيْهَا فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَقِيلَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَتْ وِلَايَةُ مَرْوَانَ كُلُّهَا بِالْمَدِينَةِ لِمُعَاوِيَةَ ثَمَانِيَ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ ، وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، فَعَزَلَهُ سَعِيدٌ حِينَ وَلِيَ ، وَاسْتَقْضَى أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، سَمَّتْهُ زَوْجَتُهُ جَعْدَةُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ ، وَوَصَّى أَنْ يُدْفَنَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ تُخَافَ فِتْنَةٌ فَيُنْقَلُ إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَأْذَنَ الْحُسَيْنُ عَائِشَةَ فَأَذِنَتْ لَهُ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَرَادُوا دَفْنَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَعْرِضْ إِلَيْهِمْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ ، فَقَامَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَجَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ وَشِيعَتَهُمْ وَمَنَعَ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَرَادَ الْحُسَيْنُ الِامْتِنَاعَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ أَخَاكَ قَالَ إِذَا خِفْتُمُ الْفِتْنَةَ فَفِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذِهِ فِتْنَةٌ. |
| فَسَكَتَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ سُنَّةٌ لَمَا تَرَكْتُكَ تُصَلِّي عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ . |
| فِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ بُسْرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ وَسُفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ الْأَزْدِيِّ أَرْضَ الرُّومِ ، وَغَزْوَةُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ فِي الْبَحْرِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَوِلَايَةِ زِيَادٍ الْكُوفَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَعْبَانَ كَانَتْ وَفَاةُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَكَانَ الطَّاعُونُ قَدْ وَقَعَ بِالْكُوفَةِ ، فَهَرَبَ الْمُغِيرَةُ مِنْهُ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُونُ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ فَطُعِنَ فَمَاتَ. |
| وَكَانَ طُوَالًا أَعْوَرَ ذَهَبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ ، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ كَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ . |
| فَلَمَّا مَاتَ الْمُغِيرَةُ اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ زِيَادًا عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جُمِعَتَا لَهُ. |
| فَلَمَّا وَلِيَهَا سَارَ إِلَيْهَا وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ ، وَكَانَ زِيَادٌ يُقِيمُ بِالْكُوفَةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَبِالْبَصْرَةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكُوفَةَ خَطَبَهُمْ فَحُصِبَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَجَلَسَ حَتَّى أَمْسَكُوا ثُمَّ دَعَا قَوْمًا مِنْ خَاصَّتِهِ فَأَمَرَهُمْ فَأَخَذُوا أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ جَلِيسَهُ وَلَا يَقُولَنَّ لَا أَدْرِي مَنْ جَلِيسِي ، ثُمَّ أَمَرَ بِكُرْسِيٍّ فَوُضِعَ لَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَدَعَاهُمْ أَرْبَعَةً أَرْبَعَةً يَحْلِفُونَ مَا مِنَّا مَنْ حَصَبَكَ فَمَنْ حَلَفَ خَلَّاهُ وَمَنْ لَمْ يَحْلِفْ حَبَسَهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى ثَلَاثِينَ ، وَقِيلَ إِلَى ثَمَانِينَ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَكَانِ. |
| وَكَانَ أَوَّلُ قَتِيلٍ قَتَلَهُ زِيَادٌ بِالْكُوفَةِ أَوْفَى بْنَ حِصْنٍ ، وَكَانَ بَلَغَهُ عَنْهُ شَيْءٌ ، فَطَلَبَهُ فَهَرَبَ ، فَعَرَضَ النَّاسَ زِيَادٌ ، فَمَرَّ بِهِ فَقَالَ مَنْ هَذَا ؟ |
| قَالَ أَوْفَى بْنُ حِصْنٍ. |
| فَقَالَ زِيَادٌ أَتَتْكَ بِحَائِنٍ رِجْلَاهُ وَقَالَ لَهُ مَا رَأْيُكَ فِي عُثْمَانَ ؟ |
| قَالَ خَتَنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنَتَيْهِ. |
| قَالَ فَمَا تَقُولُ فِي مُعَاوِيَةَ ؟ |
| قَالَ جَوَادٌ حَلِيمٌ. |
| قَالَ فَمَا تَقُولُ فِيَّ ؟ |
| قَالَ بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ بِالْبَصْرَةِ وَاللَّهِ لَآخُذَنَّ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ. |
| قَالَ قَدْ قُلْتُ ذَاكَ. |
| قَالَ خَبَطْتَهَا عَشْوَاءَ! |
| فَقَالَ زِيَادٌ لَيْسَ النَّفَّاخُ بِشَرِّ الزَّمَرَةِ! |
| فَقَتَلَهُ. |
| وَلَمَّا قَدِمَ زِيَادٌ الْكُوفَةَ قَالَ لَهُ عُمَارَةُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْحَمِقِ يَجْمَعُ إِلَيْهِ شِيعَةَ أَبِي تُرَابٍ. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ زِيَادٌ مَا هَذِهِ الْجَمَاعَاتُ عِنْدَكَ ؟ |
| مَنْ أَرَدْتَ كَلَامَهُ فَفِي الْمَسْجِدِ. |
| وَقِيلَ الَّذِي سَعَى بِعَمْرٍو يَزِيدُ بْنُ رُوَيْمٍ فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ قَدِ أَشَطْتُ بِدَمِهِ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ مُخَّ سَاقِهِ قَدْ سَالَ مِنْ بُغْضِي مَا هَجَتْهُ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيَّ. |
| فَاتَّخَذَ زِيَادٌ الْمَقْصُورَةَ حِينَ حُصِبَ. |
| فَلَمَّا اسْتَخْلَفَ زِيَادٌ سَمُرَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ أَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهَا ، فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ قَتَلَ سَمُرَةُ فِي غَيْبَةِ زِيَادٍ هَذِهِ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ. |
| فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ قَتَلْتَ بَرِيئًا ؟ |
| فَقَالَ لَوْ قَتَلْتُ مَعَهُمْ مِثْلَهُمْ مَا خَشِيتُ. |
| وَقَالَ أَبُو السَّوَّارِ الْعَدَوِيُّ قَتَلَ سَمُرَةُ مِنْ قَوْمِي فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ كُلُّهُمْ قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ. |
| وَرَكِبَ سَمُرَةُ يَوْمًا فَلَقِيَ أَوَائِلُ خَيْلِهِ رَجُلًا فَقَتَلُوهُ ، فَمَرَّ بِهِ سَمُرَةُ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ فَقَالَ مَا هَذَا ؟ |
| فَقِيلَ أَصَابَهُ أَوَائِلُ خَيْلِكَ. |
| فَقَالَ إِذَا سَمِعْتُمْ بِنَا قَدْ رَكِبْنَا فَاتَّقُوا أَسِنَّتَنَا. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ قُرَيْبٍ وَفِيهَا خَرَجَ قُرَيْبٌ الْأَزْدِيُّ وَزَحَّافٌ الطَّائِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ ، وَزِيَادٌ بِالْكُوفَةِ وَسَمُرَةُ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَتَيَا بَنِي ضُبَيْعَةَ ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ شَيْخًا ، وَخَرَجَ عَلَى قُرَيْبٍ وَزَحَّافٍ شَبَابٌ مِنْ بَنِي عَلِيٍّ وَبَنِي رَاسِبٍ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَوْسٍ الطَّاحِيُّ قُرَيْبًا وَجَاءَ بِرَأْسِهِ وَاشْتَدَّ زِيَادٌ فِي أَمْرِ الْخَوَارِجِ فَقَتَلَهُمْ ، وَأَمَرَ سَمُرَةَ بِذَلِكَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا وَخَطَبَ زِيَادٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَاللَّهِ لَتَكُفُّنَّنِي هَؤُلَاءِ أَوْ لَأَبْدَأَنَّ بِكُمْ! |
| وَاللَّهِ لَئِنْ أَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ لَا تَأْخُذُونَ الْعَامَ مِنْ عَطَائِكُمْ دِرْهَمًا! |
| فَثَارَ النَّاسُ بِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ. |
| ذِكْرُ إِرَادَةِ مُعَاوِيَةَ نَقْلَ الْمِنْبَرِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بِمِنْبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُحْمَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ ، وَقَالَ لَا يُتْرَكُ هُوَ وَعَصَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِالْمَدِينَةِ وَهُمْ قَتَلَةُ عُثْمَانَ ، وَطَلَبَ الْعَصَا ، وَهُوَ عِنْدُ سَعْدٍ الْقَرَظِ ، فَحُرِّكَ الْمِنْبَرُ فَكُسِفَتِ الشَّمْسُ حَتَّى رُؤَيَتِ النُّجُومُ بَادِيَةً ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَتَرَكَهُ. |
| وَقِيلَ أَتَاهُ جَابِرٌ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَقَالَا لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَصْلُحُ أَنْ تُخْرِجَ مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَوْضِعٍ وَضَعَهُ ، وَلَا تَنْقُلْ عَصَاهُ إِلَى الشَّامِ ، فَانْقُلِ الْمَسْجِدَ ، فَتَرَكَهُ ، وَزَادَ فِيهِ سِتَّ دَرَجَاتٍ وَاعْتَذَرَ مِمَّا صَنَعَ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ هَمَّ بِالْمِنْبَرِ ، فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ أُذَكِّرُكَ اللَّهَ أَنْ تَفْعَلَ! |
| إِنَّ مُعَاوِيَةَ حَرَّكَهُ فَكُسِفَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِي آثِمًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ، فَتُخْرِجُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُقَطَّعُ الْحُقُوقِ عِنْدَهُمْ بِالْمَدِينَةِ! |
| فَتَرَكَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْوَلِيدُ ابْنُهُ وَحَجَّ هَمَّ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ كَلِّمْ صَاحِبَكَ لَا يَتَعَرَّضُ لِلْمَسْجِدِ وَلَا لِلَّهِ وَالسُّخْطِ لَهُ ، فَكَلَّمَهُ عُمَرُ فَتَرَكَهُ. |
| وَلَمَّا حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْبَرَهُ عُمَرُ بِمَا كَانَ مِنَ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا وَلَا عَنِ الْوَلِيدِ ، مَا لَنَا وَلِهَذَا! |
| أَخَذْنَا الدُّنْيَا فَهِيَ فِي أَيْدِينَا وَنُرِيدُ أَنْ نَعْمِدَ إِلَى عَلَمٍ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ يُوفَدُ إِلَيْهِ فَنَحْمِلَهُ إِلَى مَا قِبَلَنَا! |
| هَذَا مَا لَا يَصْلُحُ! |
| وَفِيهَا عُزِلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ السَّكُونِيُّ عَنْ مِصْرَ وَوَلِيَهَا مَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ مَعَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بَعَثَ قَبْلَ أَنْ يُوَلِّيَ مَسْلَمَةَ إِفْرِيقِيَّةَ وَمِصْرَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ اخْتَطْ قَيْرَوَانَهَا ، وَكَانَ مَوْضِعُهُ غَيْضَةً لَا تُرَامُ مِنَ السِّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ وَغَيْرِهَا ، فَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا خَرَجَ هَارِبًا حَتَّى إِنَّ كَانَتِ السِّبَاعُ لَتَحْمِلُ أَوْلَادَهَا ، وَبَنَى الْجَامِعَ. |
| فَلَمَّا عَزَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ السَّكُونِيَّ عَنْ مِصْرَ عَزَلَ عُقْبَةَ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ وَجَمَعَهَا لِمَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جُمِعَ لَهُ الْمَغْرِبُ مَعَ مِصْرَ ، فَوَلَّى مَسْلَمَةُ إِفْرِيقِيَّةَ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْمُهَاجِرِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى هَلَكَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ إِفْرِيقِيَّةَ وَبِنَاءِ مَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ قَدْ ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ أَنَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِيَ مَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَنَّ عُقْبَةَ وَلِيَ قَبْلَهُ إِفْرِيقِيَّةَ وَبَنَى الْقَيْرَوَانَ ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ أَهْلُ التَّارِيخِ مِنَ الْمَغَارِبَةِ أَنَّ وِلَايَةَ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ إِفْرِيقِيَّةَ كَانَتْ هَذِهِ السَّنَةَ وَبَنَى الْقَيْرَوَانَ ، ثُمَّ بَقِيَ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَوَلِيَهَا مَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ ، وَهُمْ أَخْبَرُ بِبِلَادِهِمْ ، وَأَنَا أَذْكُرُ مَا أَثْبَتُوهُ فِي كُتُبِهِمْ قَالُوا إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَزَلَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ حَسْبُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ الْفِهْرِيَّ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِبَرْقَةَ وَزُوَيْلَةَ مُذْ فَتَحَهَا أَيَّامَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَلَهُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ جِهَادٌ وَفُتُوحٌ ، فَلَمَّا اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ سَيَّرَ إِلَيْهِ عَشَرَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، فَدَخَلَ إِفْرِيقِيَّةَ وَانْضَافَ إِلَيْهِ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْبَرْبَرِ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَوَضَعَ السَّيْفَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا دَخَلَ إِلَيْهِمْ أَمِيرٌ أَطَاعُوا وَأَظْهَرَ بَعْضُهُمُ الْإِسْلَامَ ، فَإِذَا عَادَ الْأَمِيرُ عَنْهُمْ نَكَثُوا وَارْتَدَّ مَنْ أَسْلَمَ ، ثُمَّ رَأَى أَنْ يَتَّخِذَ مَدِينَةً يَكُونُ فِيهَا عَسْكَرُ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالُهُمْ لِيَأْمَنُوا مِنْ ثَوْرَةٍ تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ ، فَقَصَدَ مَوْضِعَ الْقَيْرَوَانِ ، وَكَانَ أَجَمَةً مُشْتَبِكَةً بِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَدَعَا اللَّهَ ، وَكَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، ثُمَّ نَادَى أَيَّتُهَا الْحَيَّاتُ وَالسِّبَاعُ إِنَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ارْحَلُوا عَنَّا فَإِنَّا نَازِلُونَ وَمَنْ وَجَدْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلْنَاهُ. |
| فَنَظَرَ النَّاسُ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَى الدَّوَابِّ تَحْمِلُ أَوْلَادَهَا وَتَنْتَقِلُ ، فَرَآهُ قَبِيلٌ كَثِيرٌ مِنَ الْبَرْبَرِ فَأَسْلَمُوا ، وَقَطَعَ الْأَشْجَارَ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَدِينَةِ ، فَبُنِيَتْ ، وَبَنَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ ، وَبَنَى النَّاسُ مَسَاجِدَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ ، وَكَانَ دُورُهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ بَاعٍ وَسِتَّمِائَةِ بَاعٍ ، وَتَمَّ أَمْرُهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسَكَنَهَا النَّاسُ ، وَكَانَ فِي أَثْنَاءِ عِمَارَةِ الْمَدِينَةِ يَغْزُو وَيُرْسِلُ السَّرَايَا ، فَتُغِيرُ وَتَنْهَبُ ، وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْبَرْبَرِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَاتَّسَعَتْ خُطَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَقَوِيَ جَنَانُ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْجُنُودِ بِمَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ وَأَمِنُوا وَاطْمَأَنُّوا عَلَى الْمُقَامِ فَثَبَتَ الْإِسْلَامُ فِيهَا. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ إِفْرِيقِيَّةَ ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ اسْتَعْمَلَ عَلَى مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ ، فَاسْتَعْمَلَ مَسْلَمَةُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْمُهَاجِرِ ، فَقَدِمَ إِفْرِيقِيَّةَ وَأَسَاءَ عَزْلَ عُقْبَةَ وَاسْتَخَفَّ بِهِ ، وَسَارَ عُقْبَةُ إِلَى الشَّامِ وَعَاتَبَ مُعَاوِيَةَ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِهِ أَبُو الْمُهَاجِرِ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَوَعَدَهُ بِإِعَادَتِهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَتَمَادَى الْأَمْرُ فَتُوُفِّيَ مُعَاوِيَةُ وَتَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُهُ يَزِيدُ ، فَاسْتَعْمَلَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ عَلَى الْبِلَادِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا. |
| وَقَدْ ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ وَلِيَ إِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَاخْتَطَّ الْقَيْرَوَانَ ، وَلَمْ يَزَلْ عُقْبَةُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، فَعَزَلَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَاسْتَعْمِلْ أَبَا الْمُهَاجِرِ مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، فَحَبَسَ عُقْبَةَ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ مَا فُعِلَ بِعُقْبَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِهِ وَإِرْسَالِهِ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَوَصَلَ عُقْبَةُ إِلَى يَزِيدَ فَأَعَادَهُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، فَقَبَضَ عَلَى أَبِي الْمُهَاجِرِ وَأَوْثَقَهُ ، وَسَاقَ مِنْ خَبَرِ كُسَيْلَةَ مِثْلَ مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ. |
| ذِكْرُ هَرَبِ الْفَرَزْدَقِ مِنْ زِيَادٍ وَفِيهَا طَلَبَ زِيَادٌ الْفَرَزْدَقَ ، اسْتَعْدَتْهُ عَلَيْهِ بَنُو نَهْشَلٍ وَفُقَيْمٍ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ قَالَ الْفَرَزْدَقُ هَاجَيْتُ الْأَشْهَبَ بْنَ رُمَيْلَةَ وَالْبَعِيثَ فَسَقَطَا ، فَاسْتَعْدَى عَلَيَّ بَنُو نَهْشَلٍ وَبَنُو فُقَيْمٍ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ ، وَاسْتَعْدَى عَلَيَّ أَيْضًا يَزِيدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ فَلَمْ يَعْرِفْنِي زِيَادٌ حَتَّى قِيلَ لَهُ الْغُلَامُ الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي أَنْهَبَ مَالَهُ وَثِيَابَهُ ، فَعَرَفَنِي. |
| قَالَ الْفَرَزْدَقُ وَكَانَ أَبِي غَالِبٌ قَدْ أَرْسَلَنِي فِي جَلَبٍ لَهُ أَبِيعُهُ وَأَمْتَارُ لَهُ ، فَبِعْتُ الْجَلَبَ بِالْبَصْرَةِ وَجَعَلْتُ ثَمَنَهُ فِي ثَوْبِي ، فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ فَقَالَ لَشَدٌّ مَا تَسْتَوْثِقُ مِنْهَا ، أَمَا لَوْ كَانَ مَكَانَكَ رَجُلٌ أَعْرِفُهُ مَا صَرَّ عَلَيْهَا. |
| فَقُلْتُ وَمَنْ هُوَ ؟ |
| قَالَ غَالِبُ بْنُ صَعْصَعَةَ وَهُوَ أَبُو الْفَرَزْدَقِ. |
| فَدَعَوْتُ أَهْلَ الْمِرْبَدِ وَنَثَرْتُهَا. |
| فَقَالَ لِي قَائِلٌ أَلْقِ رِدَاءَكَ. |
| فَفَعَلْتُ. |
| فَقَالَ آخَرُ أَلْقِ ثَوْبَكَ. |
| فَفَعَلْتُ. |
| وَقَالَ آخَرُ أَلْقِ عِمَامَتَكَ. |
| فَفَعَلْتُ. |
| فَقَالَ آخَرُ أَلْقِ إِزَارَكُ. |
| فَقُلْتُ لَا أُلْقِيهِ وَأَمْشِي مُجَرَّدًا ، إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ زِيَادًا فَقَالَ هَذَا أَحْمَقٌ يُضْرِي النَّاسَ بِالنَّهْبِ ، فَأَرْسَلَ خَيْلًا إِلَى الْمِرْبَدِ لِيَأْتُوهُ بِي ، فَأَتَانِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْهُجَيْمِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَقَالَ النَّجَاءَ النَّجَاءَ! |
| وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ ، وَنَجَوْتُ ، فَأَخَذَ زِيَادٌ عَمَّيْنِ لِي ذُهَيْلًا وَالزَّحَّافَ ابْنَيْ صَعْصَعَةَ ، وَكَانَا فِي الدِّيوَانِ ، فَحَبَسَهُمَا أَيَّامًا ثُمَّ كُلِّمَ فِيهِمَا فَأَطْلَقَهُمَا ، وَأَتَيْتُ أَبِي فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي ، فَحَقَدَهَا عَلَيْهِ زِيَادٌ. |
| ثُمَّ وَفَدَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَجَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ السَّعْدِيَّانِ وَالْجَوْنُ بْنُ قَتَادَةَ الْعَبْشَمِيُّ وَالْحُتَاتُ بْنُ يَزِيدَ أَبُو مُنَازِلٍ الْمُجَاشِعِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جَائِزَةً مِائَةَ أَلْفٍ وَأَعْطَى الْحُتَاتَ سَبْعِينَ أَلْفًا. |
| فَلَمَّا كَانُوا فِي الطَّرِيقِ ذَكَرَ كُلٌّ مِنْهُمْ جَائِزَتَهُ ، فَرَجَعَ الْحُتَاتُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ مَا رَدَّكَ ؟ |
| قَالَ فَضَحْتَنِي فِي بَنِي تَمِيمٍ! |
| أَمَا حَسَبِي صَحِيحٌ ؟ |
| أَوَلَسْتُ ذَا سِنٍّ ؟ |
| أَلَسْتُ مُطَاعًا فِي عَشِيرَتِي ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ فَمَا بَالُكَ خَسَسْتَ بِي دُونَ الْقَوْمِ وَأَعْطَيْتَ مَنْ كَانَ عَلَيْكَ أَكْثَرَ مِمَّنْ كَانَ لَكَ ؟ |
| وَكَانَ حَضَرَ الْجَمَلَ مَعَ عَائِشَةَ ، وَكَانَ الْأَحْنَفُ وَجَارِيَةُ يُرِيدَانِ عَلِيًّا ، وَإِنْ كَانَ الْأَحْنَفُ وَالْجَوْنُ اعْتَزَلَا الْقِتَالَ مَعَ عَلِيٍّ لَكِنَّهُمَا كَانَا يُرِيدَانِهِ ، قَالَ إِنِّي اشْتَرَيْتُ مِنَ الْقَوْمِ دِينَهُمْ وَوَكَلْتُكَ إِلَى دِينِكَ وَرَأْيِكَ فِي عُثْمَانَ ، وَكَانَ عُثْمَانِيًّا. |
| فَقَالَ وَأَنَا فَاشْتَرِ مِنِّي دِينِي. |
| فَأَمَرَ لَهُ بِإِتْمَامِ جَائِزَتِهِ ، ثُمَّ مَاتَ الْحُتَاتُ فَحَبَسَهَا مُعَاوِيَةُ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي ذَلِكَ شِعْرًا أَبُوكَ وَعَمِّي يَا مُعَاوِيَةُ أَوْرَثَا... |
| تُرَاثًا فَيَحْتَازُ التُّرَاثَ أَقَارِبُهْ فَمَا بَالُ مِيرَاثِ الْحُتَاتِ أَخَذْتَهُ... |
| وَمِيرَاثُ صَخْرٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبُهْ فَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي جَاهِلِيَّةٍ... |
| عَلِمْتَ مَنِ الْمَرْءُ الْقَلِيلُ حَلَائِبُهْ وَلَوْ كَانَ فِي دِينٍ سِوَى ذَا شَنِئْتُمُ... |
| لَنَا حَقَّنَا أَوْ غُصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهْ أَلَسْتُ أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَأُسْرَةً... |
| وَأَمْنَعَهُمْ جَارًا إِذَا ضِيمَ جَانِبُهْ وَمَا وَلَدَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ وَآلِهِ... |
| كَمِثْلِي حَصَانٌ فِي الرِّجَالِ يُقَارِبُهْ وَبَيْتِي إِلَى جَنْبِ الثُّرَيَّا فِنَاؤُهُ... |
| وَمِنْ دُونِهِ الْبَدْرُ الْمُضِيءُ كَوَاكِبُهْ أَنَا ابْنُ الْجِبَالِ الشُّمِّ فِي عَدَدِ الْحَصَى... |
| وَعِرْقُ الثَّرَى عِرْقِي فَمَنْ ذَا يُحَاسِبُهْ ؟ |
| وَكَمْ مِنْ أَبٍ لِي يَا مُعَاوِيَ لَمْ يَزَلْ... |
| أَغَرَّ يُبَارِي الرِّيحَ مَا ازْوَرَّ جَانِبُهْ نَمَتْهُ فُرُوعُ الْمَالِكَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ... |
| أَبُوكَ الَّذِي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يُقَارِبُهْ تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى... |
| كَرِيمًا يُلَاقِي الْمَجْدَ مَا طَرَّ شَارِبُهْ طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ مُذْ كَانَ لَمْ يَكُنْ... |
| قُصَيٌّ وَعَبْدُ الشَّمْسِ مِمَّنْ يُخَاطِبُهْ يُرِيدُ بِالْمَالِكَيْنِ مَالِكَ بْنَ حَنْظَلَةَ وَمَالِكَ بْنَ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَهُمَا جَدَّاهُ. |
| لِأَنَّ الْفَرَزْدَقَ بْنَ غَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ مُعَاوِيَةَ شِعْرُهُ رَدَّ عَلَى أَهْلِهِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَأَغْضَبَتْ أَيْضًا زِيَادًا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَعْدَتْ عَلَيْهِ نَهْشَلٌ وَفُقَيْمٌ ازْدَادَ غَضَبًا فَهَرَبَ وَأَتَى عِيسَى بْنَ خُصَيْلَةَ السُّلَمِيَّ لَيْلًا وَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ طَلَبَنِي وَقَدْ لَفِظَنِي النَّاسُ وَقَدْ أَتَيْتُكَ لِتُغَيِّبَنِي عِنْدَكَ. |
| فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ. |
| فَكَانَ عِنْدَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ قَدْ بَدَا لِي أَنْ آتِيَ الشَّامَ ، فَسَيَّرَهُ. |
| وَبَلَغَ زِيَادًا مَسِيرُهُ فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِهِ ، فَلَمْ يُدْرَكْ ، وَأَتَى الرَّوْحَاءَ فَنَزَلَ فِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَأَمِنَ وَمَدَحَهُمْ بِقَصَائِدَ. |
| ثُمَّ كَانَ زِيَادٌ إِذَا نَزَلَ الْبَصْرَةَ نَزَلَ الْفَرَزْدَقُ الْكُوفَةَ ، وَإِذَا نَزَلَ الْكُوفَةَ نَزَلَ الْفَرَزْدَقُ الْبَصْرَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ زِيَادًا فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدٍ ، يَأْمُرُهُ بِطَلَبِ الْفَرَزْدَقِ ، فَفَارَقَ الْكُوفَةَ نَحْوَ الْحِجَازِ ، فَاسْتَجَارَ بِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَأَجَارَهُ فَمَدَحَهُ الْفَرَزْدَقُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِالْمَدِينَةِ مَرَّةً وَبِمَكَّةَ مَرَّةً حَتَّى هَلَكَ زِيَادٌ. |
| وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْفَرَزْدَقَ إِنَّمَا قَالَ هَذَا الشِّعْرَ لِأَنَّ الْحُتَاتَ لَمَّا أَسْلَمَ آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا مَاتَ الْحُتَاتُ بِالشَّامِ وَرِثَهُ مُعَاوِيَةُ بِتِلْكَ الْأُخُوَّةِ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ هَذَا الشِّعْرَ ، وَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ يَجْهَلُ أَنَّ الْأُخُوَّةَ لَا يَرِثُ بِهَا أَحَدٌ. |
| الْحُتَاتُ بِضَمِّ الْحَاءِ وَبِتَائَيْنِ مُثَنَّاتَيْنِ مِنْ فَوْقِهِمَا ، بَيْنَهُمَا أَلْفٌ . |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو بِمَرْوَ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ غَزْوَةِ جَبَلِ الْأَشَلِّ فِي قَوْلٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ وَفَاتِهِ فِي قَوْلٍ آخَرَ ، وَكَانَ زِيَادٌ قَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ أَمَرَنِي أَنْ أَصْطَفِيَ لَهُ الصَّفْرَاءَ وَالْبَيْضَاءَ فَلَا تَقْسِمْ بَيْنَ النَّاسِ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَكَمُ بَلَغَنِي مَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنِّي وَجَدْتُ كِتَابَ اللَّهِ قَبْلَ كِتَابِهِ ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا عَلَى عَبْدٍ ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ اغْدُوا إِلَى أَعْطِيَاتِكُمْ وَمَالِكُمْ ، فَقَسَّمَهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ. |
| فَتُوُفِّيَ بِمَرْوَ. |
| وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُعَاوِيَةُ ، وَقِيلَ بَلْ حَجَّ ابْنُهُ يَزِيدُ ، وَكَانَ الْعُمَّالُ عَلَى الْبِلَادِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِالْعَقِيقِ فَحُمِلَ عَلَى الرِّقَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدُفِنَ بِهَا ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ، وَعُمُرُهُ أَرْبَعٌ وَسَبْعُونَ ، وَقِيلَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشَرَةِ ، وَكَانَ قَصِيرًا دَحْدَاحًا. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ تُوُفِّيَتْ أَيَّامَ عُمَرَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ. |
| وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، تُوُفَّيَ بِالْبَصْرَةِ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَفِيهَا تُوُفِّيَ زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ الْجُهَنِيُّ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ ، وَقِيلَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مِدْلَاجُ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُلُّهُمْ لَهُ صُحْبَةٌ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَفِيهَا كَانَ مَشْتَى فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ ، وَغَزْوَةُ بُسْرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ الصَّائِفَةَ. |
| ذِكْرُ مَقْتَلِ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وَعَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ وَأَصْحَابِهِمَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَصْحَابُهُ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ اسْتَعْمَلَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ عَلَى الْكُوفَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، فَلَمَّا أَمَّرَهُ عَلَيْهَا دَعَاهُ وَقَالَ لَهُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا ، وَقَدْ يُجْزِي عَنْكَ الْحَكِيمُ بِغَيْرِ التَّعْلِيمِ ، وَقَدْ أَرَدْتُ إِيصَاءَكَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ أَنَا تَارِكُهَا اعْتِمَادًا عَلَى بَصَرِكَ ، وَلَسْتُ تَارِكًا إِيصَاءَكَ بِخَصْلَةٍ لَا تَتْرُكُ شَتْمَ عَلِيٍّ وَذَمَّهُ ، وَالتَّرَحُّمَ عَلَى عُثْمَانَ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ ، وَالْعَيْبَ لِأَصْحَابِ عَلِيٍّ وَالْإِقْصَاءَ لَهُمْ ، وَالْإِطْرَاءَ بِشِيعَةِ عُثْمَانَ وَالْإِدْنَاءَ لَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ قَدْ جَرَّبْتُ وَجَرَّبْتُ ، وَعَمِلْتُ قَبْلَكَ لِغَيْرِكَ فَلَمْ يَذْمُمْنِي ، وَسَتَبْلُو فَتَحْمَدُ أَوْ تَذُمُّ. |
| فَقَالَ بَلْ نَحْمَدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. |
| فَأَقَامَ الْمُغِيرَةُ عَامِلًا عَلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ أَحْسَنُ شَيْءٍ سِيرَةً ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَدَعُ شَتْمَ عَلِيٍّ وَالْوُقُوعَ فِيهِ وَالدُّعَاءَ لِعُثْمَانَ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ بَلْ إِيَّاكُمْ ذَمَّ اللَّهُ وَلَعَنَ! |
| ثُمَّ قَامَ وَقَالَ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ تَذُمُّونَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ ، وَمَنْ تُزَكُّونَ أَوْلَى بِالذَّمِّ. |
| فَيَقُولُ لَهُ الْمُغِيرَةُ يَا حُجْرُ اتَّقِ هَذَا السُّلْطَانَ وَغَضَبَهُ وَسَطْوَتَهُ ، فَإِنَّ غَضَبَ السُّلْطَانِ يُهْلِكُ أَمْثَالَكَ ، ثُمَّ يَكُفُّ عَنْهُ وَيَصْفَحُ. |
| فَلَمَّا كَانَ آخِرَ إِمَارَتِهِ قَالَ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ مَا كَانَ يَقُولُهُ ، فَقَامَ حُجْرٌ فَصَاحَ صَيْحَةً بِالْمُغِيرَةِ سَمِعَهَا كُلُّ مَنْ بِالْمَسْجِدِ وَقَالَ لَهُ مُرْ لَنَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِأَرْزَاقِنَا فَقَدْ حَبَسْتَهَا عَنَّا وَلَيْسَ ذَلِكَ لَكَ ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ مُولَعًا بِذَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَامَ أَكْثَرُ مِنْ ثُلُثَيِ النَّاسِ يَقُولُونَ صَدَقَ حُجْرٌ وَبَرَّ ، مُرْ لَنَا بِأَرْزَاقِنَا فَإِنَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ لَا يُجْدِي عَلَيْنَا نَفْعًا! |
| وَأَكْثَرُوا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ وَأَمْثَالِهِ. |
| فَنَزَلَ الْمُغِيرَةُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ وَدَخَلُوا وَقَالُوا عَلَامَ تَتْرُكُ هَذَا الرَّجُلَ يَجْتَرِئُ عَلَيْكَ فِي سُلْطَانِكَ وَيَقُولُ لَكَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فَيُوهِنُ سُلْطَانَكَ وَيُسْخِطُ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ ؟ |
| فَقَالَ لَهُمُ الْمُغِيرَةُ إِنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ ، سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمِيرٌ يَحْسَبُهُ مِثْلِي فَيَصْنَعُ بِهِ مَا تَرَوْنَهُ يَصْنَعُ بِي فَيَأْخُذُهُ وَيَقْتُلُهُ! |
| إِنِّي قَدْ قَرُبَ أَجَلِي وَلَا أُحِبُّ أَنَّ أَقْتُلَ خِيَارَ أَهْلِ هَذَا الْمِصْرِ فَيَسْعَدُوا وَأَشْقَى وَيَعِزَّ فِي الدُّنْيَا مُعَاوِيَةُ وَيَشْقَى فِي الْآخِرَةِ الْمُغِيرَةُ. |
| ثُمَّ تُوُفِّيَ الْمُغِيرَةُ وَوَلِيَ زِيَادٌ ، فَقَامَ فِي النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ عِنْدَ قُدُومِهِ ثُمَّ تَرَحَّمَ عَلَى عُثْمَانَ وَأَثْنَى عَلَى أَصْحَابِهِ وَلَعَنَ قَاتِلِيهِ. |
| فَقَامَ حُجْرٌ فَفَعَلَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بِالْمُغِيرَةِ. |
| وَرَجَعَ زِيَادٌ إِلَى الْبَصْرَةِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ حُجْرًا يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ شِيعَةُ عَلِيٍّ وَيُظْهِرُونَ لَعْنَ مُعَاوِيَةَ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُ وَأَنَّهُمْ حَصَبُوا عَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ ، فَشَخَصَ زِيَادٌ إِلَى الْكُوفَةِ حَتَّى دَخَلَهَا فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَحُجْرٌ جَالِسٌ ، ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ غَبَّ الْبَغْيِ وَالْغَيِّ وَخِيَمٌ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ جَمُّوا فَأَشِرُوا ، وَأَمِنُونِي فَاجْتَرَءُوا عَلَى اللَّهِ ، لَئِنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لَأُدَاوِيَنَّكُمْ بِدَوَائِكُمْ ، وَلَسْتُ بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعِ الْكُوفَةَ مِنْ حُجْرٍ ، وَأَدَعْهُ نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ ، وَيْلُ أُمِّكَ يَا حُجْرُ ، سَقَطَ الْعَشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانٍ. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى حُجْرٍ يَدْعُوهُ وَهُوَ بِالْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ رَسُولُ زِيَادٍ يَدْعُوهُ قَالَ أَصْحَابُهُ لَا تَأْتِهِ وَلَا كَرَامَةَ. |
| فَرَجَعَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَ زِيَادًا ، فَأَمَرَ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ ، وَهُوَ شَدَّادُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْهِلَالِيُّ ، أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً فَفَعَلَ ، فَسَبَّهُمْ أَصْحَابُ حُجْرٍ ، فَرَجَعُوا وَأَخْبَرُوا زِيَادًا ، فَجَمَعَ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَقَالَ تَشُجُّونَ بِيَدٍ وَتَأْسَوْنَ بِأُخْرَى! |
| أَبْدَانُكُمْ مَعِي وَقُلُوبُكُمْ مَعَ حُجْرٍ الْأَحْمَقِ! |
| هَذَا وَاللَّهِ مِنْ دَحْسِكُمْ! |
| وَاللَّهِ لَيُظْهِرَنَّ لِي بَرَاءَتَكُمْ أَوْ لَآتِيَنَّكُمْ بِقَوْمٍ أُقِيمُ بِهِمْ أَوَدَكُمْ وَصَعَرَكُمْ! |
| فَقَالُوا مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لَنَا رَأْيٌ إِلَّا طَاعَتَكَ وَمَا فِيهِ رِضَاكَ ، قَالَ فَلْيَقُمْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ فَلْيَدْعُ مَنْ عِنْدَ حُجْرٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَأَهْلِهِ. |
| فَفَعَلُوا وَأَقَامُوا أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ عَنْهُ. |
| وَقَالَ زِيَادٌ لِصَاحِبِ شُرْطَتِهِ انْطَلِقْ إِلَى حُجْرٍ فَإِنْ تَبِعَكَ فَأْتِنِي بِهِ وَإِلَّا فَشُدُّوا عَلَيْهِمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى تَأْتُونِي بِهِ. |
| فَأَتَاهُ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ يَدْعُوهُ ، فَمَنَعَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ إِجَابَتِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ أَبُو الْعَمَرَّطَةِ الْكِنْدِيُّ لِحُجْرٍ إِنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ مَنْ مَعَهُ سَيْفٌ غَيْرِي وَمَا يُغْنِي عَنْكَ سَيْفِي ، قُمْ فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ يَمْنَعُكَ قَوْمُكَ وَزِيَادٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، وَغَشِيَهُمْ أَصْحَابُ زِيَادٍ ، وَضَرَبَ رَجُلٌ مِنَ الْحَمْرَاءِ رَأْسَ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ بِعَمُودِهِ فَوَقَعَ ، وَحَمَلَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى الْأَزْدِ فَاخْتَفَى عِنْدَهُمْ حَتَّى خَرَجَ ، وَانْحَازَ أَصْحَابُ حُجْرٍ إِلَى أَبْوَابِ كِنْدَةَ ، وَضَرَبَ بَعْضُ الشُّرْطَةِ يَدَ عَائِذِ بْنِ حَمْلَةَ التَّمِيمِيِّ وَكَسَرَ نَابَهُ وَأَخَذَ عَمُودًا مِنْ بَعْضِ الشُّرَطِ فَقَاتَلَ بِهِ وَحَمَى حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ أَبْوَابِ كِنْدَةَ ، وَأَتَى حُجْرٌ بَغْلَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَمَرَّطَةِ ارْكَبْ فَقَدْ قَتَلْتَنَا وَنَفْسَكَ. |
| وَحَمَلَهُ حَتَّى أَرْكَبَهُ ، وَرَكِبَ أَبُو الْعَمَرَّطَةِ فَرَسَهُ ، وَلَحِقَهُ يَزِيدُ بْنُ طَرِيفٍ الْمُسْلِيُّ فَضَرَبَ أَبَا الْعَمَرَّطَةِ عَلَى فَخِذِهِ بِالْعَمُودِ ، وَأَخَذَ أَبُو الْعَمَرَّطَةِ سَيْفَهُ فَضَرَبَ بِهِ رَأْسَهُ فَسَقَطَ ، ثُمَّ بَرَأَ ، وَلَهُ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ السَّلُولِيُّ أَلُؤَمُ ابْنَ لُؤْمٍ مَا عَدَا بِكَ حَاسِرًا... |
| إِلَى بَطَلٍ ذِي جُرْأَةٍ وَشَكِيمِ مُعَاوَدِ ضَرْبِ الدَّارِعِينَ بِسَيْفِهِ... |
| عَلَى الْهَامِ عِنْدَ الرَّوْعِ غَيْرَ لَئِيمِ إِلَى فَارِسِ الْغَارَيْنِ يَوْمَ تَلَاقَيَا... |
| بِصِفِّينَ قَرْمٍ خَيْرُ نَجْلِ قُرُومِ حَسِبْتَ ابْنَ بَرْصَاءَ الْحِتَارِ قِتَالَهُ... |
| قِتَالَكَ زَيْدًا يَوْمَ دَارِ حَكِيمِ وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ أَوَّلَ سَيْفٍ ضُرِبَ بِهِ فِي الْكُوفَةِ فِي اخْتِلَافٍ بَيْنَ النَّاسِ. |
| وَمَضَى حُجْرٌ وَأَبُو الْعَمَرَّطَةِ إِلَى دَارِ حُجْرٍ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ كِنْدَةَ كَثِيرُ أَحَدٍ فَأَرْسَلَ زِيَادٌ ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، مَذْحِجًا وَهَمْدَانَ إِلَى جَبَّانَةِ كِنْدَةَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوهُ بِحُجْرٍ ، وَأَرْسَلَ سَائِرَ أَهْلِ الْيَمَنِ إِلَى جَبَّانَةِ الصَّائِدِينَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْضُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ حُجْرٍ فَيَأْتُوهُ بِهِ ، فَفَعَلُوا ، فَدَخَلَ مَذْحِجٌ وَهَمْدَانُ إِلَى جَبَّانَةِ كِنْدَةَ فَأَخَذُوا كُلَّ مَنْ وَجَدُوا ، فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ زِيَادٌ. |
| فَلَمَّا رَأَى حُجْرٌ قِلَّةَ مَنْ مَعَهُ أَمَرَهُمْ بِالِانْصِرَافِ وَقَالَ لَهُمْ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِمَنْ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ وَمَا أُحِبُّ أَنْ تَهْلِكُوا. |
| فَخَرَجُوا ، فَأَدْرَكَهُمْ مَذْحِجٌ وَهَمْدَانُ فَقَاتَلُوهُمْ وَأَسَرُوا قَيْسَ بْنَ يَزِيدَ وَنَجَا الْبَاقُونَ ، فَأَخَذَ حُجْرٌ طَرِيقًا إِلَى بَنِي حُوتٍ فَدَخَلَ دَارَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمُ بْنُ يَزِيدَ ، وَأَدْرَكَهُ الطَّلَبُ فَأَخَذَ سُلَيْمٌ سَيْفَهُ لِيُقَاتِلَ ، فَبَكَتْ بَنَاتُهُ ، فَقَالَ حُجْرٌ بِئْسَ مَا أَدْخَلْتُ عَلَى بَنَاتِكَ إِذًا! |
| قَالَ وَاللَّهِ لَا تُؤْخَذُ مِنْ دَارِي أَسِيرًا وَلَا قَتِيلًا وَأَنَا حَيٌّ فَخَرَجَ حُجْرٌ مِنْ خَوْخَةٍ فِي دَارِهِ فَأَتَى النَّخَعَ فَنَزَلَ دَارَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَخِي الْأَشْتَرِ ، فَأَحْسَنَ لِقَاءَهُ. |
| فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ إِذْ قِيلَ لَهُ إِنَّ الشُّرَطَ تَسْأَلُ عَنْكَ فِي النَّخَعِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَمَةً سَوْدَاءَ لَقِيَتْهُمْ فَقَالَتْ مَنْ تَطْلُبُونَ ؟ |
| فَقَالُوا حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ. |
| فَقَالَتْ هُوَ فِي النَّخَعِ. |
| فَخَرَجَ حُجْرٌ مِنْ عِنْدِهِ فَأَتَى الْأَزْدَ فَاخْتَفَى عِنْدَ رَبِيعَةَ بْنِ نَاجِدٍ. |
| فَلَمَّا أَعْيَاهُمْ طَلَبُهُ دَعَا زِيَادٌ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ وَقَالَ لَهُ وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنِّي بِهِ أَوْ لَأَقْطَعَنَّ كُلَّ نَخْلَةٍ لَكَ وَأَهْدِمُ دُورَكَ ثُمَّ لَا تَسْلَمُ مِنِّي حَتَّى أُقَطِّعَكَ إِرَبًا إِرَبًا. |
| فَاسْتَمْهَلَهُ ، فَأَمْهَلَهُ ثَلَاثًا وَأَحْضَرَ قَيْسَ بْنَ يَزِيدَ أَسِيرًا ، فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، قَدْ عَرَفْتُ رَأْيَكَ فِي عُثْمَانَ وَبَلَاءَكَ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِصِفِّينَ وَأَنَّكَ إِنَّمَا قَاتَلْتَ مَعَ حُجْرٍ حَمِيَّةً وَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ وَلَكِنِ ائْتِنِي بِأَخِيكَ عُمَيْرٍ. |
| فَاسْتَأْمَنَ لَهُ مِنْهُ عَلَى مَالِهِ وَدَمِهِ ، فَأَمَّنَهُ ، فَأَتَاهُ بِهِ وَهُوَ جَرِيحٌ فَأَثْقَلَهُ حَدِيدًا ، وَأَمَرَ الرِّجَالَ أَنْ يَرْفَعُوهُ وَيُلْقُوهُ ، فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ مِرَارًا ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ يَزِيدَ لِزِيَادٍ أَلَمْ تُؤَمِّنْهُ ؟ |
| قَالَ بَلَى قَدْ أَمَّنْتُهُ عَلَى دَمِهِ وَلَسْتُ أُهَرِيقُ لَهُ دَمًا. |
| ثُمَّ ضَمَّنَهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ. |
| وَمَكَثَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ فِي بَيْتِ رَبِيعَةَ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، فَأَرْسَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ يَقُولُ لَهُ لِيَأْخُذْ لَهُ مِنْ زِيَادٍ أَمَانًا حَتَّى يَبْعَثَ بِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ. |
| فَجَمَعَ مُحَمَّدٌ جَمَاعَةً ، مِنْهُمْ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَحُجْرُ بْنُ يَزِيدَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو الْأَشْتَرِ ، فَدَخَلُوا عَلَى زِيَادٍ فَاسْتَأْمَنُوا لَهُ عَلَى أَنْ يُرْسِلَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَأَجَابَهُمْ فَأَرْسَلُوا إِلَى حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ فَحَضَرَ عِنْدَ زِيَادٍ ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ مَرْحَبًا بِكَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَرْبٌ أَيَّامَ الْحَرْبِ ، وَحَرْبٌ وَقَدْ سَالَمَ النَّاسُ ، عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ ، فَقَالَ حُجْرٌ مَا خَلَعْتُ طَاعَةً ، وَلَا فَارَقْتُ جَمَاعَةً ، وَإِنِّي عَلَى بَيْعَتِي. |
| فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ. |
| فَلَمَّا وَلَّى قَالَ زِيَادٌ وَاللَّهِ لَأَحْرِصَنَّ عَلَى قَطْعِ خَيْطِ رَقَبَتِهِ وَطَلَبَ أَصْحَابَهُ ، فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ حَتَّى أَتَى الْمَوْصِلَ وَمَعَهُ رِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ فَاخْتَفَيَا بِجَبَلٍ هُنَاكَ ، فَرُفِعَ خَبَرُهُمَا إِلَى عَامِلِ الْمَوْصِلِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمَا فَخَرَجَا إِلَيْهِ ، فَأَمَّا عَمْرٌو فَكَانَ قَدِ اسْتَسْقَى بَطْنَهُ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ امْتِنَاعٌ ، وَأَمَّا رِفَاعَةٌ فَكَانَ شَابًّا قَوِيًّا فَرَكِبَ فَرَسَهُ لِيُقَاتِلَ عَنْ عَمْرٍو ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو مَا يَنْفَعُنِي قِتَالُكَ عَنِّي ؟ |
| انْجُ بِنَفْسِكَ! |
| فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَأَفْرَجُوا لَهُ ، فَنَجَا ، وَأُخِذَ عَمْرٌو أَسِيرًا ، فَسَأَلُوهُ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| فَقَالَ مَنْ إِنْ تَرَكْتُمُوهُ كَانَ أَسْلَمَ لَكُمْ ، وَإِنْ قَتَلْتُمُوهُ كَانَ أَضَرَّ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ. |
| فَبَعَثُوهُ إِلَى عَامِلِ الْمَوْصِلِ ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ الثَّقَفِيُّ الَّذِي يُعْرَفُ بِابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ مُعَاوِيَةَ ، فَعَرَفَهُ فَكَتَبَ فِيهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ طَعَنَ عُثْمَانَ تِسْعَ طَعَنَاتٍ بِمَشَاقِصَ مَعَهُ ، فَاطْعَنْهُ كَمَا طَعَنَ عُثْمَانَ فَأُخْرِجَ وَطُعِنَ ، فَمَاتَ فِي الْأُولَى مِنْهُنَّ أَوِ الثَّانِيَةِ. |
| وَجَدَّ زِيَادٌ فِي طَلَبِ أَصْحَابِ حُجْرٍ فَهَرَبُوا ، وَأَخَذَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ. |
| فَأُتِيَ بِقَبِيصَةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ الْعَبْسِيِّ بِأَمَانٍ فَحَبَسَهُ ، وَجَاءَ قَيْسُ بْنُ عَبَّادٍ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ امْرَأً مِنَّا يُقَالُ لَهُ صَيْفِيٌّ مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِ حُجْرٍ. |
| فَبَعَثَ زِيَادٌ فَأُتِيَ بِهِ ، فَقَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي أَبِي تُرَابٍ ؟ |
| قَالَ مَا أَعْرِفُ أَبَا تُرَابٍ فَقَالَ مَا أَعْرَفَكَ بِهِ! |
| أَتَعْرِفُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ فَذَاكَ أَبُو تُرَابٍ قَالَ كَلَّا ، ذَاكَ أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ يَقُولُ الْأَمِيرُ هُوَ أَبُو تُرَابٍ وَتَقُولُ لَا! |
| قَالَ فَإِنْ كَذَبَ الْأَمِيرُ أَكْذِبُ أَنَا ، وَأَشْهَدُ عَلَى بَاطِلٍ كَمَا شَهِدَ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ وَهَذَا أَيْضًا ، عَلَيَّ بِالْعَصَا ، فَأُتِيَ بِهَا ، فَقَالَ مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ ؟ |
| قَالَ أَحْسَنَ قَوْلٍ قَالَ اضْرِبُوهُ ، حَتَّى لَصِقَ بِالْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ أَقْلِعُوا عَنْهُ ، مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ ؟ |
| قَالَ وَاللَّهِ لَوْ شَرَّحْتَنِي بِالْمَوَاسِي مَا قُلْتُ فِيهِ إِلَّا مَا سَمِعْتَ مِنِّي قَالَ لَتَلْعَنَنَّهُ أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ! |
| قَالَ لَا أَفْعَلُ. |
| فَأَوْثَقُوهُ حَدِيدًا وَحَبَسُوهُ. |
| قِيلَ وَعَاشَ قَيْسُ بْنُ عَبَّادٍ حَتَّى قَاتَلَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي مَوَاطِنِهِ. |
| ثُمَّ دَخَلَ الْكُوفَةَ فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ ، فَقَالَ حَوْشَبٌ لِلْحَجَّاجِ إِنَّ هُنَا امْرَأً صَاحِبَ فِتَنٍ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ بِالْعِرَاقِ إِلَّا وَثَبَ فِيهَا ، وَهُوَ تُرَابِيٌّ يَلْعَنُ عُثْمَانَ ، وَقَدْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ حَتَّى هَلَكَ ، وَقَدْ جَاءَ فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ. |
| فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ بَنُو أَبِيهِ لِآلِ حَوْشَبٍ سَعَيْتُمْ بِصَاحِبِنَا! |
| فَقَالُوا وَأَنْتُمْ أَيْضًا سَعَيْتُمْ بِصَاحِبِنَا ، يَعْنِي صَيْفِيًّا الشَّيْبَانِيَّ. |
| وَأَرْسَلَ زِيَادٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفَةَ الطَّائِيِّ ، فَتَوَارَى ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الشُّرَطُ فَأَخَذُوهُ ، فَخَرَجَتْ أُخْتُهُ النَّوَارُ فَحَرَّضَتْ طَيِّئًا ، فَثَارُوا بِالشُّرَطِ وَخَلَّصُوهُ فَرَجَعُوا إِلَى زِيَادٍ فَأَخْبَرُوهُ ، فَأَخَذَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ ائْتِنِي بِعَبْدِ اللَّهِ! |
| قَالَ وَمَا حَالُهُ ؟ |
| فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي بِهَذَا! |
| قَالَ لَتَأْتِيَنِّي بِهِ قَالَ لَا آتِيكَ بِهِ أَبَدًا ، آتِيكَ بِابْنِ عَمِّي تَقْتُلُهُ! |
| وَاللَّهِ لَوْ كَانَ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْهُ! |
| فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ ، فَلَمْ يَبْقَ بِالْكُوفَةِ يَمَنِيٌّ وَلَا رِبْعِيٌّ إِلَّا كَلَّمَ زِيَادًا وَقَالُوا تَفْعَلُ هَذَا بِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ |
| فَقَالَ فَإِنِّي أُخْرِجُهُ عَلَى شَرْطِ أَنْ يُخْرِجَ ابْنَ عَمِّهِ عَنِّي فَلَا يَدْخُلُ الْكُوفَةَ مَا دَامَ لِي سُلْطَانٌ فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ عَدِيٌّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ يُعَرِّفُهُ مَا كَانَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا ، وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى عَدِيٍّ لِيَشْفَعَ فِيهِ لِيَعُودَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَعَدِيٌّ يُمَنِّيهِ ، فَمِمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ وَيَرْثِي حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ قَوْلُهُ تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالشَّبِيبَةَ أَعْصُرَا... |
| وَذِكْرُ الصِّبَا بَرْحٌ عَلَى مَنْ تَذَكَّرَا وَوَلَّى الشَّبَابُ فَافْتَقَدْتُ غُصُونَهُ... |
| فَيَا لَكَ مِنْ وَجْدٍ بِهِ حِينَ أَدْبَرَا فَدَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الشَّبَابِ وَفَقْدَهُ... |
| وَأَسْبَابَهُ إِذْ بَانَ عَنْكَ فَأَجْمَرَا وَبَكِّ عَلَى الْخُلَّانِ لَمَّا تُخُرِّمُوا... |
| وَلَمْ يَجِدُوا عَنْ مَنْهَلِ الْمَوْتِ مَصْدَرَا دَعَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ وَمَنْ حَانَ يَوْمُهُ... |
| مِنَ النَّاسِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ يُؤَخَّرَا أُولَئِكَ كَانُوا شِيعَةً لِي وَمَوْئِلًا... |
| إِذَا الْيَوْمُ أُلْفِي ذَا احْتِدَامٍ مُذَكَّرَا وَمَا كُنْتُ أَهْوَى بَعْدَهُمْ مُتَعَلِّلَا... |
| بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا أَنْ أُعَمَّرَا أَقُولُ وَلَا وَاللَّهِ أَنْسَى ادِّكَارَهُمْ... |
| سَجِيسَ اللَّيَالِي أَوْ أَمُوتَ فَأُقْبَرَا عَلَى أَهْلِ عَذْرَاءَ السَّلَامُ مُضَاعَفًا... |
| مِنَ اللَّهِ وَلْيَسْقِ الْغَمَامَ الْكَنَهْوَرَا وَلَاقَى بِهَا حُجْرٌ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً... |
| فَقَدْ كَانَ أَرْضَى اللَّهَ حُجْرٌ وَأَعْذَرَا وَلَا زَالَ تَهْطَالٌ مُلِثٌّ وَدِيمَةٌ... |
| عَلَى قَبْرِ حُجْرٍ أَوْ يُنَادَى فَيُحْشَرَا فَيَا حُجْرُ مَنْ لِلْخَيْلِ تُدْمَى نُحُورُهَا... |
| وَلِلْمَلِكِ الْمُغْزِي إِذَا مَا تَغَشْمَرَا وَمَنْ صَادِعٌ بِالْحَقِّ بَعْدَكَ نَاطِقٌ بِتَقْوَى وَمَنْ إِنْ قِيلَ بِالْجَوْرِ غَيَّرَا... |
| فَنَعِمَ أَخُو الْإِسْلَامِ كُنْتَ وَإِنَّنِي لَأَطْمَعُ أَنْ تُؤْتَى الْخُلُودَ وَتُحْبَرَا... |
| وَقَدْ كُنْتَ تُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ وَتَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَتُنْكِرُ مُنْكَرًا... |
| فَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ هُمَيْمٍ عُصِمْتُمَا وَيُسِّرْتُمَا لِلصَّالِحَاتِ فَأَبْشِرَا... |
| وَيَا أَخَوَيَّ الْخِنْدِفِيَّيْنِ أَبْشِرَا بِمَا مَعَنَا حُيِّيتُمَا أَنْ تُتَبَّرَا... |
| وَيَا إِخْوَتَا مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَغَالِبٍ وَشَيْبَانَ لُقِّيتُمْ حِسَابًا مُيَسَّرَا... |
| سَعِدْتُمْ فَلَمْ أَسْمَعْ بِأَصْوَبَ مِنْكُمُ حِجَاجًا لَدَى الْمَوْتِ الْجَلِيلِ وَأَصْبَرَا... |
| سَأَبْكِيكُمْ مَا لَاحَ نَجْمٌ وَغَرَّدَ الْ حَمَامُ بِبَطْنِ الْوَادِيَيْنِ وَقَرْقَرَا... |
| فَقُلْتُ وَلَمْ أَظْلِمْ أَغَوْثَ بْنَ طَيِّئٍ مَتَّى كَنْتَ أَخْشَى بَيْنَكُمْ أَنْ أُسَيَّرَا... |
| هُبِلْتُمْ أَلَا قَاتَلْتُمْ عَنْ أَخِيكُمُ وَقَدْ دُثَّ حَتَّى مَالَ ثُمَّ تَجَوَّرَا... |
| تَفَرَّجْتُمْ عَنِّي فَغُودِرْتُ مُسْلَمًا كَأَنِّي غَرِيبٌ مِنْ إِيَادٍ وَأَعْصُرَا... |
| فَمَنْ لَكُمْ مِثْلِي لَدَى كُلِّ غَارَةٍ وَمَنْ لَكُمْ مِثْلِي إِذَا الْبَأْسُ أَصْحَرَا... |
| وَمَنْ لَكُمْ مِثْلِي إِذَا الْحَرْبُ قَلَّصَتْ وَأَوْضَعَ فِيهَا الْمُسْتَمِيتُ وَشَمَّرَا... |
| فَهَا أَنَا ذَا آوِي بِأَجْبَالِ طَيِّئٍ طَرِيدًا فَلَوْ شَاءَ الْإِلَهُ لَغَيَّرَا نَفَانِي عَدُوِّي ظَالِمًا عَنْ مُهَاجِرِي... |
| رَضِيتُ بِمَا شَاءَ الْإِلَهُ وَقَدَّرَا وَأَسْلَمَنِي قَوْمِي بِغَيْرِ جِنَايَةٍ... |
| كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا لِي قَبِيلًا وَمَعْشَرَا فَإِنَّ أُلْفَ فِي دَارٍ بِأَجْبَالِ طَيِّئٍ... |
| وَكَانَ مُعَانًا مِنْ عُصَيْرٍ وَمَحْضَرًا فَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أُرَى مُتَغَرِّبًا... |
| لَحَى اللَّهُ مَنْ لَاحَى عَلَيْهِ وَكَثَّرَا لَحَى اللَّهُ قَيْلَ الْحَضْرَمِيِّينَ وَائِلًا... |
| وَلَاقَى الْقَنَانِي بِالسِّنَانِ الْمُؤَمَّرَا وَلَاقَى الرَّدَى الْقَوْمُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا... |
| عَلَيْنَا وَقَالُوا قَوْلَ زُورٍ وَمُنْكَرَا فَلَا يَدَعُنِي قَوْمٌ لِغَوْثِ بْنِ طَيِّئٍ... |
| لَئِنْ دَهْرُهُمْ أَشَفَى بِهِمْ وَتَغَيَّرَا فَلَمْ أَغْزُهُمْ فِي الْمَعْلَمَيْنِ وَلَمْ أُثِرْ... |
| عَلَيْهِمْ عَجَاجًا بِالْكُوَيْفَةِ أَكْدَرَا فَبَلِّغْ خَلِيلِي إِنْ رَحَلْتَ مُشَرِّقًا... |
| جَدِيلَةَ وَالْحَيَّيْنِ مَعْنًا وَبُحْتَرَا وَنَبْهَانَ وَالْأَفْنَاءَ مِنْ جِذْمِ طَيِّئٍ... |
| أَلَمْ أَكُ فِيكُمْ ذَا الْغَنَاءِ الْعَشَنْزَرَا أَلَمْ تَذْكُرُوا يَوْمَ الْعُذَيْبِ أَلِيَّتِي... |
| أَمَامَكُمُ أَنْ لَا أُرَى الدَّهْرَ مُدْبِرَا وَكَرِّي عَلَى مِهْرَانَ وَالْجَمْعُ حَابِسٌ... |
| وَقَتْلِي الْهُمَامَ الْمُسْتَمِيتَ الْمُسَوَّرَا وَيَوْمَ جَلُولَاءِ الْوَقِيعَةِ لَمْ أُلَمْ... |
| وَيَوْمَ نَهَاوَنْدِ الْفُتُوحِ وَتُسْتَرَا وَتَنْسَوْنَنِي يَوْمَ الشَّرِيعَةِ وَالْقَنَا... |
| بِصِفِّينَ فِي أَكْتَافِهِمْ قَدْ تَكَسَّرَا جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ بِرَفْضِي وَخِذْلَانِي جَزَاءً مُوَفَّرَا... |
| أَتَنْسَى بَلَائِي سَادِرًا يَا ابْنَ حَاتِمٍ عَشِيَّةَ مَا أَغْنَتْ عَدِيُّكَ حَزْمَرَا... |
| فَدَافَعْتُ عَنْكَ الْقَوْمَ حَتَّى تَخَاذَلُوا وَكُنْتُ أَنَا الْخَصْمَ الْأَلَدَّ الْعَذَوَّرَا... |
| تَوَلَّوْا وَمَا قَامُوا مَقَامِي كَأَنَّمَا رَأَوْنِي لَيْثًا بِالْأَبَاءَةِ مُخْدِرَا... |
| نَصَرْتُكَ إِذْ خَانَ الْقَرِيبُ وَأَبْعَطَ الْ بَعِيدُ وَقَدْ أَفْرَدْتُ نَصْرًا مُؤَزَّرَا... |
| فَكَانَ جَزَائِي أَنْ أُجَرَّرَ بَيْنَكُمْ سَحِيبًا وَأَنْ أُولَى الْهَوَانَ وَأُوسَرَا... |
| وَكَمْ عِدَةٍ لِي مِنْكَ أَنَّكَ رَاجِعِي فَلَمْ تُغْنِ بِالْمِيعَادِ عَنِّيَ حَبْتَرَا... |
| فَأَصْبَحْتُ أَرْعَى النِّيبَ طَوْرًا وَتَارَةً أُهَرْهِرُ إِنْ رَاعِي الشُّوَيْهَاتِ هَرْهَرَا... |
| كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِغَارَةٍ وَلَمْ أَتْرُكِ الْقَرْنَ الْكَمِيَّ مُقَطَّرَا... |
| وَلَمْ أَعْتَرِضْ بِالسَّيْفِ مِنْكُمْ مُغِيرَةً إِذِ النِّكْسُ مَشَّى الْقَهْقَرَى ثُمَّ جَرْجَرَا... |
| وَلَمْ أَسْتَحِثَّ الرَّكْضَ فِي إِثْرِ عُصْبَةٍ مُيَمِّمَةٍ عُلْيَا سِجَاسٍ وَأَبْهَرَا... |
| وَلِمَ أُذْعِرِ الْأَبْلَامَ مِنِّي بِغَارَةٍ كَوِرْدِ الْقَطَا ثُمَّ انْحَدَرْتُ مُظَفَّرَا... |
| وَلَمْ أَرَ فِي خَيْلٍ تُطَاعِنُ مِثْلَهَا بِقَزْوِينَ أَوْ شَرْوِينَ أَوْ أُغْرِ كَيْدَرَا... |
| فَذَلِكَ دَهْرٌ زَالَ عَنِّي حَمِيدُهُ وَأَصْبَحَ لِي مَعْرُوفُهُ قَدْ تَنَكَّرَا فَلَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ عَاتِبًا... |
| وَكُنْتُ الْمُضَاعَ فِيهِمُ وَالْمُكَفَّرَا وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ... |
| وَإِنْ كُنْتُ عَنْهُمْ نَائِيَ الدَّارِ مُحْصَرَا وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فَعَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ مَعَ عَدِيٍّ فِي وَقْعَةِ صِفِّينَ ، فَلِهَذَا لَمْ نَذْكُرْهُ هَاهُنَا. |
| فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بِالْجَبَلَيْنِ قَبْلَ مَوْتِ زِيَادٍ ، ثُمَّ أُتِيَ زِيَادٌ بِكَرِيمِ بْنِ عَفِيفٍ الْخَثْعَمِيِّ مِنْ أَصْحَابِ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ ، فَقَالَ مَا اسْمُكَ ؟ |
| قَالَ كَرِيمُ بْنُ عَفِيفٍ قَالَ مَا أَحْسَنَ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ وَأَسْوَأَ عَمَلَكَ وَرَأْيَكَ! |
| فَقَالَ لَهُ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ عَهْدَكَ بِرَأْيِي مُنْذُ قَرِيبٍ. |
| قَالَ وَجَمَعَ زِيَادٌ مِنْ أَصْحَابِ عَدِيٍّ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فِي السِّجْنِ ثُمَّ دَعَا رُؤَسَاءَ الْأَرْبَاعِ يَوْمَئِذٍ ، وَهُمْ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ عَلَى رَبْعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَخَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ عَلَى رَبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ ، وَقَيْسُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى رَبْعِ رَبِيعَةَ وَكِنْدَةَ ، وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى عَلَى رَبْعِ مَذْحِجٍ وَأَسَدٍ ، فَشَهِدَ هَؤُلَاءِ أَنَّ حُجْرًا جَمَعَ إِلَيْهِ الْجُمُوعَ وَأَظْهَرَ شَتْمَ الْخَلِيفَةِ وَدَعَا إِلَى حَرْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا فِي آلِ أَبِي طَالِبٍ ، وَوَثَبَ بِالْمِصْرِ ، وَأَخْرَجَ عَامِلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَظْهَرَ عُذْرَ أَبِي تُرَابٍ وَالتَّرَحُّمَ عَلَيْهِ وَالْبَرَاءَةَ مِنْ عَدُوِّهِ وَأَهْلِ حَرْبِهِ ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ الَّذِينَ مَعَهُ هُمْ رُءُوسُ أَصْحَابِهِ عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ. |
| وَنَظَرَ زِيَادٌ فِي شَهَادَةِ الشُّهُودِ وَقَالَ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةٍ ، فَدَعَا النَّاسَ لِيَشْهَدُوا عَلَيْهِ ، فَشَهِدَ إِسْحَاقُ وَمُوسَى ابْنَا طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَعُمَارَةُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَكُتِبَ فِي الشُّهُودِ شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ الْقَاضِي وَشُرَيْحُ بْنُ هَانِئٍ ، فَأَمَّا شُرَيْحُ بْنُ هَانِئٍ فَكَانَ يَقُولُ مَا شَهِدْتُ وَقَدْ لُمْتُهُ. |
| ثُمَّ دَفَعَ زِيَادٌ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ وَأَصْحَابَهُ إِلَى وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ الْحَضْرَمِيِّ وَكَثِيرِ بْنِ شِهَابٍ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَسِيرَا بِهِمْ إِلَى الشَّامِ ، فَخَرَجُوا عَشِيَّةً ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْغَرِيَّيْنِ لَحِقَهُمْ شُرَيْحُ بْنُ هَانِئٍ وَأَعْطَى وَائِلًا كِتَابًا وَقَالَ أَبْلِغْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخَذَهُ ، وَسَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا بِهِمْ إِلَى مَرْجِ عَذْرَاءَ عِنْدَ دِمَشْقَ ، وَكَانُوا حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ الْكِنْدِيَّ ، وَالْأَرْقَمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيَّ ، وَشَرِيكَ بْنَ شَدَّادٍ الْحَضْرَمِيَّ ، وَصَيْفِيَّ بْنَ فَسِيلٍ الشَّيْبَانِيَّ ، وَقَبِيصَةَ بْنَ ضُبَيْعَةَ الْعَبْسِيَّ ، وَكَرِيمَ بْنَ عَفِيفٍ الْخَثْعَمِيَّ ، وَعَاصِمَ بْنَ عَوْفٍ الْبَجَلِيَّ ، وَوَرْقَاءَ بْنَ سُمَعِيٍّ الْبَجَلِيَّ ، وَكِدَامَ بْنَ حَيَّانَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَّانَ الْعَنَزِيَّيْنِ ، وَمُحْرِزَ بْنَ شِهَابٍ التَّمِيمِيَّ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَوِيَّةَ السَّعْدِيَّ التَّمِيمِيَّ ، فَهَؤُلَاءِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، وَأَتْبَعَهُمْ زِيَادٌ بِرَجُلَيْنِ ، هُمَا عُتْبَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ مِنْ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ نَمِرَانَ الْهَمْدَانِيُّ ، فَتَمُّوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا. |
| فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ وَكَثِيرِ بْنِ شِهَابٍ ، فَأَدْخَلَهُمَا وَأَخَذَ كِتَابَهُمَا فَقَرَأَهُ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ وَائِلٌ كِتَابَ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ ، فَإِذَا فِيهِ بَلَغَنِي أَنَّ زِيَادًا كَتَبَ شَهَادَتِي ، وَإِنَّ شَهَادَتِي عَلَى حُجْرٍ أَنَّهُ مِمَّنْ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيُدِيمُ الْحَجَّ وَالْعُمُرَةَ وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَرَامُ الدَّمِ وَالْمَالِ ، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْتُلْهُ وَإِنْ شِئْتَ فَدَعْهُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَا أَرَى هَذَا إِلَّا قَدْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ شَهَادَتِكُمْ وَحَبَسَ الْقَوْمَ بِمَرْجِ عَذْرَاءَ. |
| فَوَصَلَ إِلَيْهِمُ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ أَلْحَقَهُمَا زِيَادٌ بِحُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَا سَارَ عَامِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْعِجْلِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ لِيُعْلِمَهُ بِهِمَا ، فَقَامَ إِلَيْهِ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ فِي قُيُودِهِ فَقَالَ لَهُ أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ أَنَّ دِمَاءَنَا عَلَيْهِ حَرَامٌ ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّا قَدْ أُومِنَّا وَصَالَحْنَاهُ وَصَالَحَنَا ، وَأَنَّا لَمْ نَقْتُلْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَيَحِلَّ لَهُ دِمَاؤُنَا. |
| فَدَخَلَ عَامِرٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِالرَّجُلَيْنِ ، فَقَامَ يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ الْبَجَلِيُّ فَاسْتَوْهَبَهُ ابْنَيْ عَمِّهِ ، وَهُمَا عَاصِمٌ وَوَرْقَاءُ ، وَكَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ قَدْ كَتَبَ فِيهِمَا يُزَكِّيهِمَا وَيَشْهَدُ لَهُمَا بِالْبَرَاءَةِ مِمَّا شُهِدَ عَلَيْهِمَا ، فَأَطْلَقَهُمَا مُعَاوِيَةُ ، وَشَفَعَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ فِي الْأَرْقَمِ فَتَرَكَهُ لَهُ وَشَفَعَ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ فِي عُتْبَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ فَتَرَكَهُ ، وَشَفَعَ حُمْرَةُ بْنُ مَالِكٍ الْهَمْدَانِيُّ فِي سَعْدِ بْنِ نَمِرَانَ فَوَهَبَهُ لَهُ ، وَشَفَعَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي ابْنِ حَوِيَّةَ فَتَرَكَهُ لَهُ ، وَقَامَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ فَقَالَ دَعْ لِيَ ابْنَ عَمِّي حُجْرًا. |
| فَقَالَ لَهُ هُوَ رَأْسُ الْقَوْمِ وَأَخَافُ إِنْ خَلَّيْتُ سَبِيلَهُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ مِصْرَهُ فَنَحْتَاجُ أَنْ نُشْخِصَكَ إِلَيْهِ بِالْعِرَاقِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتَنِي يَا مُعَاوِيَةُ! |
| قَاتَلْتُ مَعَكَ ابْنَ عَمِّكَ يَوْمَ صِفِّينَ حَتَّى ظَفِرْتَ ، وَعَلَا كَعْبُكَ وَلَمْ تَخَفِ الدَّوَائِرَ ، ثُمَّ سَأَلْتُكَ ابْنَ عَمِّي فَمَنَعْتَنِي! |
| ثُمَّ انْصَرَفَ فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ. |
| فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ هُدْبَةَ بْنَ فَيَّاضٍ الْقُضَاعِيَّ ، وَالْحُصَيْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكِلَابِيَّ ، وَأَبَا شَرِيفٍ الْبَدِّيَّ إِلَى حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ لِيَقْتُلُوا مَنْ أُمِرُوا بِقَتْلِهِ مِنْهُمْ ، فَأَتَوْهُمُ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَلَمَّا رَأَى الْخَثْعَمِيُّ أَحَدَهُمْ أَعْوَرَ قَالَ يَقْتُلُ نِصْفَنَا وَيَتْرُكُ نِصْفَنَا ، فَتَرَكُوا سِتَّةً وَقَتَلُوا ثَمَانِيَةً ، وَقَالُوا لَهُمْ قَبْلَ الْقَتْلِ إِنَّا قَدْ أُمِرْنَا أَنْ نَعْرِضَ عَلَيْكُمُ الْبَرَاءَةَ مِنْ عَلِيٍّ وَاللَّعْنَ لَهُ ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ تَرَكْنَاكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ قَتَلْنَاكُمْ فَقَالُوا لَسْنَا فَاعِلِي ذَلِكَ. |
| فَأَمَرَ فَحُفِرَتِ الْقُبُورُ وَأُحْضِرَتِ الْأَكْفَانُ وَقَامَ حُجْرٌ وَأَصْحَابُهُ يُصَلُّونَ عَامَّةَ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَدَّمُوهُمْ لِيَقْتُلُوهُمْ فَقَالَ لَهُمْ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ اتْرُكُونِي أَتَوَضَّأُ وَأُصَلِّي فَإِنِّي مَا تَوَضَّأْتُ إِلَّا صَلَّيْتُ ، فَتَرَكُوهُ ، فَصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْهَا وَقَالَ وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُ صَلَاةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْهَا ، وَلَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا فِيَّ جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعْدِيكَ عَلَى أُمَّتِنَا! |
| فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ شَهِدُوا عَلَيْنَا ، وَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ يَقْتُلُونَنَا ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُونِي بِهَا فَإِنِّي لَأَوَّلُ فَارِسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَلَكَ فِي وَادِيهَا ، وَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَبَحَتْهُ كِلَابُهَا! |
| ثُمَّ مَشَى إِلَيْهِ هُدْبَةُ بْنُ فَيَّاضٍ بِالسَّيْفِ فَارْتَعَدَ ، فَقَالُوا لَهُ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ ، فَابْرَأْ مِنْ صَاحِبِكَ وَنَدَعُكَ فَقَالَ وَمَا لِي لَا أَجْزَعُ وَأَرَى قَبْرًا مَحْفُورًا ، وَكَفَنًا مَنْشُورًا ، وَسَيْفًا مَشْهُورًا! |
| وَإِنِّي وَاللَّهِ إِنْ جَزِعْتُ مِنَ الْقَتْلِ لَا أَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ. |
| فَقَتَلُوهُ وَقَتَلُوا سِتَّةً. |
| فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ الْعَنْزِيَّ وَكَرِيمٌ الْخَثْعَمِيُّ ابْعَثُوا بِنَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَنَحْنُ نَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مِثْلَ مَقَالَتِهِ فَاسْتَأْذَنُوا مُعَاوِيَةَ فِيهِمَا ، فَأَذِنَ بِإِحْضَارِهِمَا فَلَمَّا دَخَلَا عَلَيْهِ قَالَ الْخَثْعَمِيُّ اللَّهَ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ! |
| فَإِنَّكَ مَنْقُولٌ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الزَّائِلَةِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ الدَّائِمَةِ ، ثُمَّ مَسْئُولٌ عَمَّا أَرَدْتَ بِسَفْكِ دِمَائِنَا! |
| فَقَالَ لَهُ مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ ؟ |
| قَالَ أَقُولُ فِيهِ قَوْلَكَ قَالَ أَتَبَرَّأُ مِنْ دِينِ عَلِيٍّ الَّذِي يَدِينُ اللَّهَ بِهِ ؟ |
| فَسَكَتَ ، وَقَامَ شَمِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ بَنِي قُحَافَةَ بْنِ خَثْعَمَ فَاسْتَوْهَبَهُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ عَلَى أَنْ لَا يَدْخُلَ الْكُوفَةَ ، فَاخْتَارَ الْمَوْصِلَ ، فَكَانَ يَقُولُ لَوْ مَاتَ مُعَاوِيَةُ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ ، فَمَاتَ قَبْلَ مُعَاوِيَةَ بِشَهْرٍ ثُمَّ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ يَا أَخَا رَبِيعَةَ مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ ؟ |
| قَالَ دَعْنِي وَلَا تَسْأَلْنِي فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قَالَ وَاللَّهِ لَا أَدَعُكَ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهُ تَعَالَى كَثِيرًا ، مِنَ الْآمِرِينَ بِالْحَقِّ وَالْقَائِمَيْنِ بِالْقِسْطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ قَالَ فَمَا قَوْلُكَ فِي عُثْمَانَ ؟ |
| قَالَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ أَبْوَابَ الظُّلْمِ ، وَأَغْلَقَ أَبْوَابَ الْحَقِّ قَالَ قَتَلْتَ نَفْسَكَ! |
| قَالَ بَلْ إِيَّاكَ قَتَلْتُ ، وَلَا رَبِيعَةَ بِالْوَادِي ، يَعْنِي لِيَشْفَعُوا فِيهِ ، فَرَدَّهُ مُعَاوِيَةُ إِلَى زِيَادٍ وَأَمْرَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ شَرَّ قِتْلَةٍ ، فَدَفَنَهُ حَيًّا. |
| فَكَانَ الَّذِينَ قُتِلُوا حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَشَرِيكُ بْنُ شَدَّادٍ الْحَضْرَمِيُّ ، وَصَيْفِيُّ بْنُ فَسِيلٍ الشَّيْبَانِيُّ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْعَبْسِيُّ ، وَمُحْرِزُ بْنُ شِهَابٍ السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ ، وَكِدَامُ بْنُ حَيَّانَ الْعَنْزِيُّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ الْعَنْزِيُّ الَّذِي دَفَنَهُ زِيَادٌ حَيًّا ، فَهَؤُلَاءِ السَّبْعَةُ قُتِلُوا وَدُفِنُوا وَصُلِّيَ عَلَيْهِمْ. |
| قِيلَ وَلَمَّا بَلَغَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَتْلُ حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ صَلَّوْا عَلَيْهِمْ وَكَفَّنُوهُمْ وَدَفَنُوهُمْ وَاسْتَقْبَلُوا بِهِمُ الْقِبْلَةَ ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ. |
| قَالَ حَجَّوْهُمْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ! |
| وَأَمَّا مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ فَحِينَ لَمْ يُشَفِّعْهُ مُعَاوِيَةُ فِي حُجْرٍ جَمَعَ قَوْمَهُ وَسَارَ بِهِمْ إِلَى عَذْرَاءَ لِيُخَلِّصَ حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ ، فَلَقِيَتْهُ قَتَلَتُهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ عَلِمُوا أَنَّهُ جَاءَ لِيُخَلِّصَ حُجْرًا ، فَقَالَ لَهُمْ مَا وَرَاءَكُمْ ؟ |
| قَالُوا قَدْ تَابَ الْقَوْمُ وَجِئْنَا لِنُخْبِرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَسَكَتَ وَسَارَ إِلَى عَذْرَاءَ ، فَلَقِيَهُ بَعْضُ مَنْ جَاءَ مِنْهَا فَأَخْبَرَهُ بِقَتْلِ الْقَوْمِ ، فَأَرْسَلَ الْخَيْلَ فِي إِثْرِ قَتَلَتِهِمْ فَلَمْ يُدْرِكُوهُمْ ، وَدَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّمَا هِيَ حَرَارَةٌ يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ وَكَأَنَّهَا طُفِئَتْ ، وَعَادَ مَالِكٌ إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَأْتِ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ مَا مَنَعَنِي أَنْ أُشَفِّعَكَ إِلَّا خَوْفًا أَنْ يُعِيدُوا لَنَا حَرْبًا ، فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ حُجْرٍ. |
| فَأَخَذَهَا وَطَابَتْ نَفْسُهُ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ حُجْرٍ عَائِشَةَ أَرْسَلَتْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ قَتَلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْنَ غَابَ عَنْكَ حُلْمُ أَبِي سُفْيَانَ ؟ |
| قَالَ حِينَ غَابَ عَنِّي مِثْلُكَ مِنْ حُلَمَاءِ قَوْمِي وَحَمَلَنِي ابْنُ سُمَيَّةَ فَاحْتَمَلْتُ. |
| وَقَالَتْ عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّا لَمْ نُغَيِّرْ شَيْئًا إِلَّا صَارَتْ بِنَا الْأُمُورُ إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ لَغَيَّرَنَا قَتْلُ حُجْرٍ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ لَمُسْلِمًا حَجَّاجًا مُعْتَمِرًا. |
| وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ أَرْبَعُ خِصَالٍ كُنَّ فِي مُعَاوِيَةَ ، لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ لَكَانَتْ مُوبِقَةً انْتِزَاؤُهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى أَخَذَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ ، وَفِيهِمْ بَقَايَا الصَّحَابَةِ وَذَوُو الْفَضِيلَةِ ، وَاسْتِخْلَافُهُ بَعْدَهُ ابْنَهُ سِكِّيرًا خِمِّيرًا ، يَلْبَسُ الْحَرِيرَ وَيَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ ، وَادِّعَاؤُهُ زِيَادًا ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ » ، وَقَتْلُهُ حُجْرًا وَأَصْحَابَ حُجْرٍ ، فَيَا وَيْلًا لَهُ مِنْ حُجْرٍ! |
| وَيَا وَيْلًا لَهُ مِنْ حُجْرٍ وَأَصْحَابِ حُجْرٍ! |
| قِيلَ وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ أَوَّلُ ذُلٍّ دَخَلَ الْكُوفَةَ مَوْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَقَتْلُ حُجْرٍ ، وَدَعْوَةُ زِيَادٍ ، وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّةُ تَرْثِي حُجْرًا ، وَكَانَتْ تَتَشَيَّعُ تَرَفَّعْ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ... |
| تَبَصَّرْ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ يَسِيرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ... |
| لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ تَجَبَّرَتِ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ... |
| وَطَابَ لَهَا الْخَوَرْنَقُ وَالسَّدِيرُ وَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ لَهُ مُحُولًا... |
| كَأَنَّ لَمْ يُحْيِهَا مُزْنٌ مَطِيرُ أَلَا يَا حُجْرُ حُجْرَ بَنِي عَدِيٍّ... |
| تَلَقَّتْكَ السَّلَامَةُ وَالسُّرُورُ أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أَرْدَى عَدِيًّا... |
| وَشَيْخًا فِي دِمَشْقَ لَهُ زَئِيرُ فَإِنْ تَهْلِكْ فَكُلُّ زَعِيمِ قَوْمٍ... |
| مِنَ الدُّنْيَا إِلَى هُلْكٍ يَصِيرُ وَقَدْ قِيلَ فِي قَتْلِهِ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ وَهُوَ أَنَّ زِيَادًا خَطَبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَأَطَالَ الْخُطْبَةَ وَأَخَّرَ الصَّلَاةَ ، فَقَالَ لَهُ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ الصَّلَاةُ. |
| فَمَضَى فِي خُطْبَتِهِ. |
| فَقَالَ لَهُ الصَّلَاةُ فَمَضَى فِي خُطْبَتِهِ. |
| فَلَمَّا خَشِيَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ فَوْتَ الصَّلَاةِ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى كَفٍّ مِنْ حَصَى وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ فَلَمَّا رَأَى زِيَادٌ ذَلِكَ نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَكَثَّرَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ لِيَشُدَّهُ فِي الْحَدِيدِ وَيُرْسِلَهُ إِلَيْهِ. |
| فَلَمَّا أَرَادَ أَخْذَهُ قَامَ قَوْمُهُ لِيَمْنَعُوهُ ، فَقَالَ حُجْرٌ لَا وَلَكِنْ سَمْعًا وَطَاعَةً فَشُدَّ فِي الْحَدِيدِ وَحُمِلَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا ؟ |
| وَاللَّهِ لَا أُقِيلُكَ وَلَا أَسَتَقِيلُكَ! |
| أَخْرِجُوهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ! |
| فَقَالَ حُجْرٌ لِلَّذِينِ يَلُونَ أَمْرَهُ دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالُوا صَلِّ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفَّفَ فِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا بِي غَيْرَ الَّذِي أَرَدْتُ لَأَطَلْتُهَا ، وَقَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ لَا تُطْلِقُوا عَنِّي حَدِيدًا وَلَا تَغْسِلُوا عَنِّي دَمًا ، فَإِنِّي لَاقٍ مُعَاوِيَةَ غَدًا عَلَى الْجَادَّةِ ، وَضُرِبَتْ عُنُقُهُ قَالَ فَلَقِيَتْ عَائِشَةُ مُعَاوِيَةَ فَقَالَتْ لَهُ أَيْنَ كَانَ حِلْمُكَ عَنْ حُجْرٍ ؟ |
| فَقَالَ لَمْ يَحْضُرْنِي رَشِيدٌ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ بَلَغَنَا أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَعَلَ يَقُولُ يَوْمِي مِنْكَ يَا حُجْرُ طَوِيلٌ! |
| عُبَادٌ بِضَمِّ الْعَيْنِ ، وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَتَخْفِيفِهَا . |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ الرَّبِيعِ عَلَى خُرَاسَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ زِيَادٌ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ أَمِيرًا عَلَى خُرَاسَانَ ، وَكَانَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ قَدِ اسْتَخْلَفَ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَسَ بْنَ أَبِي أُنَاسٍ ، فَعَزَلَهُ زِيَادٌ وَوَلَّى خُلَيْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنَفِيَّ ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ أَوَّلَ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسَيَّرَ مَعَهُ خَمْسِينَ أَلْفًا بِعِيَالَاتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، مِنْهُمْ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ ، وَأَبُو بَرْزَةَ ، وَلَهُمَا صُحْبَةٌ ، فَسَكَنُوا خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا غَزَا بَلْخَ فَفَتَحَهَا صُلْحًا ، وَكَانَتْ قَدْ أُغْلِقَتْ بَعْدَمَا صَالَحَهُمُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ. |
| وَفَتَحَ قُهِسْتَانَ عَنْوَةً وَقَتَلَ مَنْ بِنَاحِيَتِهَا مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ نَيْزَكُ طَرْخَانَ ، فَقَتَلَهُ قُتَيْبَةَ بْنُ مُسْلِمٍ فِي وِلَايَتِهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهَا مَاتَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ ، وَقِيلَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ وَأَبُو بَكْرَةَ نُفَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ ، لَهُ صُحْبَةٌ ، وَهُوَ أَخُو زِيَادٍ لِأُمِّهِ. |
| وَفِيهَا مَاتَتْ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَرِفَ ، وَفِيهَا دَخَلَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ مَاتَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ، وَقِيلَ سِتٍّ وَسِتِّينَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَكَانَ الْعُمَّالُ بِهَذِهِ السَّنَةِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| بُرَيْدَةُ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ. |
| وَالْحُصَيْبُ بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ سُفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ الْأَسَدِيِّ الرُّومَ وَشَتَّى بِأَرْضِهِمْ ، وَتُوُفِّيَ بِهَا فِي قَوْلٍ ، فَاسْتُخْلِفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِيُّ ، وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي شَتَّى هَذِهِ السَّنَةَ بِأَرْضِ الرُّومِ بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ وَمَعَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ ، وَغَزَا الصَّائِفَةَ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ زِيَادِ بْنِ خِرَاشٍ الْعِجْلِيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ زِيَادُ بْنُ خِرَاشٍ الْعِجْلِيُّ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ فَأَتَى أَرْضَ مَسْكِنَ مِنَ السَّوَادِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ زِيَادٌ خَيْلًا عَلَيْهَا سَعْدُ بْنُ حُذَيْفَةَ أَوْ غَيْرُهُ ، فَقَتَلُوهُمْ وَقَدْ صَارُوا إِلَى مَاهٍ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ مُعَاذٍ الطَّائِيِّ وَخَرَجَ عَلَى زِيَادٍ أَيْضًا رَجُلٌ مِنْ طَيِّئٍ يُقَالُ لَهُ مُعَاذٌ ، فَأَتَى نَهْرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا هَذِهِ السَّنَةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ زِيَادٌ مَنْ قَتَلَهُ وَأَصْحَابَهُ ، وَقِيلَ بَلْ حَلَّ لِوَاءَهُ وَاسْتَأْمَنَ . |
| وَيُقَالُ لَهُمْ أَصْحَابُ نَهْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَكَانَ الْعُمَّالُ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْخُزَاعِيُّ بِالْبَصْرَةِ وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَاسْمُهُ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ عِنْدَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَكَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ، وَلَهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ فِيهَا كَانَ مَشْتَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ الثَّقَفِيِّ بِأَرْضِ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا فُتِحَتْ رُودِسُ ، جَزِيرَةٌ فِي الْبَحْرِ ، فَتَحَهَا جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْأَزْدِيُّ وَنَزَلَهَا الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ عَلَى حَذَرٍ مِنَ الرُّومِ ، وَكَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَى الرُّومِ ، يَعْتَرِضُونَهُمْ فِي الْبَحْرِ فَيَأْخُذُونَ سُفُنَهُمْ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُدِرُّ لَهُمُ الْعَطَاءَ ، وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ خَافَهُمْ. |
| فَلَمَّا تُوُفِّيَ مُعَاوِيَةُ أَقْفَلَهُمُ ابْنُهُ يَزِيدُ. |
| وَقِيلَ فُتِحَتْ سَنَةَ سِتِّينَ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ زِيَادٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ بِالْكُوفَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ . |
| وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ إِنِّي قَدْ ضَبَطْتُ الْعِرَاقَ بِشِمَالِي وَيَمِينِي فَارِغَةٌ فَاشْغَلْهَا بِالْحِجَازِ. |
| فَكَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ عَلَى الْحِجَازِ ، فَبَلَغَ أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَتَى نَفَرٌ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ أَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقَبَلَ الْقِبْلَةَ وَدَعَا وَدَعَوْا مَعَهُ ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنَا شَرَّ زِيَادٍ . |
| فَخَرَجَتْ طَاعُونَةٌ عَلَى أُصْبُعِ يَمِينِهِ فَمَاتَ مِنْهَا. |
| فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا شُرَيْحًا الْقَاضِيَ فَقَالَ لَهُ قَدْ حَدَثَ مَا تَرَى وَقَدْ أُمِرْتُ بِقَطْعِهَا فَأَشِرْ عَلَيَّ فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْأَجَلُ قَدْ دَنَا فَتَلْقَى اللَّهَ أَجْذَمَ وَقَدْ قَطَعْتَ يَدَكَ كَرَاهِيَةَ لِقَائِهِ ، أَوْ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَجَلِ تَأْخِيرٌ فَتَعِيشُ أَجْذَمَ وَتُعَيَّرُ وَلَدُكَ فَقَالَ لَا أَبِيتُ وَالطَّاعُونَ فِي لِحَافٍ وَاحِدٍ ، فَخَرَجَ شُرَيْحٌ مِنْ عِنْدِهِ ، فَسَأَلَهُ النَّاسُ ، فَأَخْبَرَهُمْ ، فَلَامُوهُ وَقَالُوا هَلَّا أَشَرْتَ بِقَطْعِهَا ؟ |
| فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ. |
| وَأَرَادَ زِيَادٌ قَطْعَهَا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى النَّارِ وَالْمَكَاوِي جَزِعَ وَتَرَكَهُ ، وَقِيلَ بَلْ تَرَكَهُ لَمَّا أَشَارَ عَلَيْهِ شُرَيْحٌ بِتَرْكِهِ ، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لَهُ ابْنُهُ قَدْ هَيَّأْتُ لَكَ سِتِّينَ ثَوْبًا أُكَفِّنُكَ بِهَا. |
| فَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ قَدْ دَنَا مِنْ أَبِيكَ لِبَاسٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْ لِبَاسِهِ هَذَا أَوْ سَلْبٌ سَرِيعٌ! |
| فَمَاتَ فَدُفِنَ بِالثُّوَيَّةِ إِلَى جَانِبِ الْكُوفَةِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ مَوْتُهُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ اذْهَبِ ابْنَ سُمَيَّةَ ، لَا الْآخِرَةَ أَدْرَكْتَ وَلَا الدُّنْيَا بَقَيْتَ عَلَيْكَ. |
| وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى مِنَ الْهِجْرَةِ ، قَالَ مِسْكِينٌ الدَّارِمِيُّ يَرْثِيهِ رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ... |
| جِهَارًا حِينَ وَدَّعَنَا زِيَادُ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يُجِيبُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ هَجَا زِيَادًا حَتَّى مَاتَ أَمَسْكَيْنُ أَبْكَى اللَّهُ عَيْنَيْكَ إِنَّمَا... |
| جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا فَتَحَدَّرَا بَكَيْتَ امْرَأً مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ كَافِرًا... |
| كَكِسْرَى عَلَى عِدَّانِهِ أَوْ كَقَيْصَرَا أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيُّهُ... |
| بِهِ لَا بِظَبْيٍ بِالصَّرِيمَةِ أَعْفَرَا وَكَانَ زِيَادٌ فِيهِ حُمْرَةٌ ، وَفِي عَيْنِهِ الْيُمْنَى انْكِسَارٌ ، أَبْيَضَ اللِّحْيَةِ مَخْرُوطَهَا ، عَلَيْهِ قَمِيصٌ رُبَّمَا رَقَّعَهُ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الرَّبِيعِ وَفِيهَا مَاتَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ عَامِلُ خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ زِيَادٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ سَخِطَ قَتْلَ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ حَتَّى إِنَّهُ قَالَ لَا تَزَالُ الْعَرَبُ تُقْتَلُ صَبْرًا بَعْدَهُ ، وَلَوْ نَفَرَتْ عِنْدَ قَتْلِهِ لَمْ يُقْتَلْ رَجُلٌ مِنْهُمْ صَبْرًا ، وَلَكِنَّهَا أَقَرَّتْ فَذَلَّتْ ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ جُمُعَةً ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُ الْحَيَاةَ وَإِنِّي دَاعٍ بِدَعْوَةٍ فَأَمِّنُوا! |
| ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ عَاجِلًا! |
| وَأَمَّنَ النَّاسُ ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَا تَوَارَتْ ثِيَابُهُ حَتَّى سَقَطَ فَحُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَاسْتُخْلِفَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ، ثُمَّ مَاتَ ابْنُهُ بَعْدَهُ بِشَهْرَيْنِ وَاسْتُخْلِفَ خُلَيْدُ بْنُ يَرْبُوعٍ الْحَنَفِيُّ ، فَأَقَرَّهُ زِيَادٌ. |
| وَلَمَّا مَاتَ زِيَادٌ كَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ ، وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، فَأَقَرَّ سَمُرَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَقِيلَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ عَزَلَهُ مُعَاوِيَةُ ، فَقَالَ سَمُرَةُ لَعَنَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ! |
| وَاللَّهِ لَوْ أَطَعْتُ اللَّهَ كَمَا أَطَعْتُهُ مَا عَذَّبَنِي أَبَدًا. |
| وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَمُرَةَ فَأَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ، فَأَمَرَ سَمُرَةُ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ ، فَمَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى الأعلى ، قَالَ وَمَا مَاتَ سَمُرَةُ حَتَّى أَخَذَهُ الزَّمْهَرِيرُ فَمَاتَ شَرَّ مِيتَةٍ. |
| الثُّوَيَّةُ بِضَمِّ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ، وَفَتْحِ الْوَاوِ وَالْيَاءِ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مَوْضِعٌ فِيهِ مَقْبَرَةٌ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ حَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَكَانَ عَامِلَ الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ سَمُرَةُ وَعَلَى خُرَاسَانَ خُلَيْدُ بْنُ يَرْبُوعٍ الْحَنَفِيُّ. |
| أَسِيدٌ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُعْجَمَةِ بِاثْنَتَيْنِ مِنْ تَحْتِهَا . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فِي نَوْمَةٍ نَامَهَا ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى صَنْعَاءَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ الْأَنْصَارِيُّ. |
| وَفِيهَا مَاتَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ بِدِمَشْقَ ، وَكَانَ قَاضِيهَا لِمُعَاوِيَةَ ، وَقِيلَ مَاتَ آخَرَ أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، شَهِدَ أُحُدًا وَمَا بَعْدَهَا. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ذِكْرُ غَزْوَةِ الرُّومِ وَفَتْحِ جَزِيرَةِ أَرْوَادَ فِيهَا كَانَ مَشْتَى مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ بِأَرْضِ الرُّومِ ، وَصَائِفَةُ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ السُّلَمِيِّ. |
| وَفِيهَا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ وَمُقَدِّمُهُمْ جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ جَزِيرَةَ أَرْوَادَ ، قَرِيبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَأَقَامُوا بِهَا سَبْعَ سِنِينَ ، وَكَانَ مَعَهُمْ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ ، فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ وَوَلِيَ ابْنُهُ يَزِيدُ أَمَرَهُمْ بِالْعَوْدِ فَعَادُوا. |
| ذِكْرُ عَزْلِ سَعِيدٍ عَنِ الْمَدِينَةِ وَاسْتِعْمَالِ مَرْوَانَ وَفِيهَا عَزَلَ مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَاسْتَعْمَلَ مَرْوَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَنْ يَهْدِمَ دَارَ مَرْوَانَ وَيَقْبِضَ أَمْوَالَهُ كُلَّهَا لِيَجْعَلَهَا صَافِيَةً وَيَقْبِضَ مِنْهُ فَدَكَ ، وَكَانَ وَهَبَهَا لَهُ ، فَرَاجَعَهُ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي ذَلِكَ ، فَأَعَادَ مُعَاوِيَةُ الْكِتَابَ بِذَلِكَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ سَعِيدٌ وَوَضَعَ الْكِتَابَيْنِ عِنْدَهُ ، فَعَزَلَهُ مُعَاوِيَةُ ، وَوَلَّى مَرْوَانَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِقَبْضِ أَمْوَالِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهَدْمِ دَارِهِ ، فَأَخَذَ الْفَعَلَةَ وَسَارَ إِلَى دَارِ سَعِيدٍ لِيَهْدِمَهَا ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ أَتَهْدِمُ دَارِي ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، كَتَبَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ كَتَبَ إِلَيْكَ فِي هَدْمِ دَارِي لَفَعَلْتَ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ قَالَ بَلَى وَاللَّهِ قَالَ كَلَّا وَقَالَ لِغُلَامِهِ ائْتِنِي بِكِتَابِ مُعَاوِيَةَ ، فَجَاءَهُ بِالْكِتَابَيْنِ ، فَلَمَّا رَآهُمَا مَرْوَانُ قَالَ كَتَبَ إِلَيْكَ فَلَمْ تَفْعَلْ وَلَمْ تُعْلِمْنِي ؟ |
| فَقَالَ سَعِيدٌ مَا كُنْتُ لِأَمُنَّ عَلَيْكَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُحَرِّضَ بَيْنَنَا فَقَالَ مَرْوَانُ أَنْتَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنِّي. |
| وَعَادَ وَلَمْ يَهْدِمْ دَارَ سَعِيدٍ ، وَكَتَبَ سَعِيدٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ الْعَجَبُ مِمَّا صَنَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَا فِي قَرَابَتِنَا! |
| إِنَّهُ يُضْغِنُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ ، فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حِلْمِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى مَا يَكْرَهُ مِنَ الْأَخْبَثِينَ ، وَعَفْوِهِ وَإِدْخَالِهِ الْقَطِيعَةَ بَيْنَنَا وَالشَّحْنَاءَ ، وَتَوَارُثَ الْأَوْلَادِ ذَلِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ نَكُنْ أَوْلَادَ أَبٍ وَاحِدٍ لَمَا جَمَعَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نُصْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِنَا ، لَكَانَ حَقًّا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْعَى ذَلِكَ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ يَعْتَذِرُ مِنْ ذَلِكَ وَيَتَنَصَّلُ وَأَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى أَحْسَنِ مَا يَعْهَدُهُ. |
| وَقَدِمَ سَعِيدٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ مَرْوَانَ فَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ مَا بَاعَدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ ؟ |
| قَالَ خَافَنِي عَلَى شَرَفِهِ وَخِفْتُهُ عَلَى شَرَفِي قَالَ فَمَاذَا لَهُ عِنْدَكَ ؟ |
| قَالَ أُسِرُّهُ شَاهِدًا وَغَائِبًا. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ مُعَاوِيَةُ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ غَيْلَانَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ وِلَايَتِهِ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ مَنِ اسْتَعْمَلَ أَبُوكَ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ؟ |
| فَأَخْبَرُهُ ، فَقَالَ لَوِ اسْتَعْمَلَكَ أَبُوكَ لَاسْتَعْمَلْتُكَ. |
| فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ يَقُولَهَا لِي أَحَدٌ بَعْدَكَ لَوِ اسْتَعْمَلَكَ أَبُوكَ وَعَمُّكَ لَاسْتَعْمَلْتُكَ. |
| فَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ وَقَالَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُؤْثِرَنَّ عَلَى تَقْوَاهُ شَيْئًا ، فَإِنَّ فِي تَقْوَاهُ عِوَضًا ، وَوَفِّرْ عِرْضَكَ مِنْ أَنْ تُدَنِّسَهُ ، وَإِذَا أَعْطَيْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ ، وَلَا تَبِيعَنَّ كَثِيرًا بِقَلِيلٍ ، وَلَا يَخْرُجَنَّ مِنْكَ أَمْرٌ حَتَّى تُبْرِمَهُ ، فَإِذَا خَرَجَ فَلَا يُرَدَّنَّ عَلَيْكَ ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَغَلَبُوكَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَغْلِبُوكَ عَلَى بَطْنِهَا ، وَلَا تُطْعِمَنَّ أَحَدًا فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَلَا تُؤْيِسَنَّ أَحَدًا مِنْ حَقٍّ هُوَ لَهُ. |
| ثُمَّ وَدَّعَهُ وَكَانَ عُمُرُ عُبَيْدِ اللَّهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَسَارَ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَقَطَعَ النَّهْرَ إِلَى جِبَالِ بُخَارَى عَلَى الْإِبِلِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ جِبَالَ بُخَارَى فِي جَيْشٍ ، فَفَتَحَ رَامِيثَنَ وَنَصَفَ وَبِيكَنْدَ ، وَهِيَ مِنْ بُخَارَى ، فَمَنْ ثَمَّ أَصَابَ الْبُخَارِيَّةَ وَغَنِمَ مِنْهُمْ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَلَمَّا لَقِيَ التُّرْكَ وَهَزَمَهُمْ كَانَ مَعَ مَلِكِهِمْ زَوْجَتُهُ فَعَجَّلُوهَا عَنْ لُبْسِ خُفَّيْهَا فَلَبِسَتْ أَحَدَهُمَا وَبَقِيَ الْآخَرُ ، فَأَخْذَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَقُوِّمَ بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ قِتَالُهُ التُّرْكَ مِنْ زُحُوفِ خُرَاسَانَ الَّتِي تُذْكَرُ ، فَظَهَرَ مِنْهُ بَأْسٌ شَدِيدٌ ، وَأَقَامَ بِخُرَاسَانَ سَنَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ ، وَقِيلَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ غَيْلَانَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَعُمُرُهُ سَبْعُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَلِيٌّ وَكَبَّرَ عَلَيْهِ سَبْعًا ، وَشَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ حُرُوبَهُ كُلَّهَا ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ وَفِيهَا تُوُفِّيَ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى وَلَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً وَفِيهَا تُوُفِّيَ ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ أُسَامَةُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ سَعِيدُ بْنُ يَرْبُوعِ بْنِ عَنْكَثَةَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ مِائَةً وَأَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَهُ صُحْبَةٌ وَمَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، وَهُوَ مِنْ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ ، وَعُمُرُهُ مِائَةُ سَنَةٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ الْجُهَنِيُّ وَفِيهَا قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ الرُّهَاوِيُّ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَشْتَى سُفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ الْأَزْدِيِّ فِي قَوْلٍ ، وَقِيلَ بَلِ الَّذِي شَتَّى هَذِهِ السَّنَةَ عَمْرُو بْنُ مُحْرِزٍ ، وَقِيلَ بَلْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الْفَزَارِيُّ ، وَقِيلَ بَلْ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ ابْنِ زِيَادٍ الْبَصْرَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ غَيْلَانَ عَنِ الْبَصْرَةِ وَوَلَّاهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ خَطَبَ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ فَحَصَبَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ فَقَطَعَ يَدَهُ ، فَأَتَاهُ بَنُو ضَبَّةَ وَقَالُوا إِنَّ صَاحِبَنَا جَنَى مَا جَنَى وَقَدْ عَاقَبْتَهُ وَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَبْلُغَ خَبَرُنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيُعَاقِبَ عُقُوبَةً تَعُمُّ ، فَاكْتُبْ لَنَا كِتَابًا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَخْرُجُ بِهِ أَحَدُنَا إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ أَنَّكَ قَطَعْتَ عَلَى شُبْهَةٍ وَأَمْرٍ لَمْ يَتَّضِحْ فَكَتَبَ لَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ السَّنَةِ تَوَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَوَافَاهُ الضَّبِّيُّونَ بِالْكِتَابِ وَادَّعَوْا أَنَّهُ قَطَعَ صَاحِبَهُمَ ظُلْمًا فَلَمَّا رَأَى مُعَاوِيَةُ الْكِتَابَ قِيلَ أَمَّا الْقَوَدُ مِنْ عُمَّالِي فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ وَلَكِنْ أَدِي صَاحِبَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. |
| وَعَزَلَ عَبْدَ اللَّهِ عَنِ الْبَصْرَةِ وَاسْتَعْمَلَ ابْنَ زِيَادٍ عَلَيْهَا ، فَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ أَسْلَمَ بْنَ زُرْعَةَ الْكِلَابِيَّ ، فَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يَفْتَحْ بِهَا شَيْئًا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدٍ عَنِ الْكُوفَةِ وَوَلَّاهَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ وَقِيلَ مَا تَقَدَّمَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ الْمَخْزُومِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَفِي فِي دَارِهِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ ثَمَانِينَ سَنَةً وَزِيَادَةً ، وَقِيلَ مَاتَ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرَةَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْيُسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ ، وَشَهِدَ صِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ قَبْلُ . |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ فِيهَا كَانَ مَشْتَى جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بِأَرْضِ الرُّومِ ، وَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَسْعُودٍ. |
| وَقِيلَ غَزَا فِيهَا فِي الْبَحْرِ يَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ ، وَفِي الْبَرِّ عِيَاضُ بْنُ الْحَارِثِ وَاعْتَمَرَ مُعَاوِيَةُ فِيهَا فِي رَجَبٍ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. |
| ذِكْرُ الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بِوِلَايَةِ عَهْدِ أَبِيهِ. |
| وَكَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ وَأَوَّلُهُ مِنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ أَرَادَ أَنْ يَعْزِلَهُ عَنِ الْكُوفَةِ وَيَسْتَعْمِلَ عِوَضَهُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ الرَّأْيُ أَنْ أَشْخَصَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَسْتَعْفِيَهُ لِيَظْهَرَ لِلنَّاسِ كَرَاهَتِي لِلْوِلَايَةِ فَسَارَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ وَصَلَ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ أُكْسِبْكُمُ الْآنَ وِلَايَةً وَإِمَارَةً لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ قَدْ ذَهَبَ أَعْيَانُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلُهُ وَكُبَرَاءُ قُرَيْشٍ وَذَوُو أَسْنَانِهِمْ ، وَإِنَّمَا بَقِيَ أَبْنَاؤُهُمْ وَأَنْتَ مِنْ أَفْضَلِهِمْ وَأَحْسَنِهِمْ رَأْيًا وَأَعْلَمِهِمْ بِالسُّنَّةِ وَالسِّيَاسَةِ ، وَلَا أَدْرِي مَا يَمْنَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْقِدَ لَكَ الْبَيْعَةَ قَالَ أَوَتَرَى ذَلِكَ يَتِمُّ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| فَدَخَلَ يَزِيدُ عَلَى أَبِيهِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْمُغِيرَةُ ، فَأَحْضَرَ الْمُغِيرَةَ وَقَالَ لَهُ مَا يَقُولُ يَزِيدُ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَأَيْتَ مَا كَانَ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَالِاخْتِلَافِ بَعْدَ عُثْمَانَ ، وَفِي يَزِيدَ مِنْكَ خَلَفٌ ، فَاعْقِدْ لَهُ ، فَإِنْ حَدَثَ بِكَ حَادِثٌ كَانَ كَهْفًا لِلنَّاسِ وَخَلَفًا مِنْكَ ، وَلَا تُسْفَكُ دِمَاءٌ وَلَا تَكُونُ فِتْنَةٌ قَالَ وَمَنْ لِي بِهَذَا ؟ |
| قِيلَ أَكْفِيكَ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَيَكْفِيكَ زِيَادٌ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَلَيْسَ بَعْدَ هَذَيْنِ الْمِصْرَيْنِ أَحَدٌ يُخَالِفُكَ قَالَ فَارْجِعْ إِلَى عَمَلِكَ وَتَحَدَّثْ مَعَ مَنْ تَثِقُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَتَرَى وَنَرَى فَوَدَّعَهُ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالُوا مَهْ ؟ |
| قَالَ لَقَدْ وَضَعْتَ رِجْلَ مُعَاوِيَةَ فِي غَرْزٍ بَعِيدِ الْغَايَةِ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَفَتَقْتَ عَلَيْهِمْ فَتْقًا لَا يُرْتَقُ أَبَدًا ، وَتَمَثَّلَ بِمِثْلِي شَاهِدِي النَّجْوَى وَغَالِي... |
| بِيَ الْأَعْدَاءَ وَالْخَصْمَ الْغِضَابَا وَسَارَ الْمُغِيرَةُ حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ وَذَاكَرَ مَنْ يَثِقُ إِلَيْهِ وَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ شِيعَةٌ لِبَنِي أُمَيَّةَ أَمْرَ يَزِيدَ ، فَأَجَابُوا إِلَى بَيْعَتِهِ ، فَأَوْفَدَ مِنْهُمْ عَشَرَةً ، وَيُقَالُ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةٍ ، وَأَعْطَاهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ ابْنَهُ مُوسَى بْنَ الْمُغِيرَةِ ، وَقَدِمُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ فَزَيَّنُوا لَهُ بَيْعَةَ يَزِيدَ وَدَعَوْهُ إِلَى عَقْدِهَا فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَا تُعَجِّلُوا بِإِظْهَارِ هَذَا وَكُونُوا عَلَى رَأْيِكُمْ. |
| ثُمَّ قَالَ لِمُوسَى بِكَمِ اشْتَرَى أَبُوكَ مِنْ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ ؟ |
| قَالَ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا قَالَ لَقَدْ هَانَ عَلَيْهِمْ دِينُهُمْ. |
| وَقِيلَ أَرْسَلَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ ابْنَهُ عُرْوَةَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ قَامُوا خُطَبَاءَ فَقَالُوا إِنَّمَا أَشْخَصَهُمْ إِلَيْهِ النَّظَرَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَبِرَتْ سِنُّكَ وَخِفْنَا انْتِشَارَ الْحَبْلِ ، فَانْصِبْ لَنَا عَلَمًا وَحُدَّ لَنَا حَدًّا نَنْتَهِي إِلَيْهِ فَقَالَ أَشِيرُوا عَلِيَّ فَقَالُوا نُشِيرُ بِيَزِيدَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ أَوَقَدَ رَضِيتُمُوهُ ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ قَالَ وَذَلِكَ رَأْيُكُمْ ؟ |
| قَالُوا نَعَمْ ، وَرَأْيُ مَنْ وَرَاءَنَا فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعُرْوَةَ سِرًّا عَنْهُمْ بِكَمُ اشْتَرَى أَبُوكَ مِنْ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ ؟ |
| قَالَ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ قَالَ لَقَدْ وَجَدَ دِينَهُمْ عِنْدَهُمْ رَخِيصًا وَقَالَ لَهُمْ نَنْظُرُ مَا قَدِمْتُمْ لَهُ ، وَيَقْضِي اللَّهُ مَا أَرَادَ ، وَالْأَنَاةُ خَيْرٌ مِنَ الْعَجَلَةِ. |
| فَرَجَعُوا. |
| وَقَوِيَ عَزْمُ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى زِيَادٍ يَسْتَشِيرُهُ ، فَأَحْضَرَ زِيَادٌ عُبَيْدَ بْنَ كَعْبٍ النُّمَيْرِيَّ وَقِيلَ لَهُ إِنَّ لِكُلِّ مُسْتَشِيرٍ ثِقَةً ، وَلِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعًا ، وَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَبْدَعَ بِهِمْ خَصْلَتَانِ إِذَاعَةُ السِّرِّ وَإِخْرَاجُ النَّصِيحَةِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَلَيْسَ مَوْضِعُ السِّرِّ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ رَجُلُ آخِرَةٍ يَرْجُو ثَوَابَهَا ، وَرَجُلُ دُنْيَا لَهُ شَرَفٌ فِي نَفْسِهِ وَعَقْلٌ يَصُونُ حَسَبَهُ ، وَقَدْ خَبِرْتُهُمَا مِنْكَ ، وَقَدْ دَعَوْتُكَ لِأَمْرٍ اتَّهَمْتُ عَلَيْهِ بُطُونَ الصُّحُفِ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ يَسْتَشِيرُنِي فِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِنَّهُ يَتَخَوَّفُ نَفْرَةَ النَّاسِ وَيَرْجُو طَاعَتَهُمْ ، وَعَلَاقَةُ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَضَمَانُهُ عَظِيمٌ ، وَيَزِيدُ صَاحِبُ رَسْلَةٍ وَتَهَاوُنٍ مَعَ مَا قَدْ أُولِعَ بِهِ مِنَ الصَّيْدِ ، فَالْقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدِّ إِلَيْهِ فَعْلَاتِ يَزِيدَ وَقُلْ لَهُ رُوَيْدَكَ بِالْأَمْرِ ، فَأَحْرَى أَنْ يَتِمَّ لَكَ مَا تُرِيدُ ، لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ دَرَكًا فِي تَأْخِيرٍ خَيْرٌ مِنْ فَوْتٍ فِي عَجَلَةٍ . |
| فَقَالَ لَهُ عُبَيْدٌ أَفَلَا غَيْرُ هَذَا ؟ |
| قَالَ وَمَا هُوَ ؟ |
| قَالَ لَا تُفْسِدْ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَأْيَهُ ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَيْهِ ابْنَهُ وَأَلْقَى أَنَا يَزِيدَ فَأُخْبِرُهُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَشِيرُكَ فِي الْبَيْعَةِ لَهُ ، وَأَنَّكَ تَتَخَوَّفُ خِلَافَ النَّاسِ عَلَيْهِ لِهَنَاتٍ يَنْقِمُونَهَا عَلَيْهِ ، وَأَنَّكَ تَرَى لَهُ تَرْكَ مَا يُنْقَمُ عَلَيْهِ لِتَسْتَحْكِمَ لَهُ الْحُجَّةُ عَلَى النَّاسِ وَيَتِمَّ مَا تُرِيدُ ، فَتَكُونُ قَدْ نَصَحْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَلِمْتَ مِمَّا تَخَافُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ فَقَالَ زِيَادٌ لَقَدْ رَمَيْتَ الْأَمْرَ بِحَجَرِهِ ، اشْخَصْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِنْ أَصَبْتَ فَمَا لَا يُنْكَرُ ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَغَيْرُ مُسْتَغَشٍّ ، وَتَقُولُ بِمَا تَرَى ، وَيَقْضِي اللَّهُ بِغَيْبِ مَا يَعْلَمُ. |
| فَقَدِمَ عَلَى يَزِيدَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَكَفَّ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ يَصْنَعُ ، وَكَتَبَ زِيَادٌ مَعَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ يُشِيرُ بِالتُّؤَدَةِ وَأَنْ لَا يَعْجَلَ ، فَقَبِلَ مِنْهُ. |
| فَلَمَّا مَاتَ زِيَادٌ عَزَمَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ يَزِيدَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَبِلَهَا ، فَلَمَّا ذَكَرَ الْبَيْعَةَ لِيَزِيدَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ هَذَا أَرَادَ أَنَّ دِينِي عِنْدِي إِذَنْ لَرَخِيصٌ. |
| وَامْتَنَعَ. |
| ثُمَّ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمَ إِنِّي قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي ، وَدَقَّ عَظْمِي ، وَخَشِيتُ الِاخْتِلَافَ عَلَى الْأُمَّةِ بَعْدِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَ لَهُمْ مَنْ يَقُومُ بَعْدِي ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَ أَمْرًا دُونَ مَشُورَةِ مَنْ عِنْدِكَ ، فَاعْرِضْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَعْلِمْنِي بِالَّذِي يَرُدُّونَ عَلَيْكَ فَقَامَ مَرْوَانُ فِي النَّاسِ فَأَخْبَرَهُمْ بِهِ ، فَقَالَ النَّاسُ أَصَابَ وَوُفِّقَ ، وَقَدْ أَحْبَبْنَا أَنْ يَتَخَيَّرَ لَنَا فَلَا يَأْلُو. |
| فَكَتَبَ مَرْوَانُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِذَلِكَ ، فَأَعَادَ إِلَيْهِ الْجَوَابَ يَذْكُرُ يَزِيدَ ، فَقَامَ مَرْوَانُ فِيهِمْ وَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدِ اخْتَارَ لَكُمْ فَلَمْ يَأْلُ ، وَقَدِ اسْتَخْلَفَ ابْنَهُ يَزِيدَ بَعْدَهُ. |
| فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا مَرْوَانُ وَكَذَبَ مُعَاوِيَةُ! |
| مَا الْخِيَارُ أَرَدْتُمَا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، وَلَكِنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوهَا هِرَقْلِيَّةً كُلَّمَا مَاتَ هِرَقْلُ قَامَ هِرَقْلُ فَقَالَ مَرْوَانُ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا الأحقاف الْآيَةَ. |
| فَسَمِعَتْ عَائِشَةُ مَقَالَتَهُ فَقَامَتْ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ وَقَالَتْ يَا مَرْوَانُ يَا مَرْوَانُ! |
| فَأَنْصَتَ مَرْوَانُ وَأَقْبَلَ مَرْوَانَ بِوَجْهِهِ فَقَالَتْ أَنْتَ الْقَائِلُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ؟ |
| كَذَبْتَ! |
| وَاللَّهِ مَا هُوَ بِهِ وَلَكِنَّهُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَلَكِنَّكَ أَنْتَ فَضَضٌ مِنْ لَعْنَةِ نَبِيِّ اللَّهِ. |
| وَقَامَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ، وَفَعَلَ مِثْلَهُ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ مَرْوَانُ بِذَلِكَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ بِتَقْرِيظِ يَزِيدَ وَوَصْفِهِ وَأَنْ يُوفِدُوا إِلَيْهِ الْوُفُودَ مِنَ الْأَمْصَارِ ، فَكَانَ فِيمَنْ أَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي وَفْدِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو لِمُعَاوِيَةَ إِنَّ كُلَّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَانْظُرْ مَنْ تُوَلِّي أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَأَخَذَ مُعَاوِيَةَ بُهْرٌ حَتَّى جَعَلَ يَتَنَفَّسُ فِي يَوْمٍ شَاتٍ ثُمَّ وَصَلَهُ وَصَرَفَهُ ، وَأَمَرَ الْأَحْنَفَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى يَزِيدَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ لَهُ كَيْفَ رَأَيْتَ ابْنَ أَخِيكَ ؟ |
| قِيلَ رَأَيْتُ شَبَابًا وَنَشَاطًا وَجَلَدًا وَمِزَاحًا. |
| ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِلضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الْفِهْرِيِّ ، لَمَّا اجْتَمَعَ الْوُفُودُ عِنْدَهُ إِنِّي مُتَكَلِّمٌ فَإِذَا سَكَتُّ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْعُو إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ وَتَحُثُّنِي عَلَيْهَا فَلَمَّا جَلَسَ مُعَاوِيَةُ لِلنَّاسِ تَكَلَّمْ ، فَعَظَّمَ أَمْرَ الْإِسْلَامِ وَحُرْمَةَ الْخِلَافَةِ وَحَقَّهَا وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ طَاعَةِ وُلَاةِ الْأَمْرِ ثُمَّ ذَكَرَ يَزِيدَ وَفَضْلَهُ وَعِلْمَهُ بِالسِّيَاسَةِ وَعَرَّضَ بِبَيْعَتِهِ ، فَعَارَضَهُ الضَّحَّاكُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قِيلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ وَالٍ بَعْدَكَ ، وَقَدْ بَلَوْنَا الْجَمَاعَةَ وَالْأُلْفَةَ ، فَوَجَدْنَاهُمَا أَحْقَنَ لِلدِّمَاءِ ، وَأَصْلَحَ لِلدَّهْمَاءِ ، وَآمَنَ لِلسُّبُلِ ، وَخَيْرًا فِي الْعَاقِبَةِ ، وَالْأَيَّامُ عِوَجٌ رَوَاجِعٌ ، وَاللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ ، وَيَزِيدُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حُسْنِ هَدْيِهِ وَقَصْدِ سِيرَتِهِ عَلَى مَا عَلِمْتُ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِنَا عِلْمًا وَحِلْمًا ، وَأَبْعَدِنَا رَأْيًا ، فَوَلِّهِ عَهْدَكَ وَاجْعَلْهُ لَنَا عَلَمًا بَعْدَكَ وَمَفْزَعًا نَلْجَأُ إِلَيْهِ وَنَسْكُنُ فِي ظِلِّهِ. |
| وَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْدَقُ بِنَحْوٍ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ قَامَ يَزِيدُ بْنُ الْمُقَنَّعِ الْعُذْرِيُّ فَقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشَارَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَإِنْ هَلَكَ فَهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى يَزِيدَ ، وَمَنْ أَبَى فَهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ اجْلِسْ فَأَنْتَ سَيِّدُ الْخُطَبَاءِ. |
| وَتَكَلَّمَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْوُفُودِ. |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْأَحْنَفِ مَا تَقُولُ يَا أَبَا بَحْرٍ ؟ |
| فَقَالَ نَخَافُكُمْ إِنْ صَدَقْنَا ، وَنَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْنَا ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ بِيَزِيدَ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِلْأُمَّةِ رِضًى فَلَا تُشَاوِرِ النَّاسَ فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيهِ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا تُزَوِّدْهُ وَأَنْتَ صَائِرٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. |
| وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَعَدِّيَةُ الْعِرَاقِيَّةُ وَإِنَّمَا عِنْدَنَا سَمْعٌ وَطَاعَةٌ وَضَرْبٌ وَازْدِلَافٌ. |
| فَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَحْكُونَ قَوْلَ الْأَحْنَفِ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُعْطِي الْمُقَارِبَ وَيُدَارِي الْمُبَاعِدَ وَيَلْطُفُ بِهِ حَتَّى اسْتَوْثَقَ لَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ وَبَايَعَهُ. |
| فَلَمَّا بَايَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ سَارَ إِلَى الْحِجَازِ فِي أَلْفِ فَارِسٍ ، لَمَّا دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ لَقِيَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ أَوَّلَ النَّاسِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا! |
| بَدَنَةٌ بِتَرَقْرُقِ دَمِهَا وَاللَّهُ مُهَرِيقُهُ! |
| قَالَ مَهْلًا فَإِنِّي وَاللَّهِ لَسْتُ بِأَهْلٍ لِهَذِهِ الْمَقَالَةِ! |
| قَالَ بَلَى وَلَشَرٌّ مِنْهَا وَلَقِيَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا خَبَّ ضَبٌّ تَلْعَةٌ ، يُدْخِلُ رَأْسَهُ وَيَضْرِبُ بِذَنَبِهِ ، وَيُوشِكُ وَاللَّهِ أَنْ يُؤْخَذَ بِذَنَبِهِ ، وَيُدَقَّ ظَهْرُهُ ، نَحِّيَاهُ عَنِّي ، فَضُرِبَ وَجْهُ رَاحِلَتِهِ ثُمَّ لَقِيَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ لَا أَهْلًا وَلَا مَرْحَبًا! |
| شَيْخٌ قَدْ خَرِفَ وَذَهَبَ عَقْلُهُ ، ثُمَّ أَمَرَ فَضُرَبَ وَجْهَ رَاحِلَتِهِ ثُمَّ فَعَلَ بِابْنِ عُمَرَ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَأَقْبَلُوا مَعَهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَحَضَرُوا بَابَهُ ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَلَمْ يَرَوْا مِنْهُ مَا يُحِبُّونَ ، فَخَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامُوا بِهَا ، وَخَطَبَ مُعَاوِيَةُ بِالْمَدِينَةِ فَذَكَرَ يَزِيدَ فَمَدَحَهُ وَقَالَ مَنْ أَحَقُّ مِنْهُ بِالْخِلَافَةِ فِي فَضْلِهِ وَعَقْلِهِ وَمَوْضِعِهِ ؟ |
| وَمَا أَظُنُّ قَوْمًا بِمُنْتَهِينَ حَتَّى تُصِيبَهُمْ بَوَائِقُ تَجْتَثُّ أُصُولَهُمْ ، وَقَدْ أَنْذَرْتُ إِنْ أَغْنَتِ النُّذُرُ ، ثُمَّ أَنْشَدَ مُتَمَثِّلًا قَدْ كُنْتُ حَذَّرْتُكَ آلَ الْمُصْطَلِقْ... |
| وَقُلْتُ يَا عَمْرُو أَطِعْنِي وَانْطَلِقْ إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ... |
| سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ دُونَكَ مَا اسْتَسْقَيْتَهُ فَاحْسُ وَذُقْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ ، وَقَدْ بَلَغَهَا أَنَّهُ ذَكَرَ الْحُسَيْنَ وَأَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَأَقْتُلَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُبَايِعُوا ، فَشَكَاهُمْ إِلَيْهَا ، فَوَعَظَتْهُ وَقَالَتْ لَهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَتَهَدُّهُمْ بِالْقَتْلِ ، فَقَالَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمْ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنِّي بَايَعْتُ لِيَزِيدَ وَبَايَعَهُ غَيْرُهُمْ ، أَفَتَرَيْنَ أَنْ أَنْقُضَ بَيْعَةً قَدْ تَمَّتْ ؟ |
| قَالَتْ فَارْفُقْ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى مَا تُحِبُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَفْعَلُ. |
| وَكَانَ فِي قَوْلِهَا لَهُ مَا يُؤَمِّنُكَ أَنْ أُقْعِدَ لَكَ رَجُلًا يَقْتُلُكَ وَقَدْ فَعَلْتَ بِأَخِي مَا فَعَلْتَ ؟ |
| تَعْنِي أَخَاهَا مُحَمَّدًا. |
| فَقَالَ لَهَا كَلَّا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي فِي بَيْتِ أَمْنٍ. |
| قَالَتْ أَجَلْ. |
| وَمَكَثَ بِالْمَدِينَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَلَقِيَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ أُولَئِكَ النَّفَرُ نَتَلَقَّاهُ فَلَعَلَّهُ قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَلَقُوهُ بِبَطْنِ مَرَّ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُ الْحُسَيْنُ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَسَيِّدَ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِدَابَّةٍ فَرَكِبَ وَسَايَرَهُ ، ثُمَّ فَعَلَ بِالْبَاقِينَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَقْبَلَ يُسَايِرُهُمْ لَا يَسِيرُ مَعَهُ غَيْرُهُمْ حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ ، فَكَانُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخَرَ خَارِجٍ ، وَلَا يَمْضِي يَوْمٌ إِلَّا وَلَهُمْ صِلَةٌ وَلَا يَذْكُرُ لَهُمْ شَيْئًا ، حَتَّى قَضَى نُسُكَهُ وَحَمَلَ أَثْقَالَهُ وَقَرُبَ مَسِيرُهُ فَقَالَ بَعْضُ أُولَئِكَ النَّفَرِ لِبَعْضٍ لَا تُخْدَعُوا فَمَا صَنَعَ بِكُمْ هَذَا لِحُبِّكُمْ وَمَا صَنَعَهُ إِلَّا لِمَا يُرِيدُ فَأَعِدُّوا لَهُ جَوَابًا فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطِبُ لَهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ. |
| فَأَحْضَرَهُمْ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ قَدْ عَلِمْتُمْ سِيرَتِي وَصِلَتِي لِأَرْحَامِكُمْ وَحَمْلِي مَا كَانَ مِنْكُمْ ، وَيَزِيدُ أَخُوكُمْ وَابْنُ عَمِّكُمْ وَأَرَدْتُ أَنْ تُقَدِّمُوهُ بِاسْمِ الْخِلَافَةِ وَتَكُونُوا أَنْتُمْ تَعْزِلُونَ وَتُؤَمِّرُونَ وَتَجْبُونَ الْمَالَ وَتَقْسِمُونَهُ لَا يُعَارِضُكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. |
| فَسَكَتُوا. |
| فَقَالَ أَلَا تُجِيبُونَ ؟ |
| مَرَّتَيْنِ. |
| ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ هَاتِ لَعَمْرُكَ إِنَّكَ خَطِيبُهُمْ. |
| فَقَالَ نَعَمْ ، نُخَيِّرُكَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ قَالَ اعْرِضْهُنَّ قَالَ تَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ كَمَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ أَوْ كَمَا صَنَعَ عُمَرُ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا صَنَعُوا ؟ |
| قَالَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْتَخْلِفْ أَحَدًا فَارْتَضَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لَيْسَ فِيكُمْ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَأَخَافُ الِاخْتِلَافَ قَالُوا صَدَقْتَ فَاصْنَعْ كَمَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّهُ عَهِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَاصِيَةِ قُرَيْشٍ لَيْسَ مِنْ بَنِي أَبِيهِ فَاسْتَخْلَفَهُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَاصْنَعْ كَمَا صَنَعَ عُمَرُ ، جَعَلَ الْأَمْرَ شُورَى فِي سِتَّةِ نَفَرٍ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ وَلَا مَنْ بَنِي أَبِيهِ قَالَ مُعَاوِيَةُ هَلْ عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا ؟ |
| قَالَ لَا. |
| ثُمَّ قَالَ فَأَنْتُمْ ؟ |
| قَالُوا قَوْلُنَا قَوْلُهُ. |
| قَالَ فَإِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ ، إِنَّهُ قَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ ، إِنِّي كُنْتُ أَخْطُبُ فِيكُمْ فَيَقُومُ إِلَيَّ الْقَائِمُ مِنْكُمْ فَيُكَذِّبُنِي عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ فَأَحْمِلُ ذَلِكَ وَأَصْفَحُ ، وَإِنِّي قَائِمٌ بِمَقَالَةٍ ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ رَدَّ عَلَيَّ أَحَدُكُمْ كَلِمَةً فِي مَقَامِي هَذَا لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ كَلِمَةٌ غَيْرُهَا حَتَّى يَسْبِقَهَا السَّيْفُ إِلَى رَأْسِهِ ، فَلَا يُبْقِيَنَّ رَجُلٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ. |
| ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ حَرَسِهِ بِحَضْرَتِهِمْ فَقَالَ أَقِمْ عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ رَجُلَيْنِ وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَيْفٌ ، فَإِنْ ذَهَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَرُدُّ عَلَيَّ كَلِمَةً بِتَصْدِيقٍ أَوْ تَكْذِيبٍ فَلْيَضْرِبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا. |
| ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجُوا مَعَهُ حَتَّى رَقَى الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ سَادَةُ الْمُسْلِمِينَ وَخِيَارُهُمْ لَا يُبَتُّ أَمْرٌ دُونَهُمْ وَلَا يُقْضَى إِلَّا عَنْ مَشُورَتِهِمْ ، وَإِنَّهُمْ قَدْ رَضُوا وَبَايَعُوا لِيَزِيدَ ، فَبَايِعُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ! |
| فَبَايَعَ النَّاسُ ، وَكَانُوا يَتَرَبَّصُونَ بَيْعَةَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ، ثُمَّ رَكِبَ رَوَاحِلَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَ النَّاسُ أُولَئِكَ النَّفَرَ فَقَالُوا لَهُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ لَا تُبَايِعُونَ فَلِمَ ؟ |
| أَرَضِيتُمْ وَأَعْطَيْتُمْ وَبَايَعْتُمْ ؟ |
| قَالُوا وَاللَّهِ مَا فَعَلْنَا فَقَالُوا مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى الرَّجُلِ ؟ |
| قَالُوا كَادَنَا وَخِفْنَا الْقَتْلَ. |
| وَبَايَعَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الشَّامِ وَجَفَا بَنِي هَاشِمٍ ، فَأَتَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَهُ مَا بَالُكَ جَفَوْتَنَا ؟ |
| قَالَ إِنَّ صَاحِبَكُمْ لَمْ يُبَايِعْ لِيَزِيدَ فَلَمْ تُنْكِرُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةُ إِنِّي لَخَلِيقٌ أَنْ أَنْحَازَ إِلَى بَعْضِ السَّوَاحِلِ فَأُقِيمَ بِهِ ثُمَّ أَنْطَلِقُ بِمَا تَعْلَمُ حَتَّى أَدَعَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَوَارِجَ عَلَيْكَ قَالَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ تُعْطَوْنَ وَتَرْضَوْنَ وَتُرَادُّونَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ أُبَايِعُكَ عَلَى أَنِّي أَدْخُلُ فِيمَا تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ ، فَوَاللَّهِ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى حَبَشِيٍّ لَدَخَلْتُ مَعَهَا ثُمَّ عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَغْلَقَ بَابَهُ وَلَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ. |
| قُلْتُ ذِكْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَجْعَلُ وَفَاتَهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ ، وَإِنَّمَا يَصِحُّ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَجْعَلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْوَقْتِ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ ابْنِ زِيَادٍ عَنْ خُرَاسَانَ وَاسْتِعْمَالِ سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَلَى خُرَاسَانَ وَعَزَلَ ابْنَ زِيَادٍ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ عَلَى خُرَاسَانَ ، فَقَالَ إِنَّ بِهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدِ اصْطَنَعَكَ أَبِي حَتَّى بَلَغْتَ بِاصْطِنَاعِهِ الْمَدَى الَّذِي تُجَارَى إِلَيْهِ وَلَا تُسَامَى ، فَمَا شَكَرْتَ بَلَاءَهُ وَلَا جَازَيْتَهُ وَقَدَّمْتَ هَذَا ، يَعْنِي يَزِيدَ ، وَبَايَعْتَ لَهُ ، وَاللَّهِ لَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ أَبًا وَأُمًّا وَنَفْسًا! |
| فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَمَّا بَلَاءُ أَبِيكَ فَقَدْ يَحِقُّ عَلَيْكَ الْجَزَاءُ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ شُكْرِي لِذَلِكَ أَنِّي قَدْ طَلَبْتُ بِدَمِهِ ، وَأَمَّا فَضْلُ أَبِيكَ عَلَى أَبِيهِ فَهُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنِّي ، وَأَمَّا فَضْلُ أُمِّكَ عَلَى أُمِّهِ فَلَعَمْرِي امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ خَيْرٌ مِنِ امْرَأَةٍ مِنْ كَلْبٍ ، وَأَمَّا فَضْلُكَ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ الْغُوطَةَ مُلِئَتْ لِيَزِيدَ رِجَالًا مِثْلَكَ. |
| فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْنُ عَمِّكَ وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ نَظَرَ فِي أَمْرِهِ ، قَدْ عَتَبَ عَلَيْكَ فَأَعْتِبْهُ. |
| فَوَلَّاهُ حَرْبَ خُرَاسَانَ ، وَوَلَّى إِسْحَاقَ بْنَ طَلْحَةَ خَرَاجَهَا وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنُ خَالَةِ مُعَاوِيَةَ ، أُمُّهُ أُمُّ أَبَانٍ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَلَمَّا صَارَ بِالرَّيِّ مَاتَ إِسْحَاقُ فَوَلِيَ سَعِيدٌ حَرْبَهَا وَخَرَاجَهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ خُرَاسَانَ قَطَعَ النَّهْرَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الصُّغْدَ فَتَوَاقَفُوا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ وَلَمْ يَقْتَتِلُوا ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ مَا زِلْتَ يَوْمَ الصُّغْدِ تُرْعِدُ وَاقِفًا... |
| مِنَ الْجُبْنِ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَتَنَصَّرَا فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اقْتَتَلُوا فَهَزَمَهُمْ سَعِيدٌ وَحَصَرَهُمْ فِي مَدِينَتِهِمْ ، فَصَالَحُوهُ وَأَعْطَوْهُ رَهْنًا مِنْهُمْ خَمْسِينَ غُلَامًا مِنْ أَبْنَاءِ عُظَمَائِهِمْ ، فَسَارَ إِلَى تِرْمِذَ فَفَتَحَهَا صُلْحًا وَلَمْ يَفِ لِأَهْلِ سَمَرْقَنْدَ وَجَاءَ بِالْغِلْمَانِ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ مِمَّنْ قُتِلَ مَعَهُ قُثَمُ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ فِيهَا كَانَ مَشْتَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِأَرْضِ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا عُزِلَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتُعْمِلَ عَلَيْهَا الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَقِيلَ لَمْ يُعْزَلْ مَرْوَانُ هَذِهِ السَّنَةَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى الْكُوفَةِ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُدَامَةَ السَّعْدِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، وَقِيلَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَقْدَانَ السَّعْدِيُّ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ السَّعْدِيُّ لِأَنَّ أَبَاهُ اسْتُرْضِعَ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَعُثْمَانُ بْنُ شَيْبَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ ، وَهُوَ جَدُّ بَنِي شَيْبَةَ سَدَنَةِ الْكَعْبَةِ ، وَمِفْتَاحُهَا مَعَهُمْ إِلَى الْآنَ ، وَأَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَقِيلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَجَبَيْرُ بْنُ مَطْعِمِ بْنِ نَوْفَلٍ الْقُرَشِيُّ ، لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَأُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ بَقِيَتْ إِلَى قَتْلِ الْحُسَيْنِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيُّ أَرْضَ الرُّومِ ، وَعَمْرُو بْنُ يَزِيدَ الْجُهَنِيُّ فِي الْبَحْرِ ، وَقِيلَ جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ الضَّحَّاكِ عَنِ الْكُوفَةِ وَاسْتِعْمَالِ ابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ مُعَاوِيَةُ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ عَنِ الْكُوفَةِ وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ الثَّقَفِيَّ ، وَهُوَ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ مُعَاوِيَةَ. |
| وَفِي عَمَلِهِ هَذِهِ السَّنَةَ خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ الَّذِي كَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ حَبَسَهُمْ فَجَمَعَهُمْ حَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ السُّلَمِيُّ وَمُعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ الطَّائِيُّ فَخَطَبَاهُمْ وَحَثَّاهُمْ عَلَى الْجِهَادِ ، فَبَايَعُوا حَيَّانَ بْنَ ظَبْيَانَ وَخَرَجُوا إِلَى بَانِقْيَا ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْجَيْشُ مِنَ الْكُوفَةِ فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا. |
| ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أُمِّ الْحَكَمِ طَرَدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ لِسُوءِ سِيرَتِهِ ، فَلَحِقَ بِخَالِهِ مُعَاوِيَةَ فَوَلَّاهُ مِصْرَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ مِصْرَ ، فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ إِلَى خَالِكَ ، فَلَعَمْرِي لَا تَسِيرُ فِينَا سِيرَتَكَ فِي إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ! |
| فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ وَفَدَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ إِلَى مُعَاوِيَةَ زُيِّنَتْ لَهُ الطَّرِيقُ بِقِبَابِ الرَّيْحَانِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ ، فَدَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ أُخْتُهُ أُمُّ الْحَكَمِ ، فَقَالَتْ مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| قَالَ بَخٍ بَخٍ! |
| هَذَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ. |
| قَالَتْ لَا مَرْحَبًا ، تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ! |
| فَسَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ فَقَالَ عَلَى رِسْلِكِ يَا أُمَّ الْحَكَمِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَزَوَّجْتِ فَمَا أُكْرِمْتِ ، وَوَلَدْتِ فَمَا أَنْجَبْتِ ، أَرَدْتِ أَنْ يَلِيَ ابْنُكِ الْفَاسِقُ عَلَيْنَا فَيَسِيرَ فِينَا كَمَا سَارَ فِي إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُرِيَهُ ذَلِكَ ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَضَرَبْنَاهُ ضَرْبًا يُطَأْطِئُ مِنْهُ وَلَوْ كَرِهَ هَذَا الْقَاعِدُ ، يَعْنِي خَالَهُ مُعَاوِيَةَ. |
| فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا مُعَاوِيَةُ وَقَالَ كُفِّي ، فَكَفَّتْ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ طَوَّافِ بْنِ غَلَّاقٍ كَانَ قَوْمٌ مِنَ الْخَوَارِجِ بِالْبَصْرَةِ يَجْتَمِعُونَ إِلَى رَجُلٍ اسْمُهُ جِدَارٌ فَيَتَحَدَّثُونَ عِنْدَهُ وَيَعِيبُونَ السُّلْطَانَ ، فَأَخَذَهُمُ ابْنُ زِيَادٍ فَحَبَسَهُمْ ثُمَّ دَعَا بِهِمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُخَلِّيَ سَبِيلَ الْقَاتِلِينَ ، فَفَعَلُوا ، فَأَطْلَقَهُمْ ، وَكَانَ مِمَّنْ قَتَلَ طَوَّافٌ ، فَعَذَلَهُمْ أَصْحَابُهُمْ وَقَالُوا قَتَلْتُمْ إِخْوَانَكُمْ! |
| قَالُوا أُكْرِهْنَا وَقَدْ يُكْرَهُ الرَّجُلُ عَلَى الْكُفْرِ وَهُوَ مُطَمْئِنٌ بِالْإِيمَانِ. |
| وَنَدِمَ طَوَّافٌ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَالَ طَوَّافٌ أَمَا مِنْ تَوْبَةٍ ؟ |
| فَكَانُوا يَبْكُونَ ، وَعَرَضُوا عَلَى أَوْلِيَاءِ مَنْ قَتَلُوا الدِّيَةَ فَأَبَوْا ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِمُ الْقَوَدَ فَأَبَوْا وَلَقِيَ طَوَّافٌ الْهَثْهَاتَ بْنَ ثَوْرٍ السَّدُوسِيَّ فَقَالَ لَهُ أَمَا تَرَى لَنَا مِنْ تَوْبَةٍ ؟ |
| فَقَالَ مَا أَجِدُ لَكَ إِلَّا آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَوْلَهُ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ النحل . |
| فَدَعَا طَوَّافٌ أَصْحَابَهُ إِلَى الْخُرُوجِ وَإِلَى أَنْ يَفْتِكُوا بِابْنِ زِيَادٍ ، فَبَايَعُوهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ بِالْبَصْرَةِ ، فَسَعَى بِهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِمْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ طَوَّافًا فَعَجَّلَ الْخُرُوجَ ، فَخَرَجُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ فَقَتَلُوا رَجُلًا ، وَمَضَوْا إِلَى الْجَلْجَاءِ ، فَنَدَبَ ابْنُ زِيَادٍ الشُّرَطَ الْبُخَارِيَّةَ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ الشُّرَطُ حَتَّى دَخَلُوا الْبَصْرَةَ وَاتَّبَعُوهُمْ ، وَذَلِكَ يَوْمُ عِيدِ الْفِطْرِ ، وَكَثَّرَهُمُ النَّاسُ فَقَاتَلُوا فَقُتِلُوا ، وَبَقِيَ طَوَّافٌ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ ، وَعَطِشَ فَرَسُهُ فَأَقْحَمَهُ الْمَاءَ ، فَرَمَاهُ الْبُخَارِيَّةُ بِالنُّشَّابِ حَتَّى قَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ ، ثُمَّ دَفَنَهُ أَهْلُهُ ، فَقَالَ شَاعِرٌ مِنْهُمْ يَا رَبِّ هَبْ لِي التُّقَى وَالصِّدْقَ فِي ثَبَتٍ... |
| وَاكْفِ الْمُهِمَّ فَأَنْتَ الرَّازِقُ الْكَافِي حَتَّى أَبِيعَ الَّتِي تَفْنَى بِآخِرَةٍ... |
| تَبْقَى عَلَى دِينِ مِرْدَاسٍ وَطَوَّافِ وَكَهْمَسٍ وَأَبِي الشَّعْثَاءِ إِذْ نَفَرُوا... |
| إِلَى الْإِلَهِ ذَوِي أَخْبَابِ زَحَّافِ ذِكْرُ قَتْلِ عُرْوَةَ ابْنِ أُدَيَّةَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اشْتَدَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عَلَى الْخَوَارِجِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً ، مِنْهُمْ عُرْوَةُ ابْنُ أُدَيَّةَ أَخُو أَبِي بِلَالٍ مِرْدَاسِ ابْنِ أُدَيَّةَ ، وَأُدَيَّةُ أُمُّهُمَا ، وَأَبُوهُمَا حُدَيْرٌ ، وَهُوَ تَمِيمِيٌّ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ كَانَ قَدْ خَرَجَ فِي رِهَانٍ لَهُ ، فَلَمَّا جَلَسَ يَنْتَظِرُ الْخَيْلَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَفِيهِمْ عُرْوَةُ ، فَأَقْبَلَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ يَعِظُهُ ، وَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ الشعراء . |
| فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ ظَنَّ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ إِلَّا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ ، فَقَامَ وَرَكِبَ وَتَرَكَ رِهَانَهُ فَقِيلَ لِعُرْوَةَ لَيَقْتُلَنَّكَ! |
| فَاخْتَفِي ، فَطَلَبَهُ ابْنُ زِيَادٍ فَهَرَبَ وَأَتَى الْكُوفَةَ ، فَأُخِذَ وَقُدِمَ بِهِ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ ابْنَتَهُ. |
| وَأَمَّا أَخُوهُ أَبُو بِلَالٍ مِرْدَاسٌ فَكَانَ عَابِدًا مُجْتَهِدًا عَظِيمَ الْقَدْرِ فِي الْخَوَارِجِ ، وَشَهِدَ صِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ فَأَنْكَرَ التَّحْكِيمَ ، وَشَهِدَ النَّهْرَوَانَ مَعَ الْخَوَارِجِ ، وَكَانَتِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا تَتَوَلَّاهُ ، وَرَأَى عَلَى ابْنِ عَامِرٍ قَبَاءً أَنْكَرَهُ فَقَالَ هَذَا لِبَاسُ الْفُسَّاقِ! |
| فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ لَا تَقُلْ هَذَا لِلسُّلْطَانِ فَإِنَّ مَنْ أَبْغَضَ السُّلْطَانَ أَبْغَضَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ لَا يَدِينُ بِالِاسْتِعْرَاضِ ، وَيُحَرِّمُ خُرُوجَ النِّسَاءِ ، وَيَقُولُ لَا نُقَاتِلُ إِلَّا مَنْ قَاتَلَنَا وَلَا نَجْبِي إِلَّا مَنْ حَمَيْنَا. |
| وَكَانَتِ الْبَثْجَاءُ ، امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ ، تُحَرِّضُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَتَذْكُرُ تَجَبُّرَهُ وَسُوءَ سِيرَتِهِ ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُجْتَهِدَاتِ ، فَذَكَرَهَا ابْنُ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهَا أَبُو بِلَالٍ إِنَّ التَّقِيَّةَ لَا بَأْسَ بِهَا فَتَغَيَّبِي فَإِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ قَدْ ذَكَرَكِ. |
| قَالَتْ أَخْشَى أَنْ يَلْقَى أَحَدٌ بِسَبَبِي مَكْرُوهًا. |
| فَأَخَذَهَا ابْنُ زِيَادٍ فَقَطَعَ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا ، فَمَرَّ بِهَا أَبُو بِلَالٍ فِي السُّوقِ فَعَضَّ عَلَى لِحْيَتِهِ وَقَالَ أَهَذِهِ أَطْيَبُ نَفْسًا بِالْمَوْتِ مِنْكَ يَا مِرْدَاسُ ؟ |
| مَا مِيتَةٌ أُمُوتُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِيتَةِ الْبَثْجَاءِ! |
| وَمَرَّ أَبُو بِلَالٍ بِبَعِيرٍ قَدْ طُلِيَ بِقَطِرَانٍ فَغُشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَتَلَا سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ إبراهيم . |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ أَلَحَّ فِي طَلَبِ الْخَوَارِجِ فَمَلَأَ مِنْهُمُ السِّجْنَ وَأَخَذَ النَّاسَ بِسَبَبِهِمْ وَحَبَسَ أَبَا بِلَالٍ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَ أَخَاهُ عُرْوَةَ ، فَرَأَى السَّجَّانُ عِبَادَتَهُ فَأَذِنَ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي إِتْيَانِ أَهْلِهِ ، فَكَانَ يَأْتِيهِمْ لَيْلًا وَيَعُودُ مَعَ الصُّبْحِ ، وَكَانَ صَدِيقٌ لِمِرْدَاسٍ يُسَامِرُ ابْنَ زِيَادٍ ، فَذَكَرَ ابْنُ زِيَادٍ الْخَوَارِجَ لَيْلَةً فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَانْطَلَقَ صَدِيقُ مِرْدَاسٍ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ الْخَبَرَ ، وَبَاتَ السَّجَّانُ بِلَيْلَةِ سُوءٍ خَوْفًا أَنْ يَعْلَمَ مِرْدَاسٌ فَلَا يَرْجِعُ ، فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَعُودُ فِيهِ إِذَا بِهِ قَدْ أَتَى ، فَقَالَ لَهُ السَّجَّانُ أَمَا بَلَغَكَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ ؟ |
| قَالَ بَلَى قَالَ ثُمَّ جِئْتَ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ لَمْ يَكُنْ جَزَاؤُكَ مِنِّي مَعَ إِحْسَانِكَ إِلَيَّ أَنْ تُعَاقَبَ. |
| وَأَصْبَحَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَقَتَلَ الْخَوَارِجَ ، فَلَمَّا أُحْضِرَ مِرْدَاسٌ قَامَ السَّجَّانُ ، وَكَانَ ظِئْرًا لِعُبَيْدِ اللَّهِ ، فَشَفَعَ فِيهِ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ خَافَ ابْنَ زِيَادٍ فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَكَانَ إِذَا اجْتَازَ بِهِ مَالٌ أَخَذَ مِنْهُ عَطَاءَهُ وَعَطَاءَ أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَرُدُّ الْبَاقِي ، فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ زِيَادٍ خَبَرَهُمْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا عَلَيْهِمْ أَسْلَمُ بْنُ زُرْعَةَ الْكِلَابِيُّ سَنَةَ سِتِّينَ ، وَقِيلَ أَبُو حُصَيْنٍ التَّمِيمِيُّ ، وَكَانَ الْجَيْشُ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى أَبِي بِلَالٍ نَاشَدَهُمُ اللَّهَ أَنْ يُقَاتِلُوهُ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَدَعَاهُمْ أَسْلَمُ إِلَى مُعَاوَدَةِ الْجَمَاعَةِ ، فَقَالُو أَتَرُدُّونَنَا إِلَى ابْنِ زِيَادٍ الْفَاسِقِ ؟ |
| فَرَمَى أَصْحَابُ أَسْلَمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي بِلَالٍ فَقَتَلُوهُ ، فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ قَدْ بَدَءُوكُمْ بِالْقِتَالِ. |
| فَشَدَّ الْخَوَارِجُ عَلَى أَسْلَمَ وَأَصْحَابِهِ شَدَّةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَهَزَمُوهُمْ فَقَدِمُوا الْبَصْرَةَ ، فَلَامَ ابْنُ زِيَادٍ أَسْلَمَ وَقَالَ هَزَمَكَ أَرْبَعُونَ وَأَنْتَ فِي أَلْفَيْنِ ، لَا خَيْرَ فِيكَ! |
| فَقَالَ لَأَنْ تَلُومَنِي وَأَنَا حَيٌّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُثْنِيَ عَلَيَّ وَأَنَا مَيِّتٌ. |
| فَكَانَ الصِّبْيَانُ إِذَا رَأَوْا أَسْلَمَ صَاحُوا بِهِ أَمَا أَبُو بِلَالٍ وَرَاءَكَ! |
| فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَنَهَاهُمْ فَانْتَهَوْا. |
| وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ أَأَلْفَا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ... |
| وَيَقْتُلُهُمْ بِآسِكَ أَرْبَعُونَا كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ... |
| وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا هِيَ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ... |
| عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَا ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، وَشَهِدَ صِفِّينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ عَائِشَةُ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ. |
| وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ ، لَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَمَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ الْغَافِقِيُّ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ. |
| وَعَمِيرَةُ بْنُ يَثْرِبِيٍّ قَاضِي الْبَصْرَةِ ، وَاسْتُقْضِيَ مَكَانَهُ هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَشْتَى عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ بِأَرْضِ الرُّومِ فِي الْبَرِّ ، وَغَزَا فِي الْبَحْرِ جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَقِيلَ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَحْرِ غَزْوَةٌ هَذِهِ السَّنَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ عَنِ الْكُوفَةِ وَاسْتُعْمِلَ عَلَيْهَا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ سَبَبُ عَزْلِهِ وَقِيلَ كَانَ عَزْلُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ . |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ خُرَاسَانَ وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَقَدِمَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ السُّلَمِيُّ ، وَأَخَذَ أَسْلَمَ بْنَ زُرْعَةَ فَحَبَسَهُ وَأَخَذَ مِنْهُ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ كَرِيمًا حَرِيصًا ضَعِيفًا لَمْ يَغْزُ غَزْوَةً وَاحِدَةً ، وَبَقِيَ بِخُرَاسَانَ إِلَى أَنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ ، فَقَدِمَ عَلَى يَزِيدَ وَمَعَهُ عِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ إِنْ شِئْتَ حَاسَبْنَاكَ وَأَخَذْنَا مَا مَعَكَ وَرَدَدْنَاكَ إِلَى عَمَلِكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَعْطَيْنَاكَ مَا مَعَكَ وَعَزَلْنَاكَ وَتُعْطِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| قَالَ بَلْ تُعْطِينِي مَا مَعِي وَتَعْزِلُنِي. |
| فَفَعَلَ فَأَرْسَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى ابْنِ جَعْفَرٍ بِأَلْفِ أَلْفٍ وَقَالَ هَذِهِ خَمْسُمِائَةُ أَلْفٍ مِنْ يَزِيدَ وَخَمْسُمِائَةُ أَلْفٍ مِنِّي. |